الجامعة الأمريكية المفتوحة
كلية الدراسات الإسلامية والعربية

فقه الدعوة

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة إلى الدارس

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

الإخوة والأخوات طلبة وطالبات الجامعة الأمريكية المفتوحة:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته......وبعد:

فمرحبًا بكم على طريق التفقه في الدين، وأهلاً بكم أوفياء لدينكم في زمن الغربة الثانية للإسلام، ونزف إليكم بشرى إمام الأنبياء والمرسلين ﷺ أن: "**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**"(١)، وأن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يفعل، وأن من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا يسر الله له به طريقًا إلى الجنة.

عزيزي الدارس ...عزيزتي الدارسة: يطيب لنا أن نلتقي بكم مجددًا في مرحلة البكالوريوس مع مقرر فقه الدعوة. وقد تم إعداد هذه المادة وتنظيمها في صورة وحدات تضم فصولاً، تحتوي كل وحدة على عناصر أساسية هي: (مبررات دراسة الوحدة - الأهداف التعليمية - الرسومات الخطية - اختبار الوحدة- الأنشطة التعليمية).

وإننا لنوصي إخوتنا وأخواتنا – طلبة الجامعة – بأن يسيروا في دراسة هذا المقرر وفقًا لنظام تصميم الوحدات الذي أعد به هذا الكتاب وذلك حتى يتحقق أكبر قدر من الاستيعاب والفائدة، والله -تعالى- هو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب: من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، حديث رقم: ٦٩، ومسلم، كتاب الزكاة، باب: النهي عن المسألة، حديث رقم: ١٧٢١.

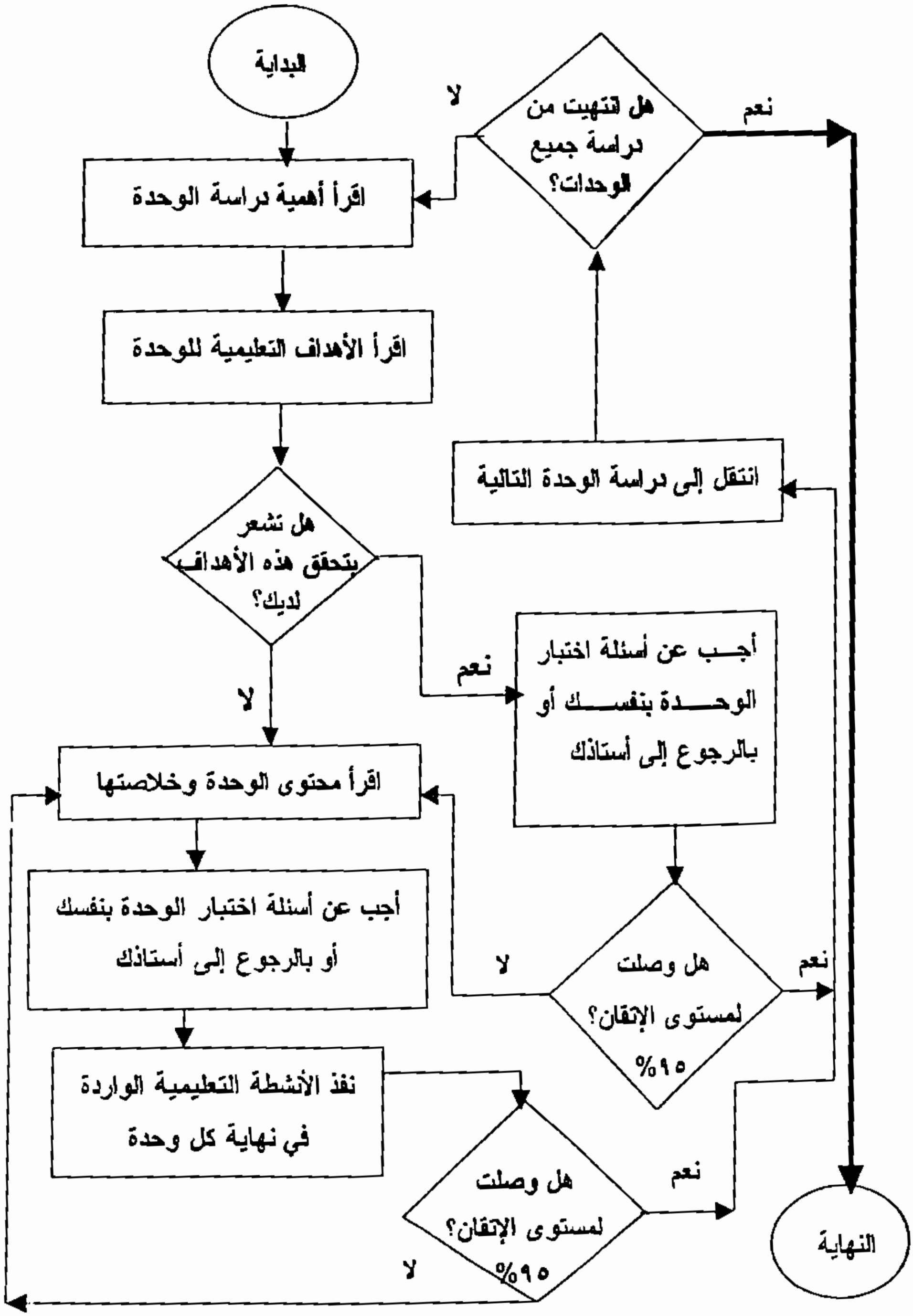
البداية
اقرأ أهمية دراسة الوحدة
اقرأ الأهداف التعليمية للوحدة
هل تشعر بتحقق هذه الأهداف لديك؟
لا
نعم
اقرأ محتوى الوحدة وخلاصتها
أجب عن أسئلة اختبار الوحدة بنفسك أو بالرجوع إلى أستاذك
نفذ الأنشطة التعليمية الواردة في نهاية كل وحدة
هل وصلت لمستوى الإتقان؟ ٩٥%
لا
نعم
أجـب عن أسئلة اختبار الوحـدة بنفسـك أو بالرجوع إلى أستاذك
هل وصلت لمستوى الإتقان؟ ٩٥%
لا
نعم
انتقل إلى دراسة الوحدة التالية
هل انتهيت من دراسة جميع الوحدات؟
لا
نعم
النهاية

فقه الدعوة

الوحدة الأولى: مبادئ وأصول علم فقه الدعوة.

الوحدة الثانية: صفات وآفات الدعاة.

الوحدة الثالثة: علاقات الداعية.

الوحدة الرابعة: وسائل وأساليب الدعوة وأحكامها.

الوحدة الخامسة: مشكلات وقضايا معاصرة في ضوء فقه الدعوة.

الوحدة الأولى

مبادئ وأصول علم فقه الدعوة

الوحدة الأولى

مبادئ وأصول علم فقه الدعوة

مبررات دراسة الوحدة:

فقه الدعوة إلى الله علم وفن، ينطلق من أصول واضحة، ويقوم على مبادئ ثابتة، والتعرف على مبادئه الأولى، وقواعده المحددة لمسار الدعوة، هو أول الفقه الواجب في هذا الفن، وأهمُّ ما يتعلمه الداعية في طريق الدعوة إلى الله.

وتحتوى هذه الوحدة على فصلين يتناولان مبادئ فقه الدعوة، وأصول وأسس الدعوة الراشدة، وهو ما يحتاج كل مسلم وداعية إلى معرفته، في عالم ينادي فيه صاحب كل مذهب إلى مذهبه، ويعرض فيه صاحب كل تجارة سلعته، فما أحرى من ينادي على السلعة الغالية أن يتفهم هذه المبادئ والأصول.

الفصل الأول مبادئ علم فقه الدعوة

الأهداف التعليمية للفصل:

عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذه الوحدة أن تصبح قادرا على أن:

١- تتعرف على معنى علم فقه الدعوة باعتبار مفرداته، وباعتباره لقباً على فن معين.

٢- تتعرف على الأسماء المختلفة لعلم فقه الدعوة.

٣- تقف على الاختلاف بين العلماء في نوعية الوجوب للدعوة أهو على التعيين أم على الكفاية، مع الرد على الشبهات الواردة حول وجوب الدعوة إلى الله.

٤- تذكر بعض فضائل علم فقه الدعوة مع الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية المؤيدة لذلك.

٥- تبين أن الدعوة الإسلامية بدأت في عصر النبي ﷺ فهو الداعية الأول، وعلى الرغم من كون المجتمع كله كان مجتمعاً دعوياً فإن علم فقه الدعوة لم يكن علماً بالمعنى الاصطلاحي للعلم.

٦- تشرح العلاقة بين علم فقه الدعوة وغيره من العلوم والفنون المختلفة.

٧- تحدد المصادر التي يُستمد منها علم فقه الدعوة، مع ذكر خصائص هذه المصادر.

٨- تصنف الثمرات المهمة لعلم فقه الدعوة وتربط بينها وبين الأهداف الرئيسية للدعوة الإسلامية.

الفصل الأول: مبادئ علم فقه الدعوة

المباحث العشرة في مبادئ فقه الدعوة

- تعريفه
- موضوعه
- أسماؤه
- حكمه
- فضله
- نشأته
- نسبته
- استمداده
- ثمرته
- مسائله

الفصل الأول: مبادئ علم فقه الدعوة(*)

مقدمة :

إن المدخل لدراسة العلوم عنصر مهم جدًا في العملية التعليمية؛ لما يقوم به من إعداد الدارسين علميًّا وذهنيًّا لتحصيل العلوم.

وقد أخذ المدخل لدراسة العلوم عدة صور أهمها: دراسة مبادئ العلوم.

ولذا كانت مبادئ العلوم التي اصطلح العلماء على جعلها عشرة – وسيلة مهمة لبناء التصورات الأولية للعلوم لدى الدارسين، مما يساعد في تحصيلها واستيعابها جيداً؛ بل لقد كان وضع مبادئ علمٍ ما هو أحد أدلة اكتمال بنيان هذا العلم، وتمام أركانه.

وفي هذا الفصل محاولة لتوضيح مبادئ علم فقه الدعوة، كي نخطو بهذا العلم خطوة جادة نحو اكتمال بنائه العلمي، بحيث يصبح علمًا مستقلاً عن سائر العلوم الشرعية كالفقه والسيرة وغيرهما.

وفي هذا الفصل نتناول – عزيزي الدارس – تعريف علم فقه الدعوة وموضوعه، وأسماءه، وحكمه، وفضله، واستمداده، وغايته، والمصنفات فيه، وعلاقته بغيره من العلوم.

المبحث الأول: تعريف علم فقه الدعوة

المطلب الأول: تعريف علم فقه الدعوة باعتبار مفرداته:

إن التعرف على علم فقه الدعوة يسبقه معرفة مفرداته التي منها يتركب، وذلك بمعرفة كل من الفقه والدعوة لغة واصطلاحًا، وذلك على النحو الآتي:

(*) استفيد هذا الفصل من كتاب مبادئ علم أصول الدعوة، دراسة تأصيلية، للدكتور محمد يسري، وكتاب المدخل إلى علم الدعوة، للدكتور/ محمد أبو الفتح البيانوني.

أ- تعريف العلم:

العلم لغة: "إدراك الشيء بحقيقته"(١) أو هو: "إدراك الشيء على ما هو به"(٢).

العلم اصطلاحًا: يطلق العلم اصطلاحا على "مجموعة مسائل وأصول كلية تجمعها جهة واحدة كعلم التوحيد، وعلم النحـــو، وعلم الكونيات، وجمعها علوم"(٣).

ب - تعريف الفقه:

الفقه لغة: الفهم مطلقا، وربما أطلق وأريد به العلم والفطنة(٤).

واصطلاحا: مرَّ مصطلح الفقه بعدة مراحل أطلق في كل مرحلة منها على معنًى معين، فقد أُطلق في عصر الصحابة والتابعين على معنى العلم بالدين الحنيف، وهذا المعنى مستفاد من قوله تعالى: ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾[التوبة: ١٢٢] وقوله ﷺ: "**من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين**"(٥) ثم أطلق على معرفة النفس مالها وما عليها، وهذا ما عرف به الإمام أبو حنيفة الفقه الأكبر - التوحيد والعقيدة - تمييزا له عن الفقه الأصغر وهو الفقه، والذي استقر تعريف أهل الشريعة على تعريفه بأنه: "معرفة الأحكام الشرعية العملية بأدلتها التفصيلية"(٦).

جـــ - تعريف الدعوة:

الدعوة لغة: "الطلب، يقال: دعا بالشيء: طلب إحضاره، ودعاه إلى الشيء: حثَّهُ على قصده، يُقال دعاه إلى القتال، ودعاه إلى الدين، وإلى المذهب:

---

(١) المعجم الوسيط (مادة علم).

(٢) التعريفات للجرجاني (ص ١٥٥).

(٣) المعجم الوسيط (مادة علم).

(٤) المعجم الوسيط (مادة فقه).

(٥) البخاري، كتاب العلم (٧١)، (٢٩٤٨)، (٦٨٨٢). ومسلم (١٠٣٧).

(٦) شرح الورقات للمحلي (ص ١٢).

حثَّهُ على اعتقاده وساقه إليه"[1].

والدعوة فيها معنى السؤال نحو قوله تعالى: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾[البقرة: ٦٨] أي: اسأله، وفيها معنى الاستغاثة، نحو قوله تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ [الأعراف: ٥٦]، وكل ذلك يدور على الطلب والحثّ على الأمر والسَّوْق إليه.

الدعوة اصطلاحا:

إن كلمة الدعوة في اصطلاحها الشرعي على تقدير مضاف إليه أيْ دعوة الله أو دعوة الإسلام بمعنى أنها دعوة إلى الله، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾[يوسف: ١٠٨] أو إلى الإسلام. بمعنى أنها دعوة إلى الدين بمراتبه المختلفة الإسلام والإيمان والإحسان، ويوضح ذلك قول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله: "الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا وبطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، الدعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد الله كأنه يراه"[2].

وعليه تكون كلمة الدعوة في الاصطلاح الشرعي يقصد بها: تبليغ الإسلام للناس وتعليمه إياهم وتطبيقه في واقع الحياة[3].

المطلب الثاني: تعريف "فقه الدعوة": باعتباره عَلَمًا على هذا الفن:

تعددت الوجهات في تعريف علم فقه الدعوة، وتفاوتت هذه التعاريف

---

(١) المعجم الوسيط (مادة دعا).

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/١٥٧ – ١٥٨)، التفسير الكبير (٥/١٠٠، ١٠١).

(٣) المدخل إلى علم الدعوة د. محمد أبو الفتح البيانوني، (ص٤٠)، مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، وانظر أيضاً الدعوة إلى الله، توفيق الداعي، (١٧) بتصرف، دار اليقين، ١٤١٦هـ ١٩٩٩ م.

تبعا للتفاوت في تحديد القضايا والأصول التي تدخل في هذا العلم، فالدعوة إلى الله هي الدعوة إلى قضايا الإسلام عامة، إلا أن فقه الدعوة إلى الله أعمُّ من ذلك أيضا، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فالدعوة إلى الله تتضمن الأمر بكل ما أمر الله به، والنهي عن كل ما نهى الله عنه"[1].

ومن أهل العلم من اعتبر هذا الفن بمثابة "الضوابط الكاملة للسلوك الإنساني، وتقرير الحقوق والواجبات"[2].

وهذه وجهة نظر فيها تعميم واسع.

وهناك من قصره على جوانب محدودة فعرّفه بأنه: "حث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل"[3].

والحق أن فقه الدعوة إلى الله تعالى علم يجمع بين طياته البلاغ العام لدين الإسلام، والدعاية إليه والتعليم، مع حَمْل الناس على تطبيقه وامتثاله في واقع الحياة، وذلك إنما يتوصل إليه بتقعيد وتأصيل وبيان للأحكام الشرعية المتعلقة بالبلاغ والإنذار، والداعية، والمدعو، والوسائل والأساليب على حد سواء.

وهذا كله يجمعه معنى البصيرة في الدعوة إلى الله، وهي التي أتت في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

وبناءً على ما سبق فإن التعريف المختار لهذا العلم هو أنه "علم بقواعد وأسباب وأحكام يتوصل بها إلى تمام تبليغ رسالة الإسلام للبشر عامة، وتعليم وتربية المستجيبين كافة"، **فيدخل في هذا التعريف، التعمق في فهم تاريخ**

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ١٦١).

(٢) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية للشيخ محمد الراوي (ص ١٢).

(٣) الدعوة إلى الإصلاح للشيخ محمد الخضر حسين (ص ١٧).

الدعوة، وموضوعها، وأسبابها، وأركانها، وأساليبها ووسائلها، ونتائجها، وأحكامها، والتبصر في حال المدعوين، وفهم الواقع وإدراكه، ووراثة الأنبياء في مقام الدعوة إلى الله[1].

المبحث الثاني: موضوعه

إن موضوع هذا العلم هو: الدعوة إلى الله وموضوع الدعوة هو: الإسلام بجوانبه المتعددة، عقيدة وشريعة وأخلاقا.

والحيثيات التي يتناول فقه الدعوة من خلالها موضوع الدعوة إلى الإسلام يمكن إجمالها فيما يأتي:

أ- الدعوة من حيث ما يجب فيها من أصول ومنطلقات، وما يعرض لها من مشكلات ومعوقات، وما يتعلق بها من آداب وأحكام.

ب- الداعي من حيث ما يجب عليه من واجبات، وما يتحلى به من صفات، وما يتخلى عنه من آفات.

ج- البلاغ والتعليم والتزكية من حيث وسائلها وأساليبها، وما يعرض لها من أحكام.

د- النوازل في باب الدعوة والإصلاح والتغيير من حيث معرفة أحكامها، وما يجب تجاهها.

وقد تناول المصنفون موضوع هذا العلم من حيثياته المختلفة بالشرح والبيان والتفصيل في كتب كثيرة، ومباحث ضافية، يضيق المقام عن حصرها واستقصائها[2].

---

(١) انظر حول هذا المعنى: فقه الدعوة إلى الله، د. علي عبد الحليم محمود، (١/١٨)؛ دار الوفاء، ط ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

(٢) راجع -على سبيل المثال-: (أصول الدعوة)، د. عبد الكريم زيدان، (المدخل إلى علم الدعوة)، د.محمد البيانوني، (الدعوة إلى الله)، د. توفيق الواعي، (الأصول العلمية للدعوة السلفية)، للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق، (منهج ابن تيمية في الدعوة إلى الله)، د. عبد الله الحوشاني، وغير ذلك.

المبحث الثالث: أسماؤه

لقد تناول الدعاة - في العصر الحديث - هذا الفن كثيرا، وصنفوا فيه كتبا ورمزوا له بأسماء عديدة، وقديمًا قال العلماء: إن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، فالدعوة إلى دين الله أشرف الأعمال، وقول الدعاة أحسن الأقوال.

ومن أشهر أسماء هذا العلم ما يأتي:

١- علم الدعوة:

وهذا أعم الأسماء وأوسعها وأشملها موضوعًا.

وقد كتب في هذا العلم بهذا الاسم طائفةٌ من الدعاة والكتّاب المعاصرين منهم **الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني** في كتابه **"المدخل إلى علم الدعوة"** وعرف هذا العلم فقال هو: "مجموعة القواعد والأصول التي يتوصل بها إلى تبليغ الإسلام للناس وتعليمه وتطبيقه"(١).

وكذا **الدكتور أحمد غلوش** في كتابه **" الدعوة الإسلامية"** حيث قال في تعريف هذا الفن بأنه " العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام، بما حوى عقيدة وشريعة وأخلاقا"(٢). وعلى هذا المنوال نسج كثير من الكتاب المعاصرين.

٢- أصول الدعوة:

وهذا المصطلح يشمل أدلة الدعوة ومصادرها، كما يشمل أركانها التي تقوم عليها، وهو وإن كان خاصا بقسم من أقسام فقه الدعوة إلا أن صنيع الكتاب والمصنفين يوحي بالتقارب بين المصطلحين، وعمل **الدكتور عبد الكريم زيدان** في كتابه **"أصول الدعوة"** يفيد هذا المعنى بوضوح، حيث شمل كتابه هذا الحديث عن الإسلام والدعوة إليه

(١) انظر: (ص ١٩).

(٢) انظر: (ص ١٠).

إجمالا، وإن خلا عــن تعريف اصطلاحيٍّ دقيق لدعوة إلى الله[1].

٣- مناهج الدعوة:

وهذا الإطلاق - في الأصل - يتناول خطط الدعوة ونُظُمها المرسومة لها، وقد يُستعمل هذا المصطلح فيراد به بيان أهداف الدعوة، وأصولها، وقواعدها، كما فعل **الأستاذ محمد سرور زين العابدين** في كتابه "**منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله**" حيث قال عن مقصوده من هذا المنهج " قصدت الأصول والأهداف التي كانت تجمع بين أنبياء الله جميعا، وهذا الذي يعنيه كثير من الكتّاب في عصرنا، وكما يقولون: لا مشاحّة في الاصطلاحات"[2].

٤- فقه الدعوة:

وهو على التعريف المختار يحوي علوما مختلفة، ويجمع فنونًا متعددة كنشأة الدعوة، وأصولها، ومناهجها، وأساليبها ووسائلها، بالإضافة إلى الأحكام الفقهية التي تتعلق بالداعي والمدعوّ والطرائق والأساليب، وبهذا الاسم صُنّفت كتب كثيرة في هذا المجال، ككتاب "**فقه الدعوة إلى الله**" **للدكتور علي عبد الحليم محمود**، "**وفقه الدعوة الإسلامية**" **للدكتور حسن عبد الرؤوف**، "**وفقه الدعوة**" **للدكتور جمعة الخولي**. وغير ذلك.

ومن الجدير بالذكر أن أبواب هذا الفن قد أفردت بالتصنيف؛ بل وأفردت بالدراسة باعتبار أنها علوم مستقلة -أحيانًا-، فقد دأبت كليات ومعاهد الدعوة في جامعات العالم الإسلامي على تدريس مناهج الدعوة، وتاريخ الدعوة، وأصول الدعوة، ووسائلها وأساليبها، كلاً على حدة بطريقة منهجية متخصصة.

---

(١) انظر: (ص ٣٩٥) مثلا في توضيح ذلك.

(٢) انظر: (١/ ٣٦).

المبحث الرابع: حكمه

اتفق العلماء على وجوب الدعوة، واختلفوا في نوعية الوجوب، هل على التعيين أم على الكفاية؟.

وقد استدل العلماء القائلون بالوجوب العيني بأدلة منها:

أ- أن لفظة "مِنْ" في قوله تعالى ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. هي للبيان والتبيين، وليست للتبعيض؛ وذلك بقرينة الأدلة الأخرى التالية، فتفيد هذه الآية عندهم توجيه الخطاب بالدعوة إلى جميع المكلفين، فتكون الدعوة واجبة على كل فرد مسلم بقدر استطاعته[1].

ب- عموم قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾[آل عمران: ١١٠] ، فجعلت الآية الدعوة سمة عامة من سمات الأمة المسلمة، فتكون واجبة عليها جميعا؛ وكذلك كل فرد ينتمي لهذه الأمة تحت هذه السمة.

جـ- وبقوله ﷺ: **"من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"**[2]؛ فإن "مَنْ" من صيغ العموم فيعم الحكم جميع المكلفين.

د- وعموم قوله ﷺ: **"لِيُبْلِغ الشاهدُ الغائب، فإن الشاهد عسى أن يُبلغ من هو أوْعى له منه"**[3] فالحديث يأمر كل شاهد أن يبلغ الغائب عساه أن يكون

(١) راجع هذا المعنى في كل من: تفسير ابن كثير (٢/١٩٥ - ١٩٦)، وتفسير الرازي (٧/١٧٧ - ١٧٨)، وتفسير القرطبي (٤/١٦٥)، وغيرها.

(٢) رواه مسلم (٤٩).

(٣) رواه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩) بنحوه.

أوعى منه، وهذا يستفاد منه عموم خطاب الأمة بالدعوة.

واستدل العلماء القائلون بالوجوب الكفائي بأدلة، منها:

أ- أن **لفظة "مِنْ"** في قوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ**﴾... الآية. هي للتبعيض، وذلك بقرينة الأدلة الآتية:

ب- وقوله سبحانه: ﴿**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾[التوبة: ١٢٢].

ج- وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عملٌ يحتاج إلى علم وبصيرة بالشروط والأحوال، وهذا لا يتوفر في جميع المسلمين، فيكون الواجب على من توفر فيه الشرط، فإذا قام بواجب الدعوة من توفرت فيهم الشروط سقط الإثم عن الباقين. إلى غير ذلك من أدلة.

وقد اختلف العلماء أيضًا في ترجيح أحد القولين على الآخر:

فمنهم من رجح القول الأول، ومنهم من رجح القول الثاني، ومع كون أدلة الفريق الثاني أظهر وأقوى، وعليها جمهور العلماء، إلا أن ثمرة الخلاف العملية تقلّ للاعتبارات الآتية:

أ- اتفاق الطرفين عى أصل الوجوب.

ب- لأن الذين قالوا بالوجوب الكفائي، يتفقون مع الآخرين على أنه إذا لم تحصل الكفاية لم يسقط الحكم عن الباقين، ويبقى الخطاب متوجه إلى الجميع كلٌّ بحسبه، حتى تتحقق الكفاية، وإذا لم تتحقق الكفاية أَثِمَ الجميع.

ج- ولأن الذين قالوا بالوجوب العيني، قيدوا الوجوب بالاستطاعة، فمن لم يكن عالما بحكم المنكر لا يُعدُّ مستطيعا بالاتفاق، وكذلك من كان عاجزًا عن تغيير المنكر سقط عنه الوجوب، فلا يترتب على القول بالوجوب العيني حرجٌ

على أحد لا يقدر على الإنكار.

د- ولأنه لو سقط الوجوب بقيام من تتحقق بهم الكفاية، بقي حكم الندب، فيُندب جميع المسلمين إلى القيام بالدعوة استدلالا بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]. وبغير ذلك من نصوص شرعية ترغب في الدعوة، وترتب على فعلها الثواب العظيم. هذا كله من جهة، ومن جهة أخرى: أن تصور تحقق الكفاية في جانب الدعوة أمْرٌ شبه مستحيل؛ لأن للدعوة الإسلامية مجالين أساسيين:

الأول: دعوة غير المسلمين للإسلام.

الثاني: دعوة المسلمين أنفسهم إلى الإسلام، على مختلف درجاتهم فيه.

وكلا المجالين متجدّد، وتستمر الحاجة إلى الدعوة فيه، ولا يمكن أن تتصور الكفاية فيهما إلا على نطاق نادر ومحدود؛ لأن تجديد مجال الدعوة يحتاج دائمًا إلى مزيد من الدعاة إلى الله، مما يصعب معه تصور تحقق الكفاية فيها.

ومن هنا كانت النصيحة مطلوبة من جميع المسلمين، بل كان الدين النصيحة، كما في قوله ﷺ: "**الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامّتهم**"[1]، وكان التواصي بالحق والتواصي بالصبر شرطين أساسين من شروط النجاة في الحياة كما نص القرآن الكريم في سورة العصر على ذلك[2].

شبهات حول حكم الدعوة والردّ عليها:

---

(١) رواه مسلم (٥٥).

(٢) سورة العصر (الآية ٣).

الشبهة الأولى:

الفهم السقيم لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، حيث فهم منها البعض أنه يسعه القعود عن واجب الدعوة إذا كان مهتديا ومستقيما في نفسه. والرد عليه من وجوه متعددة منها:

أ- ما ثبت عن الصديق ﷺ أنه قال: "يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتتأولونها على غير تأولها، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول "**إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده**"(١).

ب- وردَّ ابن تيمية(٢) على هذه الشبهة ردا وافيا نلخصه فيما يلي:

١- أن هذا التأويل إنما يقبل إذا قوي أهل الفجور حتى لا يبقى لهم إصغاء إلى البر، بل يؤذون الناهي؛ لغلبة الشح والهوى والعجب قال رسول الله ﷺ: "**إذا رأيت شحا مطاعا، وهوى متبعا، وإعجاب كل ذي رأي برأيهَ فعليك بِخُوَيْصَةَ نفسك**"(٥).

٢- أنه لا يتم الاهتداء -المذكور في الآية- إلا إذا أطيع الله وأُدِّي الواجب من الأمر والنهي وغيرهما.

ثم ذكر شيخ الإسلام فوائد عظيمة في هذه الآية، منها ما يزيد معنى الآية وضوحًا مثل:

- أن لا يخاف المؤمن من الكفار والمنافقين؛ لأنهم لن يضروه إذا كان مهتديًا.

---

(١) رواه أبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٢١٦٨) وقال: هذا حديث صحيح، وأحمد (٢٩، ٥٣)، وصححه ابن حبان (٣٠٤)، الضياء المقدسي في "المختارة" (١/١٤٧) والألباني في "المشكاة" (٥١٤٢).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، (١٤ - ٤٧٩).

(٥) رواه الحاكم وصححه (٤/٣٥٨)، وابن حبان (٣٨٥) وصححه، رواه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨) وقال: حسن غريب، ابن ماجه (٤٠١٤).

- أن لا يحزن عليهم ولا يجزع عليهم؛ فإن معاصيهم لا تضرّه إذا اهتدى، والحزن على ما لا يضر عبث.

- أن لا يعتدي على أهل المعاصي بزيادة على المشروع في بغضهم أو ذمهم أو نهيهم أو هجرهم أو عقوبتهم؛ بل يقال لمن اعتدى عليهم: عليك نفسك لا يضرك من ضل إذا اهتديت[(١)].

جـ- ومما يدل أيضاً على فساد هذا الفهم أقوال ومواقف السلف الصالح، والعلماء العاملين من قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علماً وعملاً فمن ذلك: قول سعيد بن المسيب: "إذا أمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر فلا يضرك من ضل إذا اهتديت"[(٢)].

وما روى عامر الشعبي من أن رجالا خرجوا من الكوفة ونـزلوا قريبا يتعبدون، فبلغ ذلك عبد الله بن مسعود، فأتاهم ففرحوا بمجيئه إليهم، فقال لهم: ما حملكم على ما صنعتم؟ قالوا: أحببنا أن نخرج من غمار الناس نتعبد. فقال عبد الله: لو أن الناس فعلوا مثل ما فعلتم فمن كان يقاتل العدو! وما أنا ببارح حتى ترجعوا[(٣)]" وهذه الحال - حال الصحابة والسلف الصالح -رضوان الله عليهم- ذكرها عبد الله بن المبارك في كتاب الزهد، وهو يعرف معنى الزهد الحقيقي.

والزاهد العارف الكامل هو الذي "لا يبالي منهم -أي العصاة- ولا يهرب منهم؛ بل يطلبهم؛ لأنه يصير عارفا لله... المبتدي يهرب من الفساق والعصاة والمنتهي يطلبهم"[(٤)]. والمعتزل لدعوة العصاة كالخفاش **ويقول ابن الجوزي في**

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، ط ١٤١٨هـ، (١٤/٤٨٠ - ٤٨١).

(٢) ابن جرير في تفسيره (٧/٩٨).

(٣) كتاب الزهد: عبد الله بن المبارك. دار الكتب العلمية. لبنان. ١٣٨٦. (صـ٣٩٠).

(٤) الفتح الرباني: لعبد القادر الجيلاني.

ذلك: "الزهاد في مقام الخفافيش؛ قد دفنوا أنفسهم بالعزلة عن نفع الناس، وهي حالة حسنة... إلا أنها حالة الجبناء، فأما الشجعان فهم يتعلمون ويعلّمون، وهذه مقامات الأنبياء عليهم السلام"(١).

والمؤمن القوي خير وأحب عند الله من المؤمن الضعيف.

الشبهة الثانية:

انتشار الباطل في الأرض وعدم جدوى الدعوة إلى الله:

يتعلل بعض التاركين للدعوة المنعزلين في صوامعهم بأن الباطل قد كثر، و لم تعد في الناس استجابة.

والرد على هذه الشبهة في النقاط الآتية:

١- أن الداعية أُمر بالدعوة و لم يؤمر بإدراك النتائج، ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿**مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ**﴾[المائدة: ٩٩]، وقوله تعالى ﴿**لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ**﴾[البقرة: ٢٧٢]، يقول الدكتور عبد الكريم زيدان: "إن الواجب على المسلم هو القيام بواجب الدعوة إلى الله، سواء حصل المقصود واستجاب الناس، أو لم يستجيبوا(٢)".

٢- ولقد رد الله تعالى على هذه الشبهة فقال: ﴿**وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾[هود: ٣٦]، ويقول أيضا: ﴿**وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ**﴾[هود: ٤٠] فظل يدعوهم خمسين وتسعمائة عام فلم يؤمن إلا القليل؛ ومع ذلك يأمره ربه بألا يبتئس، وقد قال النبي ﷺ واصفاً يوم القيامة "**عرضت عليَّ الأمم فرأيت النبيَّ ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي ليس معه أحد**"(٣).

(١) صيد الخاطر (صـ ٢٢٤).

(٢) أصول الدعوة: لعبد الكريم زيدان.. صـ٣٠٥.

(٣) البخاري (٥٤٢٠)، ومسلم (٢٢٠) بلفظ قريب.

٣- وأخبرنا الله عن الفرقة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر، والفرقة التي سكتت عن أصحاب السبت إذ قالت الثانية للأولى: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً﴾ فقالت الأولى ﴿مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤]. أي: بما أخذ علينا من واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فنحن نعتذر إلى ربنا لا نملك إلا أن ندعو هؤلاء العصاة ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: ولعل هذا الإنكار يكون سببا في هدايتهم، وهذه إشارة إلى أنه ما دام هناك احتمال قبول الدعوة فلابد من الاستمرار(١).

٤- "وإن الكرام قليل، وأما الأكثرون فدون ذلك، في درجات متنازلة حتى يكون اللئيم والكاذب وآكل الحرام، هي حكمة ربانية جعلت نقباء الفضل في الناس الأقل، لكن قوة التأثير إنما تأتي من وحدة المنهج، ومن وحدة الأجيال حين تتوارث الخبر"(٢).

الشبهة الثالثة:

الاعتذار الدائم بالنقص في الداعية مما يجعله لا يدعو غيره حتى يكمل نفسه:

ويرد على هذا من وجوه:

١- لو استمسك كل داعية بهذه الشبهة ما دَعَى أحدٌ أحدًا؛ لأن الإنسان مهما بلغ صلاحه معرّضٌ للآثام، ولكن الداعية لا يصُّر عليها، بل يخلع ربقتها، ويتوب من وزرها.

٢- "وما النقصان في أفراد الدعاة -إذا سلمنا بهذه الدعوى- إلا ظاهرة متوقعة محسوبة مهما وصفت الكتابات العلو المطلوب؛ لأن هذا العلو إنما يُضرب كمَثَل ورمز وغاية؛ ليصل من يصل إلى نصف الوصف النموذجي وثلثيه وثلاثة أرباعه"(٣).

---

(١) أصول الدعوة، لعبد الكريم زيدان: (٣٠٥).

(٢) نحو المعالي: لمحمد أحمد الراشد. ص (٦٩ - ٧٠).

(٣) نحو المعالي: (٦٨).

٣- "ما يكاد يقارب الأعالي الحقيقية إلا قلائل، ولا يتقمص الملائكية أحد، إنما هو التسديد والمقاربة، والتشبه والمحاولة والرجاء، وتزداد درجة المحاسن النسبية للدعاة وضوحا إذا كانت المقارنة بينهم وبين جمهرة السوء في المجتمع"(١).

٤- ثم إن العمل في مجال الدعوة بإخلاص يطهّر النفس ويزكيها؛ لأنه ساعتها يعلم الداعية أنه كالقوارير أي شيء يعيبها فلا يتقاعس في إصلاح نفسه.

٥- ويقول القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾[المائدة: ٧٩]: "قال بعض الأصوليين: فرض على الذين يتعاطون الكئوس أن ينهي بعضهم بعضًا، واستدلوا بهذه الآية، قالوا: لأن قوله: ﴿كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ يقتضي اشتراكهم في الفعل وذمهم على ترك التناهي"(٢).

المبحث الخامس: فضله

إن فضائل هذا العلم الشريف والعمل المبارك لمما يجلُّ عن الحصر، ويفوق على العَدِّ، وهذه إشارات وتنبيهات؛ ليشمر السالكون، ويجتهد السائرون، ويتفانى المخلصون في ساحة الدعوة إلى الله:

أ- **الدعوة مهمة الأنبياء ووظيفة المرسلين.**

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً﴾[الأحزاب: ٤٥ - ٤٦]. ففي هذه الآية بعد أن كرّم الله النبيَّ ﷺ بندائه بلفظ (النبي) ذكر له المهمة التي من أجلها أرسل ومنها الدعوة إلى الله، ولا شك أن المهمة التي يكلف بها الكريم ذو الشرف لابد أن تكون كريمة ذات شرف، وقال ﷺ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[يوسف: ١٠٨]. **قال ابن القيم**: "فمن دعا إلى الله تعالى فهو على سبيل

(١) السابق: (٦٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار التراث العربي - لبنان ١٩٦٥م، (٦/٢٥٣ - ٢٥٤).

رسوله ﷺ وهو على بصيرة، وهو من أتباعه، فالدعوة إلى الله تعالى وظيفة الرسل وأتباعهم، وهم خلفاء الرسل من أممهم والناس تبع لهم"(١).

ب- دعاء النبي ﷺ والملائكة وأهل السماوات والأرض للدعاة:

روى أبو سعيد الخدري ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال: "**نضر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلّغه كما سمعه، فرب مبلِّغ أوعى من سامع**"(٢).

ومن حصلت لوجهه النضارة فقد حصلت له البشارة يومئذ، كما قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢]. وليس الأمر بقاصر على دعائه ﷺ؛ بل الأمر يتعدى إلى دعاء الملائكة وأهل السماوات والأرض للدعاة، فقد روى أبو أمامة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "**إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلّم الناس الخير**"(٣).

جـ- الدعاة تلحقهم فضيلة الغرباء:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ غريبا فطوبى للغرباء**"(٤) وفي رواية أخرى "**فطوبى للغرباء الذين يصحلون ما أفسد الناس من سنتي**"(٥). وطوبى: شجرة في الجنة، أو فُعلى من الطيب إشارة إلى كل مستطاب من الجنة، من بقاء بلا فناء، وعز بلا ذل، وغنىً بلا فقر.

د- الدعاة هم سبيل هداية الخلق إلى الحق تعالى:

ويمكن بيان ذلك بتأمل قوله تعالى: ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ

(١) التفسير القيم لابن القيم (صـ٣٤).

(٢) رواه الترمذي (٢٦٥٧) وقال الترمذي:حسن صحيح، وأبو داود (٣٦٦٠)، وابن ماجه (٢٣٠)، (٢٣١)، والدارمي، وصححه الحاكم (١/١٦٢، ١٦٤)، وابن حبان (٦٦) (٢٢٧)، وأحمد (٤١٥٧).

(٣) رواه الترمذي (٢٦٨٥) وقال حسن غريب صحيح، وابن ماجه (٢٣٩) بنحوه.

(٤) رواه مسلم (١٤٥).

(٥) الترمذي (٢٦٣٠) وقال: حسن صحيح.

﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢] فجعل الله الدعاة سبل هداية لقومهم.

وفي الصحيحين عنه ﷺ أنه قال "**فوالله لأن يهديَ الله بك رجلا خير لك من أن تكون لك حمر النعم**"(١)، ففي هذا الحديث يحث الرسول ﷺ أمته لتكون سبل هداية للخلق بدعوتهم إلى الله.

هـ- الدعاة موضع ثناء الله تعالى:

لقد أثنى الله على الدعاة إليه في مواضع منها:

قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾[فصلت: ٣٣].

يقول الشيخ ابن باز -رحمه الله: "هذه الآية الكريمة من أوضح لآيات في الدلالة على فضل الدعوة، وأنها من أهم القربات، ومن أفضل الطاعات، وأن أهلها في غاية الشرف، وفي أرفع مكانة، وعلى رأسهم الرسل عليهم الصلاة والسلام"(٢).

ويقول الدكتور عبد الكريم زيدان: "مكانة الداعي إلى الله في الإسلام مكانة عظيمة جدا، فقوله في الدعوة إلى الله أحسن الأقوال في ميزان الله، وهو صدق الموازين، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ**﴾ وهذه الآية كما قال أهل التفسير عامة فيمن دعا إلى الله وهو في نفسه مهتد يعمل الخير، ويؤدي الفرائض، ويتجنب المحارم. إن كلمته في الدعوة إلى الله لاسيما عند الجحود وشيوع التمرد على الله هي أحسن كلمة تقال في الأرض، صاحبها بهذه الصفة من الصلاح في نفسه مع استسلامه لله رب العالمين".

---

(١) البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٦).

(٢) رسالة في الدعوة إلى الله للشيخ ابن باز (صـ ١٥).

و- مقام الدعوة من أعظم مقامات العبد:

فقد رأى السلف الصالح -بما فهموه من نصوص الكتاب والسنة- أن مقام الدعوة من أعظم مقامات العبد، والمطالع لكلامهم يرى ذلك:

عندما سئل الإمام أحمد عن الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك، أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: "إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين، وهذا أفضل"(١).

يقول ابن الجوزي: "الزهاد في مقام الخفافيش، قد دفنوا أنفسهم بالعزلة عن نفع الناس، وهي حالة حسنة إذا لم تمنع من خير: من جماعة، واتباع جنازة، وعيادة مريض، إلا أنها حالة الجبناء، فأما الشجعان فهم يتعلمون ويعلمون، وهذه مقامات الأنبياء عليهم السلام"(٢).

ح- أجور الدعاة مضاعفة أبدًا:

يقول ابن القيم "فالعالم الذي قد عرف السنة، والحلال من الحرام، وطرق الخير والشر، مخالطته للناس وتعليمهم ونصحهم في دينهم أفضل من اعتزاله وتفريغ وقته للصلاة وقراءة القرآن والتسبيح"(٣). فهي أعظم من النوافل مطلقًا.

وروي عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا "**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا يُنقص ذلك من أجورهم شيئًا**"(٤). وعن ابن مسعود "مرفوعا "**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**"(٥).

---

(١) صيد الخاطر (ص ١٣٠).

(٢) صيد الخاطر:(ص ٢٢٤).

(٣) عدة الصابرين لابن القيم: (ص٩٣).

(٤) رواه مسلم (٢٦٧٤).

(٥) رواه مسلم (١٨٩٣).

يقول ابن باز -رحمه الله- "وإن الداعي إلى الله تعالى يعطى مثل أجور من هداه الله على يديه، ولو كان آلاف الملايين، تعطى أيها الداعية مثل أجورهم، فهنيئاً لك أيها الداعي إلى الله بهذا الخير العظيم"(١).

ط- الدعوة إلى الله سبيل حفظ الدين وحماية المجتمع:

إن حفظ الدين مقصود المقاصد، وأصل الضرورات والغايات، والدعوة إلى الله تعالى على وجهها الصحيح سبيل لحفظ الدين من الوهن والتبديل والتغيير، وإذا قام الدعاة بواجبهم على الوجه الأكمل فقد حفظت سفينة المجتمع أن تغرق في بحار الشهوات والشبهات المضلة.

ودليل ذلك ما رواه الإمام البخاري في صحيحه من حديث النعمان بن بشير -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: "**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوْا مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يُتركوا وما أرادوا هلكوا، وإن أخذوا على أيديهم نجوْا جميعًا**"(٢).

فبالدعوة: يحفظ الدين، وتدفع عن الإسلام الغربة، وهذا بشهادة التاريخ من لدن الصحابة -رضوان الله عليهم- إلى يوم الناس هذا.

ي- حرمة الدعاة كحرمة الأنبياء:

لقد قرن الله تعالى بين حرمة دم الأنبياء ودم الدعاة فقال ﷻ ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا**

(١) رسالة في الدعوة، للشيخ ابن باز، (صـ ١٥).

(٢) صحيح البخاري (١٤٩٣)، (٢٣٦١).

﴿وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٢١]. وفي الحديث "**أعظم الشهداء حمزة؛ ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله**"[١].

وفي رواية أن رجلا سأل النبي ﷺ -وقد وضع رجله في الغرز- أيُّ الجهاد أفضل؟ قال: "**كلمة حق عند سلطان جائر**"[٢].

ولعل السر في رفع منـــزلة جهاد الحجة والدعوة: أن الداعية ربما يدخل المعركة وحيداً فريدا، وليس له إلا احتمال واحد هو الشهادة، أما مجاهد المعركة فيؤمل إحدى الحسنيين، ومعه إخوانه وأعوانه يدعمونه ويناصرونه؛ فكان هذا سببا لتفضيل الأول.

ختامًا: قال علي ﷺ: "اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم بحجة إما ظاهرًا مشهورًا، وإما خائفا مغمورا؛ لئلا تبطل حجج الله وبيناته، وكم ذا وأين؟ أولئك -والله- الأقلون عددًا، والأعظمون عند الله قدرًا، يحفظ الله بهم حججه وبيناته، حتى يودعوها نظراءهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين واستلانوا ما استرعى المترفون، وأَنِسُوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان متعلقة بالمحل الأعلى، أولئك خلفاء الله في أرضه، والدعاة إلى دينه، آه ألا شوقا إلى رؤيتهم"[٣].

المبحث السادس: نشأته

بدأت الدعوة الإسلامية أول ما بدأت عِلْما وعملا، إذ قام رسول الله ﷺ

---

(١) الحاكم (٣/٢١٥) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) رواه النسائي عن طارق بن شهاب بإسناد صحيح رقم (٤٢٠٩)، وابن ماجه رقم (٤٠١١)، أبو داود (٤٣٤٤) الترمذي (٢١٧٤) وقال حسن غريب من هذا الوجه، وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (١٦٨). وقال الضياء في "المختارة" (٨/١١٠): "إسناده صحيح".

(٣) كشف الكربة بوصف حال أهل الغربة، لابن رجب، (ص٢٣).

بين الناس داعيا إلى الله، يتلو عليهم آياته، ويُعَلِّمُ من استجاب منهم لدعوته الكتاب والحكمة، ويزكيهم.

وتحمَّلَ رسول الله ﷺ في سبيل ذلك ما تحمل، وصبر وصابر حتى أظهر الله دينه، وأعلى كلمته، وحَقَّق للمؤمنين وعده، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[التوبة:٣٣].

فتبعه على ذلك صحابته الأكرمون، وخلفاؤه الراشدون، فكانوا هادين مهديين، تابعوا المسيرة، وحملوا الأمانة، وجاء من بعدهم التابعون لهم بإحسان، فاقتفوْا آثارهم، وقاموا بوظيفتهم حق القيام.

ثم تبعهم في ذلك أجيال وأجيال، نشروا هذا الإسلام، وبلغوا فيه كل مَبْلغ، وتضافرت على حمل هذه الرسالة في تلك العصور جميع اجهود الفردية والجماعية، حيث كان الفرد المسلم يرى في الدعوة إلى الله حياته ومناط سعادته في الدنيا والآخرة، فلا يصرفه عنها صارف، ولا يثنيه عن القيام بواجبها عَقَبَةٌ من العقبات، فيبذل في سبيل دعوته كل شيء.

وفي الوقت الذي اتجهت فيه العلوم للتأصيل والتقعيد كان علم الدعوة أقوالا مأثورة وشذرات منثورة، ولم يكن علما بالمعنى الاصطلاحي للعلم؛ لأن مبعث العلم الحاجة إليه، ولم يكن المجتمع الإسلامي مهجورا أو غريبا، وإنما كان قائمًا فاعلاً ناشئا وأكثر أفراده يمارسون الدعوة كما يعيشون، وكما يأكلون ويشربون.

كما كانت الدولة المسلمة ترى الدعوة إلى الله أولى وظائفها، وأول واجباتها، بل ترى الدعوة سِرَّ وجودها وقيامها، فكانت للدعوة تُخطط، ولصالحها تتحرك داخلياً وخارجياً، تحفظ الأحكام، وتطبق النظام وتقيم الحدود، وترسل الدعاة، وتستقبل الوفود، وتسد الثغور، وتنظم الجيوش، وتُعد العدة.

كل هذا جعل المجتمع الإسلامي بكل وحداته ومؤسساته مجتمعا دعويا

يعمل لصالح هذه الدعوة، ويحقق ما وصفه الله تعالى بقوله: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

ومجتمع كهذا المجتمع، لم يكن في حاجة ليبرز فيه علم خاص يعرف بعلم الدعوة، أو توجد فيه مؤسسات دعوية، وأخرى غير دعوية، حتى خلف في المسلمين خَلْف أضاعوا كثيرا من تلك الخصائص، وغفلوا عن كثير من هذه الواجبات، فكانت هناك مجتمعات كثر فيها القاعدون، وقل فيها الدعاة العاملون، كما نمت فيها مفاهيم مغلوطة فصلت العلم عن العمل، وأضاعت بركته، وأفرزت عناصر تهتم بالعلم على حساب العمل، وأخرى تعمل على جهل، وذلك على مختلف المستويات الفردية والجماعية، فتتابعت بذلك على المسلمين المصائب، وفقدت الدعوةُ كثيراً من حيويتها وحركتها، إلى أن طُعِنت الدعوة الإسلامية في أعلى مؤسساتها، وأقوى دعائمها بسقوط الخلافة الإسلامية، فكانت قاصمة الظهر.

ثم استيقظ بعض المسلمين من غفلتهم، وعرفوا عِظَمَ مصيبتهم، واجتهدوا في النهوض بدعوتهم، فكانت هناك محاولات فردية وجماعية، وتعددت في سبيل ذلك الاجتهادات العلمية والعملية، وانبثقت الحاجة الجديدة إلى وجود علم يعرف بعلم الدعوة، يعتمد على فهم الكتاب والسنة، ويقوم على سنن النبوة الطاهرة، والخلافة الراشدة، ويستنير بالتجربة الطويلة الرائدة لرحلة الدعوة على مدى العصور والأزمان، ويعود بالمسلمين إلى وظيفتهم التي أُخرجوا بها للناس ليكونوا خير أمة، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فكتب حول الدعوة الكاتبون والدعاة ما كتبوا، وقدموا لخدمة هذا العلم ما قدموا، حتى قامت باسم الدعوة منظمات ومؤسسات، وعرف بها أفراد

وجماعات، وأصبحنا في عصر صارت فيه الدعوة علْما من العلوم المتعددة، له مؤسساته التعليمية، ومناهجه الدراسية.

وبرزت الحاجة إلى هذا العلم ملحة، نظرا لما يكتنف العمل الدعوي الحالي من غموض في بعض مفاهيمه، وخلل واضطراب في بعض أصوله وقواعده، ومعاناة كبيرة من قصور مناهجه، وخطأ أساليبه، وضعف وسائله، وكثرة ودقة نوازله.

فلا عجب أن يؤصل للدعوة، ويقعد لها، ويرشد إلى العلوم التي يجب على الداعي تعلمها حتى تتعمق ثقافته، وفقهه، ووعيه، وحتى يساير ركب التقدم والرقي ويأخذ بأسباب الحياة الطيبة، فعن زيد بن ثابت ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: "**تُحسن السريانية؟ إنها تأتيني كتب**، قال: قلت: لا. قال: "**فتعلمْها**"، فتعلمتها في سبعة عشر يوما"[1].

المبحث السابع: نسبته

يقصد بنسبة العلم علاقته بغيره من العلوم، وارتباطه بما عداه من الفنون، فالداعية إلى الله يدعو إلى كلٍّ من الملة والشريعة والمنهج، ولدارس للملة والشريعة لابد له من معرفة المنهج والطريق الصحيح لذلك، فكل اختصاص من هذه الاختصاصات مفتقر إلى غيره، وإذا كان ثمة فارق، فإنما هو في نوعية التخصص من جهة، ومدى عناية أصحاب كل تخصص بتعميق وتأصيل بعض المواد العلمية المتعلقة بتخصصهم أكثر من بعض المواد الأخرى من جهة أخرى.

فإذا كانت أقسام العقيدة تُعنى أول ما تُعنى بدراسة العقيدة التي تتناول أصول الملة وفروعها، ودراسة الملل والنحل الأخرى، فإنه لا غنى لدرس العقيدة عن دراسة الأحكام الشرعية ومعرفتها، وعن بصيرة بالمنهج والأسلوب الذي يدرس به هذه العقيدة ويدعو به إليها؛ لتسلَمَ له عقيدته، ويعلم كيف يدعو إليها

(١) رواه الحاكم وصححه (٤٧٧/٣)، و ابن حبان (٧١٣٦).

ويعلمها ويطبقها في حياته، وإلا كانت دراسته نظرية مجردة.

وإذا كانت أقسام القرآن والسنة، وأقسام الأصول والفقه، تُعنى أول ما تُعنى بدراسة القرآن الكريم والحديث الشريف، وبدراسة أصول الفقه وأحكام الفقه، فإنه لا غنى لدارس هذه العلوم من معرفة صحيحة بالملة والعقيدة التي تُعد أساسا لها، ومن بصيرة بالمنهج والأسلوب الذي يدرس به هذه الشريعة، ويدعو به إليها؛ ويعلمها للناس، ويعمل على تطبيقها في حياتهم، وإلا كانت عباداته جافة، وأضحت دراسته للكتاب والسنة نظرية مجردة.

وإذا كانت أقسام الدعوة تُعنى أول ما تعنى بدراسة تاريخ الدعوة، وأصولها، والتعرف على مناهجها، وأساليبها ووسائلها، وما إلى ذلك، فإنه لا غنى لدارس الدعوة من معرفة صحيحة بالملة والعقيدة، وإلمام وافٍ بالأحكام الشرعية العملية؛ لتسلم له عقيدته وشريعته ويكون على بصيرة بما يدعو إليه من جهة أخرى، وإلا كانت دعوته على ضلال، وعمله في غير هدى، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

ومن هنا يتبين: أن اختلاف الأقسام العلمية في ترتيب أولوياتها، وفي تقديم مادة علمية على غيرها، إنما يعود إلى واقع تخصصها، وطبيعة ميدانها فحسب، ولا صلة له بتفضيل علم على علم، أو ترجيح تخصص على غيره، بل لابد لكل قسم من هذه الأقسام أن يقدم للدارسين فيه الحد الأدنى الكافي من العلوم الأخرى، وإن لم تكن من تخصصه في الأصل.

ويمكننا أن نضرب مثلا حسيا يبرز صلة هذه الاختصاصات العلمية بعضها ببعض، ويكشف عن مدى الترابط بينها:

فإن مثل الملة والشريعة والمنهج، مثل الماء الصافي الذي ينبع من مكان معين، ثم يمشي في جداول وسواقي يروي الأرض، وينبت الزرع، ويستقي منه الناس.

فأصل النبع ومكانه يمثل (الملة الواحدة الثابتة)، والماء المتدفق الجاري الذي يروي الأرض، وينبت الزرع، ويستقي منه لناس، يمثل (الشريعة الكاملة المستمرة) والجداول والسواقي المنتشرة هنا وهناك، التي يجري الماء في إطارها، ويتمكن الناس بسببها من الاستفادة من الماء على وجه متكامل صحيح، تمثل (المنهج الواضح).

فإن أي ضعف أو ضمور في النبع ومصدر الماء، يؤثر تأثيرا كبيرا في كمية الماء الذي يصدر عنه، فيضعُفُ سيره في الجداول والسواقي، وتقلُّ فائدته، وقد تصاب مناطق كثيرة -بسبب ذلك- بالجفاف والجدب.

كما أن أي رافد غريب قد يرفد هذا النبع، يعكر من صفو الماء، ويخرجه عن طبيعته الأولى، وأي خلل في الجداول والسواقي التي تشكل طريق هذا الماء، قد يحول دون انتشاره، ويقلل من الاستفادة منه، كما قد يضر انتشاره حيث لا يراد انتشاره فيه، أو يتأخر وصوله إلى المكان الذي ينتظره بسبب ذلك... وهكذا.

فإنه بقدر حرصنا ومحافظتنا على سلامة المنبع وبقائه، وسلامة الجداول والسواقي وكثرتها، يمكننا أن نحافظ على صفائه وقوة تدفقه وعظم آثاره وفوائده، وبقدر إهمالنا لذلك المنبع، أو غفلتنا عن تلك الجداول نعاني من تكدُّر الماء وتغير طبيعته، وقلة تدفقه، وضعف أثره.

المبحث الثامن: استمداده

إن مصادر علم فقه الدعوة يمكن حصرها بالنظر إلى تعريف هذا الفن وموضوعه؛ فإذا كان هذا العلم هو الإلمام بقواعد وأسباب وأحكام يتوصل بها إلى تبليغ رسالة الإسلام للكافة، وتعليم وتزكية المستجيبين عامة، فإن مصادر رسالة الإسلام مصادر لهذا العلم، وإن ما في الواقع من أسباب وتجارب، ووقائع ووسائل جرى على استعمالها الدعاة قديما وحديثا من روافد هذا الفن.

وعلى أية حال فإنه يمكننا إجمال الأدلة والمصادر جميعها في نوعين

أساسين، هما:

أ- الأحكام الشرعية المعتمدة على الأدلة الشرعية -الأصلية منها والتبعية-: الكتاب والسنة، والإجماع والقياس، والاستحسان، والاستصلاح والاستصحاب وما إلى ذلك.

ب- التجارب العملية الصادرة عن العلماء والدعاة في ضوء تلك الأحكام الشرعية.

وسنقتصر في هذا المقام على التعريف بتلك المصادر الأساسية، وبيان خصائصها دون التعرض لأمور أخرى تتعلق بها؛ وذلك مراعاة لطبيعة الموضوع وحاجة الدعاة، مع ملاحظة الاستغناء عن ذكر دليل الإجماع والقياس من الأدلة الأصلية، وغير ما من الأدلة التبعية التي تُذكر في كتب أصول الفقه؛ لرجوعهما في الحقيقة إلى الكتاب والسنة، واختصاص العلماء بها من جهة؛ ولاعتماد العلماء والدعاة عليها في تعاملهم مع الوقائع والأحداث من جهة أخرى.

المصدر الأول: "القرآن الكريم"

تعريفه:

أ- في اللغة: مصدر قرأ يقرأ، وقيل في أصول اشتقاقه غير ذلك؛ يقول الراغب الأصفهاني في كتابه "المفردات في غريب القرآن": "والقرآن في الأصل مصدر نحو: كفران ورجحان، قال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾[القيامة:١٨-١٩]. قال ابن عباس: إذا جمعناه وأثبتناه في صدرك، فاعمل به.

وقد خُص بالكتاب المنـــزل على محمد ﷺ، فصار له كالعلم.

قال بعض العلماء: تسمية هذا الكتاب قرآنا من بين كتب الله؛ لكونه جامعا لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم، كما أشار تعالى إليه بقوله: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يوسف: ١١١]. وقوله: ﴿تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ. . . ﴾[1]. [النحل:٨٩]

(١) المفردات في غريب القرآن، للراغب، (صـــ٤٠٢) ت أحمد سيد كيلاني.

ب- وفي الاصطلاح: هو كلام الله ﷻ، المنــزل على رسوله ﷺ، المنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته.

كما يمكن أن يفصّل في التعريف بالتوسع في ذكر أهم خصائصه فيقال: "هو كلام الله ﷻ، المنــزل على رسوله ﷺ بلسان عربي مبين، المنقول إلينا بالتواتر، والمتعبد بتلاوته، المكتوب في المصاحف، والمعجز في لفظه ومعناه، والمبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس"(1).

فخرج بقولنا "كلام الله" كلامُ غيره من المخلوقات، وبقولنا: "المنــزل على رسوله ﷺ" ما نــزل على غيره كالتوراة والإنجيل، وما لم ينــزل من كلامه سبحانه على أحد، وبقولنا: "بلسان عربي مبين" ما نــزل بغير العربية، وبقولنا: "المنقول بالتواتر" ما لم ينقل بالتواتر، كالقراءات المشهورة والآحاد، وبقولنا: "المكتوب في المصاحف" ما نسخ من القرآن بلفظه مما أشارت إليه السنة، وقولنا: "المعجز في لفظه ومعناه والمتعبد بتلاوته" الأحاديث النبوية والقدسية، فهي وإن كانت وحيا في حقيقتها، فإنها غير معجزة بلفظها، وغير متعبد بتلاوتها؛ لأن معناها من الله ﷻ، ولفظها وصياغتها من رسول الله ﷺ، وإن اختلفت القدسية عن النبوية في الصياغة والأسلوب... وهكذا.

خصائص القرآن الكريم:

أ- الربانية: وهي نسبة إلى الرب سبحانه وتعالى، وهي أم الخصائص ومصدرها جميعا، إليها ترجع الخصائص الأخرى(2).

وما دام القرآن الكريم كلام الله ﷻ، فهو ربانيٌّ بكل ما تحتمله هذه اللفظة

---

(1) انظر كلاما مفيدا حول أساليب العلماء في ذلك في "مناهل العرفان" (1/12 - 14).

(2) انظر تفصيلا لخصيصة " الربانية" في كتاب "الخصائص العامة للإسلام" للدكتور: يوسف القرضاوي - الطبعة الثانية من ص: (9 - 55).

من معان، لا دخل لبشر فيه أبدا، لا من حيث اللفظ، ولا من حيث المعنى، فهو الكتاب العزيز، والذكر الحميد قال تعالى عنه: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٥- ٨٠].

ب- الكمال: وهي بمعنى "الخلو عن النقص والعيب"، وهي أثر للخصيصة الأولى "الربانية"؛ فكلام الله ﷻ المنزه عن كل نقص وعيب كامل أيضا، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١ - ٤٢].

ج - الوضوح: وهي "الإبانة" ويقابلها "الغموض"[١]، قال تعالى في وصف كتابه: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة:١٥-١٦].

وقال أيضا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً﴾ [النساء: ١٧٤- ١٧٥].

د- الشمول والإحاطة، فالقرآن شامل لجميع ما يحتاج إليه الإنسان في دنياه وأُخراه، جاء لسعادته في الدنيا والآخرة، وهذا ما يعبر عنه بعضهم: بالشمول الموضوعي، وهو شامل لجميع الناس من زمنه ﷺ إلى يوم القيامة، وموجه إليهم جميعا أينما كانوا، وهو ما يعبر عنه بعضهم: بالشمول الزماني والمكاني.

قال تعالى مشيرا إلى هذه الخصيصة: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]. وقال أيضا: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى

(١) انظر تفصيلا لخصيصة "الوضوح" في كتاب "الخصائص العامة للإسلام" من ص: (١٨٧ - ٢١٣).

وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]. وقال أيضا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وقال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾ [الفرقان:١].

هـ- التوازن: وهو "الانسجام والائتلاف بين أجزاء الشيء" ويقابلها: "التنافر والاختلاف"، ويعبر عنها بعضهم "بالوسطية" نسبة إلى الوسط، ولا يُشترط في توازن الشيء التساوي بين أجزائه، وإنما يكفي الاعتدال والانسجام فيما بينهما، كما يقال عن الدم في جسم الإنسان إنه متوازن مع اختلاف نسبة تركيباته كمًّا، والتوازن خصيصة متعلقة بخصيصة الشمول ومكملة لها، فلا يظهر جمال الشمول إلا بالتوازن.

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧-٩].

وقال أيضا عن كتابه: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ [النساء: ٨٢].

فالقرآن الكريم كتاب متوازن فيما جاء به من هداية، وما عرضه من موضوعات، وما عالجه من مشكلات، فهو يحقق انسجاما بين الروح والمادة، وبين العقل والقلب، وبين الحقوق والواجبات، وما إلى ذلك من أوجه التوازن.

و- الإعجاز: وهو: "إظهار عجز البشر بتحديهم بالإتيان بمثله شكلا ومضمونا" ويمكن إجمال أوجه الإعجاز القرآني في عدة وجوه منها:

١ - الإعجاز البياني.
٢ - الإعجاز التشريعي.
٣ - الإعجاز الإخباري (الغيبي).
٤ - الإعجاز العلمي[1].

---

(١) انظر تفصيلا لبعض وجوه الإعجاز القرآني في كتاب " مباحث في إعجاز القرآن "، للدكتور مصطفى مسلم: (ص١٠٧).

فقد تحدى القرآن الكريم الناس جميعا بأن يأتوا بمثله، وذلك على ثلاث مراحل على رأي جمهور العلماء، وعلى أربع مراحل على قول بعضهم(1).

قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨].

وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنـــزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٣ - ١٤].

ويقول أيضا ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس:٣٨]. وقال أيضا ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ [الطور: ٣٣-٣٤].

هذا، ولا يزال هذا التحدي معلنا إلى يوم القيامة، ولا يزال العلماء يكتشفون أوجهًا إعجازية فيه، كلٌّ بحسب إمكاناته وتخصصه.

ومن هنا: كان القرآن المعجزة الخالدة إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٣٣]. وقال أيضا: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٣١].

ز- الثبوت القطعي: ويعني: "اتصال سند نقل القرآن الكريم وروايته بالنبي ﷺ، دون انقطاع على وجه متواتر قطعي لا يداخله شك إلى يومنا هذا"؛ ولذا لا يحتاج للنظر في أسانيده لإثبات صحته بعد ثبوت التواتر.

ولم تثبت مثل هذه الخصيصة لأي كتاب سماوي آخر، وهي من مستلزمات خاصية حفظ القرآن، ودوام الإسلام.

---

(١) انظر "مباحث في إعجاز القرآن" ص (٣٣ - ٣٦).

فلو داخل السند أي شك في أي عصر من العصور، لم تقم الحجة القاطعة بالقرآن على الناس إلى يوم القيامة.

وعلى الرغم من وجود القراءات المشهورة والآحاد، التي يستفاد منها في التفسير، واستنباط الأحكام، فقد أجمعت الأمة على وجوب تجريد القرآن عنها عند جمعه، فلم يثبت في المصحف إلا المتواتر المقطوع بثبوته.

يقول الإمام الغزالي:

"حد الكتاب: ما نقل إلينا بين دفتي المصحف على الأحرف السبعة المشهورة نقلا متواترًا، ونعني بالكتاب القرآن المنـــزّل، وقيدناه بالمصحف؛ لأن الصحابة بالغوا في الاحتياط في نقله، حتى كرهوا التعاشير والنقط، وأمروا بالتجريد؛ كيلا يختلط بالقرآن غيره، ونقل إلينا متواترًا، فنعلم أن المكتوب في المصحف المتفق عليه هو القرآن، وأن ما هو خارج عنه فليس منه"(١).

ح – الحفظ: يعني: السلامة من التحريف والزيادة والنقص، فقد حفظ الله ﷻ هذا القرآن من أي تغيير أو تبديل، وذلك بتهيئة من يهتمّ به ويرعاه من أول يوم أنـــزل إلى يومنا هذا.

قال تعالى ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٦ – ١٩]. وقال أيضا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نـــزَلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

فكان من حفظ الله له: مدارسة رسول الله ﷺ له مع جبريل عليه السلام، وأمر رسوله ﷺ كتبة الوحي بكتابته، وحرص الصحابة -رضوان الله عليهم- على حفظه في الصدور وفي السطور، وتوفيق المسلمين إلى جمعه بعد وفاة رسول الله ﷺ أيام أبي

(١) انظر " المستصفى " للإمام الغزالي (١٠١/١)، وانظر معه نقولا أخرى مفيدة في ذلك ساقها الزرقاني في كتابه " مناهل العرفان " (٤٢٤/١ – ٤٤٨).

بكر وعثمان -رضي الله عنهما-، وما إلى ذلك من مظاهر الحفظ العجيبة التي لم تتوفر لكتاب آخر على الإطلاق.

إلى غير ذلك من خصائص عديدة، لم يشاركه فيها كتاب آخر، ولا عجب فالقرآن الكريم كتاب الله، مصدر كل خير، وملجأ كل عالم وداعية، وهو العروة الوثقى التي لا انفصام لها، وحبل الله المتين.

المصدر الثاني: " السنة النبوية الشريفة "

تعريف السنة:

أ- **في اللغة:** تطلق السنة على معان كثيرة، منها: الطريقة المحمودة المستقيمة؛ ولذلك قيل: فلان من أهل السنة، معناه: من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة، وهي مأخوذة من السَّنن، وهو: الطريق.

قال الراغب: " وسُنَّة النبي ﷺ: طريقته التي كان يتحـراها، وسُنَّة الله تعالى قد تُقال لطريقة حكمته، وطـريقة طاعته، نحو ﴿**سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً**﴾ [الفتح: ٢٣]. ﴿**وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً**﴾ [فاطر:٤٣].

ب - **في الاصطلاح:** تعددت تعريفاتها تبعا لاختصاص المعرفين لها، فهناك تعريف للمحدثين، وآخر للفقهاء، وثالث للأصوليين، سنكتفي هنا بتعريف الأصوليين للسنة؛ لأنه المناسب لمقام ذكر المصادر.

فقد عرفها بعضهم بقوله: هي ما صدر عن سيدنا محمد ﷺ غير القرآن، من فعل أو قول أو تقرير"[(١)].

والسنة -بهذا المعنى- هي المصدر الثاني من مصادر التشريع في الإسلام بعد كتاب الله ﷻ، يقول الإمام ابن عبد البر -رحمه الله:

(١) "المفردات في غريب القرآن" ص: (٢٤٥).

"وأما أصول العلم: فالكتاب والسنة، وتقسم السنة قسمين: أحدهما: إجماع تنقله الكافة عن الكافة، فهذا من الحجج القاطعة للأعذار إذا لم يوجد هناك خلاف، ومَنْ رَدَّ إجماعَهم فقد رد نصا من نصوص الله، يجب استتابته عليه، وإراقة دمه إن لم يتب لخروجه عما أجمع عليه المسلمون، وسلوكه غير سبيل جميعهم، والضرب الثاني من السنة: خبر الآحاد الثقات الأثبات المتصل الإسناد: فهذا يوجب العمل عند جماعة علماء الأمة الذين هم الحجة والقدوة، ومنهم من يقول: إنه يوجب العلم والعمل جميعا"(١).

وجاء في الحديث الشريف: "إني تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا: كتاب الله، وسنة نبيه "(٢).

وقد كانت السنة النبوية في هذه المكانة؛ لأنها إما أن تكون مبينة ومفصّلة لما جاء في القرآن الكريم، وإما أن تثبت حكما جديدا لم يُنص عليه فيه(٣)، ومن هنا: كانت طاعة الرسول ﷺ مقرونة بطاعة الله تعالى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[النساء:٥٩]. وقال أيضا: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢].

والسنة النبوية بالنسبة للداعية هي طريقة رسول الله ﷺ في الدعوة، عليها يعتمد في دعوته، ومنها يستقي ما دام متبعًا له، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي

(١) "شرح مختصر ابن الحاجب" للعضد (٢/ ٢٢)، و" شرح مسلم الثبوت " (٢/٦٧).

(٢) الحديث رواه الحاكم (١/١٧٠) وقال: صحيح الإسناد، وانظر " الترغيب والترهيب " للمنذري (١/٤١).

(٣) انظر كلاما مفيدا مفصلا في هذا للإمام الشافعي -رحمه الله تعالى- في كتابه " الرسالة " ص: (٩١ و ٩٢). وانظر " الفقيه والمتفقه " للخطيب البغدادي (١/٨٦ - ١٠٤).

أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

خصائص السنة النبوية: يمكن للباحث في خصائص السنة النبوية أن يقف على خصائص كثيرة تميزها عن سنة غيره من البشر، كما يمكن أن تشترك السنة مع القرآن الكريم في عدد من خصائصه، ولاسيما الخصائص العامة الأولى؛ لأنها ترجع في حقيقتها إلى خصيصة الربانية؛ لأن الرسول الذي نتحدث عن سنته هو رسول رب العالمين.

ومن خصائص السنة النبوية:

أ- أنها نوع من الوحي: فالسنة وإن كانت: ما صدر عن رسول الله ﷺ، فإنما هي شكل من أشكال الوحي، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣ - ٤].

وهذا النوع من الوحي يختلف عن وحي القرآن الكريم من بعض الوجوه، من ذلك:

١- السنة وحي بالمعنى دون اللفظ.

٢- السنة وحي غير متعبد بتلاوته.

٣- السنة لم تثبت جميعها عن طريق التواتر القطعي.

٤- السنة غير معجزة بلفظها، وقد تكون معجزة بمعناها.

ب- اتصال السند: ويعني: اتصال سند السنة الصحيحة به ﷺ دون انقطاع.

وهذه الخصيصة من خصائص الأمة الإسلامية، حيث لا تجد الأمم الأخرى اليوم سندا متصلا لأقوال أنبيائها ورسلها عليهم الصلاة والسلام، وإنما هي أقوال يرويها بعض علمائهم وأحبارهم ورهبانهم عنهم، دون اتصال(١).

(١) يقول الإمام ابن حزم -رحمه الله -: " وهذا نقل خص الله ﷻ به المسلمين، دون سائر أهل الملل كلها، وأبقاه عندهم غضًّا على قدم الدهور منذ أربعمائة عام وخمسين عاما في المشرق والمغرب، والجنوب والشمال" انظر "الفِصَل" (٢٢١/٢) تحقيق د/ محمد إبراهيم نصر. ود/ عبد الرحمن عميرة.

جـ - الحفظ من الضياع: فقد حفظ الله ﷻ سنة نبيه ﷺ من الضياع، بما هيأه لها من صحابة كرام نقلوها عنه ﷺ لمن بعدهم، وحفظوها كما حفظوا كتاب ربهم، كما هيأ لها علماء أجلاء كتبوها ودوّنوها، وميّزوا الثابت منها عن غيره على مر السنين، ووضعوا لذلك قواعد وضوابط تضبط قبولها وروايتها، وهو ما اصطلح على تسميته بعلوم الحديث.

وذلك لأن حفظ السُّنّة من لوازم حفظ القرآن الكريم، فهي المبينة له، والمفصلة لمجمله، والمتممة لأحكامه كما سبق بيانه.

د- العصمة من الخطأ في التشريع: وذلك لأن السنة وحي، والوحي منزّه عن الخطأ، وجاء في الحديث الشريف عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قوله ﷺ حين أذن له بكتابة الحديث: "اكتب، فوالذي نفسي بيده، ما يخرج منه إلا الحق"(1).

وتشمل عصمة السنة ما صدر عنه ﷺ باجتهاد في أمور التشريع؛ لأن الشارع لا يقره على خطأ به، وإن جاز أن يقره على اجتهاد خطأ في أمور الدنيا المبنية على التجارب والخبرات؛ لحكمة إظهار جانب البشرية فيه ﷺ(2).

المصدر الثالث: "السيرة النبوية المطهرة وسيرة الراشدين"

السيرة النبوية هي: تاريخ حياة النبي ﷺ، وبيان طريقته فيها؛ لأن السيرة في اللغة: الطريقة، والحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره، يقال: قرأْت سيرة فلان: أي تاريخ حياته، وجمعها سِيَر(3).

---

(1) رواه أبو داود رقم (٣٦٤٦)، وأحمد رقم (٦٤٧٤)، والدارمي رقم (٤٨٤)، وصححه الحاكم (٣/٧٥).

(2) راجع بحث "عصمة الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- عن الخطأ في الاجتهاد" في كتاب "حجية السنة" للشيخ عبد الغني عبد الخالق ص (١٤٥-٢٣٩).

(3) انظر "المعجم الوسيط" مادة: (سير) (١/٤٧٠).

وبهذا التعريف للسيرة، تشمل سيرة الرسول ﷺ الشخصية، كما تشمل شمائله وغزواته، وجميع تحركاته الدعوية، وتكون السيرة من هذا الوجه أعمّ من السنة النبوية في اصطلاح الأصوليين.

وتُعد السيرة النبوية المصدر الثالث للدعاة بعد الكتاب والسنة، وإن كانت في حقيقتها ترجع إلى الكتاب والسنة، لأنها تطبيق عملي لهما.

ولمّا كان الرسول ﷺ الداعية الأول لهذا الإسلام، كانت سيرته أوسع مصدر عملي للدعاة، وكان الكتاب والسنة أوسع المصادر النظرية لهم.

فلابد للدعاة من دراسة السيرة النبوية، وتفهُّمها، والاستفادة منها في ضوء العقل والنقل؛ لأنها أعمال وأحوال لابد لفهمها فهما صحيحا من ملاحظة الأعمال والأحوال المرافقة لها، وقد قصّر بعض الدعاة في هذا الجانب، فاستشهدوا بالسيرة في غير موضعها، أو فهموها على غير وجهها، وفهم السيرة فهما صحيحًا أمر دقيق قد لا يحسنه إلا العلماء وأهل الاستنباط منهم.

فقد تختلف تصرفاته ﷺ من حال إلى حال، فيكون بعضها تشريعا يقصد منه التأسي، وقد يكون بعضها تصرفات جِبِلّيّة شخصية.

كما قد تصدر عنه ﷺ أعمال بصفته رسولا مبلغا عن الله، وأخرى بصفته قاضيا يفصل بين المتنازعين، وثالثة بصفته إمامًا وقائدًا، ولكل نوع من هذه التصرفات دلالاته وأحكامه[1]، ولكنه مع كل هذه الأوصاف لا ينفكّ عن وصفه بالنبوة والرسالة.

ويكفي في الاستدلال على أهمية السيرة النبوية للدعاة، قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ

(١) راجع مثل هذه الفروق في كتاب "الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام، وتصرفات القاضي والإمام" للعلامة القرافي المالكي، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، وكتاب: "زاد المعاد"، للإمام ابن القيم (٣/٤٨٩ – ٤٩٠).

اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب: ٢١].

وأما سيرة الخلفاء الراشدين فيُقصد بها ما ورد عند أبي داود والترمذي: "خلافة النبوة ثلاثون سنة..."[١].

فوصفت خلافة هؤلاء الأربعة بخلافة النبوة، "حتى إن الإمام أحمد وغيره اعتمدوا على هذا الحديث في تقرير خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة، وأثبته أحمد، واستدل به عَلَى من توقف في خلافة عليٍّ من أجل افتراق الناس عليه، حتى قال أحمد: "من لم يُربِّع بعلي في الخلافة فهو أضل من حمار أهله"، ونهى عن مناكحته، وهو متفق عليه بين الفقهاء، وعلماء السنة وأهل المعرفة والتصوف؛ وهو مذهب العامة"[٢].

وهؤلاء الأئمة الأربعة الخلفاء الراشدون أفضل الصحابة -رضوان الله عليهم- جميعا، يقول الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: "ونقل البيهقي في (الاعتقاد) بسنده إلى أبي ثور عن الشافعي أنه قال: أجمع الصحابة وأتباعهم على أفضلية أبي بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي"[٣].

ولمكانة هؤلاء الخلفاء من رسول الله ﷺ، وخلافتهم الراشدة كانت سنتهم متبعة كسنة رسول الله ﷺ، ولاسيما فيما اتفقوا عليه من سنن، وسَنُّوهُ للناس من بعدهم[٤].

وقد جاء في الحديث الشريف:

"أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين،

---

(١) الحديث قال عنه الترمذي: هذا حديث حسن، انظر: "سنن الترمذي" (٢٢٢٦)، و"سنن أبي داود" رقم (٤٦٤٦)، (٤٦٤٧)، وأحمد (٢١٩٦٩)، وصححه الحاكم (٣/٧٥، ١٥٦).

(٢) انظر "مجموع فتاوى ابن تيمية": (٣٥/١٨ - ١٩).

(٣) فتح الباري: (٧/١٧).

(٤) انظر كلاما مفيدا في هذا للإمام ابن تيمية في "مجموع الفتاوى": (٣٥/٢٣).

عَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة"[1].

وقد كان لسيرتهم وسنتهم هذه المكانة الخاصة؛ لأنهم كانوا إذا عَرَضَتْ لهم قضية، نظروا في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فإن وجدوا فيها شيئًا أخذوا به، وإن لم يجدوا، شاوروا من حولهم من كبار صحابة رسول الله ﷺ في ذلك.

فكانت سنتهم وسيرتهم امتدادًا طبيعيًّا لسنة رسول الله ﷺ وسيرته، وتطبيقا عمليا لمنهج الله ورسوله ﷺ.

ولعل حكمة اعتبار سنتهم كسنة رسول الله ﷺ في الاتباع، ألا تقتصر أسوة المؤمنين على النبي المعصوم ﷺ، وإنما تشمل خلفاءه الراشدين من بعده، وحتى لا يتوهم متوهم أن إمكانية تطبيق الإسلام تطبيقا صحيحا لا تكون إلا في زمن رسول الله ﷺ، وتتوقف بوفاته، فقامت الحجة بسنتهم وسيرتهم كما قامت بسنة رسول الله ﷺ إلى يوم القيامة.

المصدر الرابع: "وقائع العلماء والدعاة في ضوء تلك المصادر": تعد تجارب العلماء والدعاة، وتصرفاتهم في الوقائع الدعوية مصدرًا هاما من مصادر الداعية، يُعينه على فهم المصادر السابقة، واستنباط الأحكام منها؛ لأنها تطبيقات عملية لمنهج الله ورسوله.

ومع أهمية هذه الوقائع وعظيم فائدتها، فإنها تعد مصدرا تبعيا يستفاد منه في ضوء المصادر الأصلية السابقة؛ لأنها اجتهادات بشرية تخطئ وتصيب، فإذا أجمع العلماء على التعامل مع واقعة ما بشكل محدد، كان عملهم حجة بسبب الإجماع، وإن اختلفت آراؤهم واجتهاداتهم فيها، كانت آراء اجتهادية تنير الطريق لغيرهم، ولو أصابوا فيها أجرا واحدا -كما هو شأنهم في الاجتهادات الفقهية.

---

(١) الحديث رواه أبو داود، والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، انظر سنن الترمذي (٢٦٧٨) وسنن أبي داود (٤٦٠٧)، وأحمد (١٧١٨٥) وصححه الحاكم (١/١٧٤)، وابن حبان (٥)، والألباني في "صحيح الجامع" (٢٥٤٩).

وقد أخطأ بعض الناس حين غفلوا عن أهمية هذا المصدر، فزهدوا فيه، وأعرضوا عن الإفادة منه: مستغنين -بزعمهم- بالكتاب والسنة!.

كما أخطأ آخرون في إنـــزال هذا المصدر منـــزلة الكتاب والسنة المنـــزهين عن الخطأ، تقديرا -بزعمهم- للعلماء واحتراما لآرائهم واجتهاداتهم!، وما ضاع هذا الدين إلا بين الغالي فيه والمقصّر.

فليست الدعوة الإسلامية نصوصا جامدة، أو أعمالا وأحكاما ثابتة، وإنما هي بجانب النصوص الشرعية والأحكام الفقهية أفهامٌ بشرية، واستنباطات علمية، وموازنات دقيقة لا يحسنها إلا أهلها.

ومن لهذه الموازنات والأفهام، إلا العلماء وُرّاث الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، فقد جاء في الحديث: "العلماء ورثة الأنبياء"(١).

وروى ابن النجار عن أنس رضي الله عنه:

" العلماءُ قادَة، والمتّقون سادة، ومجالستهم زيادة"(٢).

وإنّ أَوْلى العلماء بالاستفادة من وقائعهم وتصرفاتهم فيها: الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم-؛ لأنهم أعلم الناس بالمنهج الرباني، والأسلوب الحكيم؛ وذلك لصحبتهم لرسول الله ﷺ، ومعايشتهم لسيرته الدعوية، مما جعلهم خير الناس، وجعل لهم منـــزلة خاصة عند علماء الأمة، حتى جعل بعضُهم قول الصحابي حجة ودليلاً.

ثم يأتي بعدهم التابعون لهم بإحسان من علماء القرون الأولى، الذين أخذوا عن الصحابة واهتدوْا بهديهم.

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٦٨٢)؛ وأحمد رقم (٢١٢٠٨)؛ وأبو داود (٣٦٤١) و (٢٢٣)، وابن ماجه (٢٢٣)، وصححه ابن حبان (٨٨)، وقال الهيثمي في "المجمع" (١/١٢٦): "رواه البزار ورجاله موثقون"، و الدارمي (٣٤٢).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٩/١٠٥) عن ابن مسعود، وقال في المجمع (٢/٩٠): "ورجاله موثوقون".

ثم يأتي من بعدهم علماء الأمة ودعاتها على مختلف العصور، الذين لا تخلو الأمة من أمثالهم -جزاهم الله جميعا عن المسلمين خير الجزاء.

وإن كتب التراجم والسير حافلة بمثل هذه الوقائع والتجارب المفيدة[1].

ومع الاعتراف بأولوية وأهمية وقائع علماء السلف ودعاتهم، فإنه لا ينبغي للدعاة أن يزهدوا بوقائع علماء عصرهم، وتجارب الدعاة المعاصرين، فقد يكون فيها من الوقائع والأحداث ما يشابه وقائع العصر الذي يعيشون فيه، وما هو أكثر مطابقة لها، فكلما تقاربت العصور تشابهت الوقائع والأحداث فيها، والعلماء الموثقون في كل عصر، هم أدرى الناس باحتياجات عصرهم، وبالأساليب النافعة فيه، فلا يغني شيء عن شيء، والله أعلم.

المبحث التاسع: ثمرته وغايته

إن ثمرة تعلم هذا العلم هو تحقق أهداف الدعاة في الدنيا والآخرة.

- فإذا كان من أول أهداف الدعاة تعبيد الناس لربهم جل وعلا، وفق ما شرع لهم، ووراثة الأنبياء في تبليغ هذا الدين على وجه التمام والكمال، فإن تعلم وممارسة فقه الدعوة يكفل منهجا قويما ويضمن ثمرة متكاملة بإذن الله تعالى.

- وإذا كان نشر العلم، وإظهار السنة، ومحاربة البدعة من أهم أهداف الدعاة، فإن تعلم فقه الدعوة من شأنه أن يعين على تحقيق هذا الهدف.

- وإذا كانت التربية الإسلامية الصحيحة للفرد والمجتمع قطب رحى أهداف الدعاة، فإن تعلم فقه الدعوة الفردية والجماعية، وممارسته يحقق التربية

(١) انظر على سبيل المثال "الإصابة" لابن حجر، و"أسد الغابة" لابن الأثير، و"حياة الصحابة" لمحمد يوسف الكاندهلوي، و"صفة الصفوة" لابن الجوزي، و"سير أعلام النبلاء" للذهبي. كما يستفاد في هذا الموضوع من كتب مذكرات الدعاة والعلماء.

الصحيحة المتكاملة.

- وإذا كان تطبيق الشريعة والسعي للتمكين على رأس قائمة الأهداف السياسية للدعاة، فإن تعلم فقه الدعوة، وسياسة الموازنات، وقواعد المصالح والسياسة الشرعية، لم ينتظم به السعي ويرجى معه التوفيق.

- وإذا كان العمل على تحرير الأركان والمقدسات الإسلامية من أكبر الأهداف العملية للدعاة اليوم، فإن تعلم فقه الدعوة إلى الله وممارسة فقه الأولويات مما يدعم هذه القضايا.

- وإذا كان العمل على نشر دين الله في الأرض جميعًا، وإبلاغ دعوة الحق في العالم كله هو أفق الدعوة العالي، فإن دراسة فقه الدعوة إلى الله، وعلاقات الداعية بأمتي الإجابة والدعوة، وحدود ذلك وضوابطه يرجى معه أن يهيمن هذا الدين على الدين كله.

- وإذا كان هدف الأهداف وغاية الغايات من سعي الدعاة إلى الله تعالى هو مرضاة رب العالمين، فإن تعلم فقه الدعوة، وأحكامها، وما يحل من وسائلها، وأساليبها وما يحرم لَجَديرٌ بأن يسدد خطى العاملين، ويحقق ركن الصواب في العمل.

ويمكن ضبط هذه الثمار المباركة والغايات النبيلة لفقه الدعوة إلى الله في النقاط الآتية:

١- مرضاة الله تعالى:

الدعوة الصحيحة القائمة على فهم صحيح لنصوص الكتاب والسنة تحقق مرضاة الله، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف:١٠٨]، أما الدعوة بلا فقه وعلم فهي جهلٌ وتخبُّط، ولا تحقق مرضاة الله بحال من الأحوال؛ لعدم صحة العمل الدعوي؛

لأن الدعوة لابد أن تكون هداية للحق والصواب، ولا يُدرك ذلك بعيدًا عن الفهم الصحيح لنصوص الكتاب والسنة، والتطبيق السديد لمدلولاتهما.

٢- استمرارية نشر الحق والصواب في الناس:

إن الدعوة التي تستند إلى الفقه الصحيح في نشر الرسالة، تكون قادرة على تجاوز العقبات، ونشر الحق، وبثه في الأمة في أصعب الظروف وأقساها؛ لأن العلم الراسخ والفقه الصحيح يولِّد قناعةً ثابتة لدى الداعية يصعب أن يتزحزح عنها، مما يُمكّنُ الداعية من استيعاب المدعوين، واجتذابهم للدعوة بيسر وسهولة.

فالفقه يعطي الدعوة قوة ومنعة تجعل الداعية يقف على أرض صُلبة في دعوته، بما يكفل لها الاستمرار والثبات، والتخطيط لمستقبلها، والتنظيم لكل عمل دعوي، بعيدًا عن العشوائية والارتجالية، كما تحظى بثقة واحترام الآخرين من القائمين على العمل الدعوي، فيفد عليها العلماء وطلبة العلم للتعاون معها، فتتضافر الجهود الدعوية وتؤتي ثمارها.

٣- الحذر من الأحاديث الموضوعة والواهية:

من له فقه في دين الله يحذر الكذب والفرية على رسول الله ﷺ في دعوته، فعن سمرة بن جندب والمغيرة بن شعبة قالا: قال رسول الله ﷺ: "من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبِيْنَ"[(١)]، وقد تَخَصَّصَ لهذه الأحاديث الموضوعة من علماء الأمة مَنْ كَشَفَ حقيقتها؛ وأبان باطلها، وفضح عورات الواضعين والمزيفين.

قيل لعبد الله بن المبارك: هذه الأحاديث الموضوعة فقال: "تعيش لها الجهابذة"[(٢)].

ولقد كُدِّرَت الثقافة الإسلامية بكثير من الأحاديث الواهية والمكذوبة حتى دخلت كثيرا من فروع الدين، وتسللت إلى كثير من الكتب في مختلف الفنون

(١) رواه مسلم (١/٨) في المقدمة، والترمذي (٢٦٦٢) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٣٨)، وأحمد (٢٠٢٣٤).

(٢) انظر: الكفاية في علم الرواية (ص٣٧)، السنة قبل التدوين (ص ٢٢٠).

الشرعية مثل: التفسير والرقائق، حتى كتب الفقه والأحكام، وكتب الحديث نفسها، ومن هنا دخلت على الدعاة، لاسيما الذين يؤثرون إلهاب العواطف على أيّ نص صحيح؛ لما فيها من الغرائب والمبالغات التي تُرضي أذواق العوام، فقلما تسمع خطيبا من خطباء الجمع، أو مدرسا يدرس في المسجد، أو محدثاً يحدث في الإذاعة، إلا ويروي شيئًا من هذه الأحاديث المردودة عند علماء الحديث، وتتسرب الموضوعات إلى الأمة من خلال دعوة لا تعتمد انتقاء الأحاديث المقبولة، ولا تعزوها إلى مصادرها المعتبرة عند أهل الحديث، ومما يؤسف له أن كثيرا من الدعاة ينقلون من كتب الوعظ والتصوف والتفسير ونحوها، ظانّين أن هذا يعفيهم من لبحث عن درجة الحديث، ولا يسوغ ذلك لمن له فقه في دين الله، فإن كتب الوعظ والرقائق والتفسير لا تخلو من الأحاديث المردودة، حتى كتب الحفاظ الناقدين فإنهم إذا ألفوا في الوعظ والرقائق تساهلوا فيما يروونه إلى درجة يجمعون فيها الغث والسمين.

٤- عدم إلحاق الضرر بالدعوة من خلال الدفاع عنها:

يحاول بعض الدعاة خلال عملهم الدعوي الدفاع عن الأحكام الشرعية - مع عدم فقههم- بتعليل حكمة التشريع بأمر غير جامع: لا ينطبق على كل الحالات، ولا مانع: ينطبق على ما لا يأخذ الحكم، كحصر بعض الدعاة الحكمةَ في تحريم لحم الخنـــزير -أنه يأكل القاذورت، فقد يردُّ رادٌّ بأن هذا لا ينطبق إلا على الخنازير السيئة التغذية، بخلاف الخنازير التي تُربَّى في الحظائر الخاصة، ويشرف عليها مختصون يُعنون بأمرها، وكحصر حكمة تحريم الزنا في منع اختلاط الأنساب، فقد يُرَدُّ: بأن لا حرج -على هذا التعليل- أن تزني الحامل، أو المرأة العقيم، أو التي تتناول أقراص منع الحمل؛ إذ لا خوف عليها أن تحمل وتلد فتختلط الأنساب، وكحصر علة تحريم الربا باستغلال الأغنياء حاجة الفقراء لتحقيق مصالحهم، فهذا

التعليل إنما ينطبق على صورة معينة من الربا، يعرفها الناس منذ القدم وإلى يومنا هذا، وهي صورة الإنسان الذي تنـــزل به حاجةٌ وفاقةٌ، فلا يستطيع سدَّها إلا بالاقتراض والاستدانة، ولا يجد من يقرضه إلا المرابي الغني، الذي يشترط عليه الزيادة في السداد، إلا أنك تجد في عصرنا الحاضر من المقترضين بالربا الأغنياء والأثرياء كالمصارف وبيوت المال وكبار التجار، الذين يريدون أن يوسعوا تجاراتهم، ويزيدوا من ثرواتهم، وهذا ما جعل الذين حصروا حكمة التحريم فيما أشرنا إليه، يجترئون على الله بالقول بأن الفوائد البنكية ليست من الربا المحرم؛ لما تحققه من مصالح للفقراء بالاستفادة من الأغنياء، وهكذا تجد تخبط من لا فقه له عندما يعرض الفكر الإسلامي، ويحاول بيانه أو الدفاع عنه، فيسيء إلى الشريعة، ويشوّه أحكامها بجهله، وغالبًا ما يكون ذلك في مسائل القضاء والقدر في العقيدة، والزهد في الرقائق، والطلاق وتعدد الزوجات في نظام الأسرة، والجهاد في نظام الدولة، والحدود في نظام العقوبات[1].

أما الداعية الفقيه الحريص على إقناع المدعوين، إذا ثبت الأمر والنهي في الكتاب أو السنة قال: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[البقرة:٢٨٥]، ويدرس تعليلات الأحكام التي تبين حكمة التشريع، والتي يسأل عنها غالبا، ولا يقولها للناس إلا بعد التثبت منها بصورة جامعة مانعة، وإلا اكتفى بالحكم الإجمالي العام، اقتداء بالقرآن الكريم في مثل تعليل النهي عن الزنا بقوله تعـــالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ [الإسراء: ٣٢][2].

(١) انظر: ثقافة الداعية لعبد الله علوان (ص ٧٠).

(٢) ثقافة الداعية ليوسف القرضاوي (ص ٨٤).

٥ – الاهتمام بالثقافة الواقعية وحال المدعوين:

إن الدعوة لا يمكن أن تنجح بحال من الأحوال حتى يتعرف الداعي على حال المدعوين، وكيفية دعوتهم وماذا يُقَدِّمُ لهم وماذا يُؤَخِّرُ، فعن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: قـال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ حين بعثه إلى اليمن: "**إنك ستأتي قومًا من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنياءهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب**"[(١)]، فدل على أنهم لو كانوا مجوسا أو وثنيين أو نحو ذلك لكان عليه أن يدعوهم بطريقة أخرى، تتلاءم مع فكرهم وطبيعة كفرهم، فالدعوة المتحصنة بالعلم والفقه تضطلع بمعرفة البيئة التي يعمل فيها الداعية، وعاداتها وتقاليدها، وتاريخها ولغتها المحلية، ومشكلاتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ونفسيات أهلها وما يؤثر فيهم، وذلك لا يستمد من الكتب فحسب، بل لابد أن تكون ثقافة متنامية ومتجددة ومستمرة، ومستمدة من أرض الواقع، ومن الصحف والمجلات والدوريات والنشرات الرسمية وغير الرسمية التي تخبر عن حال هذه البيئة، بهذا تكون الدعوة على مستوى المسئولية المناطة بها، فتستطيع أن تستوعب المدعوين وتحتضنهم على مختلف ثقافاتهم وميولهم، وتقدم لهم ما يرشدهم إلى ربهم ويهديهم سواء السبيل بحسب أحوالهم، كما لابد من معرفة أوضاع المسلمين المعاصرة: جغرافياً واقتصادياً وسياسياً واجتماعياً، وأسباب تخلفهم وتفرقهم، والعوامل الممكنة لتقدمهم ووحدتهم، وإمكانات تكامل العالم الإسلامي اقتصاديا، وتضامنه سياسياً وعسكرياً، وتقاربه اجتماعياً وثقافياً، مع دراسة حال الأقليات الإسلامية المضطهدة في كل مكان: كالفلبين وقبرص والحبشة وأوروبا الشرقية وألبانيا والصين والهند وغيرها، وما يمكن تقديمه لنجدتهم.

---

(١) البخاري (١٤٢٥)، مسلم (١٩).

٦- حماية الدعوة وصيانتها من المتربصين بها:

من الفقه في الدين تحصن الدعوة بمعرفة العدو المعاصر، كاليهودية والصليبية، ودراسة حقيقة دوافعهم للكيد للإسلام وأهله، ووسائلهم في حروبهم السياسية والاقتصادية والفكرية، لاسيما أجهزة الصليبيين التبشيرية، وما سخّروا لها من أموال وعدة وعتاد ومؤسسات هائلة لتحقيق أهدافها وأغراضها، وما أعدُّوا من مخططات لتنصير المسلمين في إفريقية وإندونيسيا والعالم العربي، وكذلك الاستشراق وأهدافه، ووسائله، وسمومه الفكرية التي تحاول أن تشكك في دور الإسلام التاريخي والحضاري والفكري الرائد، وتثير الشبهات والشكوك حول عقيدة الإسلام، وتجند العقول المواطنة لخدمة أهدافهم، وللقيام بأعمالهم بعد رحيلهم، فترى بعضهم يطعن في كبار الصحابة، ويشكك في دواوين السنة مثل البخاري ومسلم، ويرد الصحيح اتّباعًا للهوى، ويفسر النصوص الثابتة على غير مراد الشارع، ولقد صادف الغزو التبشيري والاستشراقي فراغاً ثقافياً وتخلفاً فكرياً في أمتنا، ففرض نفسه وفكره المشكّك، حتى تجرأ المستشرقون على دين الله، منتحلين ثوب الدراسة العلمية المجردة، وهم أبعد ما يكونون عنها، وتبعهم على ذلك أقوام هم من أهل ملتنا وبني جلدتنا.

وكذلك الغزو الشيوعي استطاع بث فكره العقيم في الأمة عن طريق الخبراء، والمؤسسات الثقافية، والبعثات التعليمية والتدريبية إلى البلاد الشيوعية، وتأييد الأحزاب الشيوعية داخل ديار الإسلام بالتمويل والتوجيه، وكذلك متابعة المؤسسات المشبوهة كالماسونية[(١)] والروتاري[(٢)] وأساليبهم الماكرة للتغلغل في

(١) الماسون لغة: البناءون الأحرار، وهي منظمة يهودية سرية إرهابية غامضة، تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم. يعرّف المستشرق الهولندي "دوزي" الماسونية بأنها: جمهور كبير من المذاهب المختلفة يعملون لغاية واحدة: هي إعادة الهيكل -رمز دولة إسرائيل- تضم السواد الأعظم من الملوك والحكام والقضاة والأثرياء والزعماء والقادة والمفكرين والمثقفين والقساوسة وأصحاب العمائم، يحملون شعار الحرية والعدالة والمساواة. والماسوني المبتدئ والمتوسط يعمل لغاية لا يعلمها، وإنما يظن أنه يعمل لصالح البشرية جمعاء. انظر: الماسونية في العراء (ص٩ - ٢٢)، والموسوعة الميسرة في الأديان المعاصرة (ص ٤٤٩).

(٢) منظمة ماسونية تسيطر عليها اليهودية العالمية، تعرف باسم (نادي الروتاري) ROTARY CLUB، هدفها إسقاط اعتبار الدين لتوفير الحماية لليهود وتسهيل تغلغلهم في المجتمعات. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان المعاصرة (ص ٢٤٣ - ٢٤٤).

الطبقات الثرية في المجتمع الإسلامي.

والدعوة المدعمة بالفقه واعية لحملات التشكيك التي يشنها أعداء الإسلام -من مبشرين ومستشرقين وملحدين وغيرهم- على الكتاب والسنة، فهذا الغزو الفكري لا يؤثر إلا على دعوة ضحلة.

كما تتابع الدعوة القويمة دارسة واقع الأديان المعاصرة والمعادية للإسلام مثل: اليهودية وتوراتها المحرفة، ونظرتهم إلى الأميين، وانعكاس ذلك على الحركة الصهيونية، وقيام دولة إسرائيل، والنصرانية وطوائفها، وكنائسها والصراع بينهم، ومحاولات تقربهم من اليهود، على حساب المسلمين، كإعلان وثيقة الفاتيكان بتبرئة اليهود من دم المسيح، والهندوكية الوثنية وعقائدها، وطوائفها وموقفها من المسلمين، والبوذية ومدى انتشارها في بلاد الشرق الأقصى، وأثرها في حياة أتباعها، وذلك لتتقي شرورها، وتضع خططا لدعوتهم بما يتلاءم مع حالهم، ويتناسب مع طريقة تفكيرهم.

٧- تكامل العمل الدعوي وترابطه وتناسقه:

معرفة واقع الحركات الإسلامية المعاصرة، كالجماعة الإسلامية في باكستان والهند، وحزب ماشومي في إندونيسيا، والحركة الإسلامية في تركيا، وحزب التحرير في الأردن وفلسطين، والإخوان المسلمين في مصر والعالم العربي، وجماعة التبليغ في باكستان والهند وغيره". ومعرفة مؤسسات الدعوة الإسلامية في شتى بقاع العالم، ووسائلها وأهم وظائفها ودورها الدعوي وما ينقصها، ومعرفة الدعاة والمرشدين الإسلاميين، ومتابعة المؤتمرات الإسلامية العالمية لتوجيه الدعوة والدعاة وتوصياتها ودراساتها، والمدارس والمعاهد والجامعات الإسلامية ووظيفتها، ووزارات الأوقاف والشئون الإسلامية، والمراكز الإسلامية في العالم الإسلامي وخارجه في أوروبا وأمريكا وآسيا وإفريقيا والاتحادات الطلابية، ومحاولة الاتصال بهم والتنسيق معهم؛ لأن العمل الدعوي عمل متكامل مترابط يكمل بعضه بعضاً، لا ينبغي أن تقوم دعوة

إسلامية بمعزل عن دعوة إسلامية أخرى، وكلاهما على نهج واحد، وإلا لتحولت الجهود الدعوية إلى عمل مبعثر غير قادر على التأثير في الأمة، والأعداء في هذا العصر قد تكاتفوا في سبيل تحقيق مصالحهم المشتركة. لذا من الفقه في الدين إعداد دراسات للتنسيق، والترابط بين كل هذه المؤسسات والهيئات الدعوية، لكي تعمل كوحدة واحدة فتؤتي الجهود ثمارها، ولا ينقض الداعية ما يبنيه أخوه الداعية في سنين طوال، ونحن في عصر هيأ الله ﷻ فيه سرعة جمع المعلومات، ودراستها وتحليلها.

٨- الثقافة العلمية القائمة على الملاحظة والتجربة[1]:

الدعوة التي تتمتع بفقه لدين الله توجه الدعاة إلى اكتساب العلوم الكونية، فعن طريق هذه العلوم يضع الداعية بالظواهر الكونية الدالة على عظمة الله وقدرته أدلة دامغة في مواجهة الماديين والملاحدة، ويدحض شبهاتهم، كما يؤيد بها الأحكام الشرعية، ببيان ما اشتملت عليه من جلب المصالح ودرء المفاسد، فبالطب نثبت للناس أن الخمر أم الخبائث، وكذلك علل تحريم المخدرات والتدخين ولحم الخنزير والزنا وغيره. كما أن كثيراً من الحقائق الدينية تؤيدها حقائق العلم، كقوله تعالى: ﴿**يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ**﴾[النحل: ٦٩]، وعلوم التغذية والطب والأحياء تتحدث بسعة عن عسل النحل وألوانه وما فيه من شفاء، فالعلوم الكونية كلها تشهد لصنعة الله ﷻ بأنها في غاية الإتقان والإحكام.

المبحث العاشر: مسائله

إن مسائل علم فقه الدعوة هي قضاياه التي تبحث في أحكام ووسائل وأسباب وقواعد الدعوة، على ما سيرد تفصيله في ثنايا هذا الكتاب بمشيئة الله تعالى.

---

(١) انظر: ثقافة الداعية (١٥ - ١٦).

خلاصة الفصل الأول

علم فقه الدعوة هو: علم بقواعد وأسباب وأحكام يُتوصل بها إلى تمام تبليغ رسالة الإسلام للبشر عامة، وتعليم وتربية المستجيبين كافة.

- موضوع علم فقه الدعوة هو: الإسلام بجوانبه المتعددة من حيثيات مختلفة.

- أشهر أسماء هذا العلم: علم الدعوة، أصول الدعوة، مناهج الدعوة، فقه الدعوة.

الدعوة إلى الله واجبة، إما على جميع المسلمين فرضًا عينيًا، وإما على مجموعهم فرضًا كفائيًا.

والاتفاق حاصل أنه عند عدم الكفاية فإنها تجب وجوبًا عينيًا على كل مسلم بحسب قدرته وحاله.

- ومن فضائل علم فقه الدعوة.

أ- أن الاشتغال بالدعوة اشتغال بمهمة الأنبياء ووظيفة المرسلين.

ب- تحصيل بركة دعاء النبي ﷺ والملائكة للدعاة.

ج- أن الدعاة تلحقهم فضيلة الغرباء.

د- أن الدعاة هم سبيل هداية الخلق إلى الحق تعالى.

هـ- أن الدعاة موضع ثناء الله تعالى.

و- مقام الدعوة من أعظم مقامات العبد.

ح- أجور الدعاة مضاعفة أبدًا.

ط- أن الدعوة إلى الله سبيل حفظ الدين وحماية المجتمع.

ي- أن حرمة الدعاة كحرمة الأنبياء.

- نشأة الدعوة الإسلامية كانت نشأة علمية عملية: فقد كان رسول الله ﷺ هو الداعية الأول، ثم تبع الرسول ﷺ الصحابة -رضوان الله عليهم-، ثم تبعتهم

أجيال وأجيال في نشر الإسلام، حيث كانت الدولة المسلمة ترى الدعوة إحدى وظائفها وعندما سقطت الخلافة أراد بعض المسلمين النهوض بالدعوة فبدأت الاجتهادات العلمية في هذا المجال، وذلك عندما اشتدت الحاجة لتأصيل هذا العلم.

- استمداد علم فقه الدعوة من مصادر رسالة الإسلام، ويمكن حصر مصادر علم فقه الدعوة في نوعين أساسيين، هما:

أ- الأحكام الشرعية المعتمدة على الأدلة الشرعية.

ب- التجارب العملية الصادرة من العلماء والدعاة في ضوء تلك الأحكام الشرعية.

ومن مصادر علم فقه الدعوة السنة النبوية، ومن خصائص السنة النبوية:

ج- أنها نوع من الوحي، ب - اتصال السند، ج - الحفظ من الضياع،

د- العصمة من الخطأ في التشريع.

وثمرة وغاية علم فقه الدعوة:

١ - تحقيق مرضاة الله تعالى.

٢ - استمرارية نشر الحق والصواب بين الناس.

٣ - الحذر من الأحاديث الموضوعة والواهية.

٤ - عدم إلحاق الضرر بالدعوة من خلال الدفاع عنها.

٥ - الاهتمام بالثقافة الواقعية وحال المدعوين.

٦ - حماية الدعوة وصيانتها من المتربصين بها.

٧ - تكامل العمل الدعوي وترابطه وتناسقه.

٨ - الثقافة العلمية القائمة على الملاحظة والتجربة.

اختبار الفصل الأول

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة(✓)أمام العبارة الصحيحة وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١ - الدعوة هي تبليغ الناس أحكام العبادات والمعاملات.

٢ - علم فقه الدعوة يُعنى بمعرفة قواعد وأحكام الدعوة والبلاغ.

٣ - من أسماء علم فقه الدعوة مناهج الدعوة وفقه السيرة.

٤ - الدعوة فرض على الأعيان في كل زمان ومكان اتفاقًا.

٥ - يسع المسلم أن يترك الدعوة في هذا الزمان لفساد الأحوال.

٦ - ليس للداعية أن يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر حال تقصيره.

٧ - حرمة دم الدعاة كحرمة دم الأنبياء.

٨ - يَستمد علم فقه الدعوة أدلته من القرآن الكريم والسنة النبوية والتجارب العملية للعلماء والدعاة.

٩ - علم فقه الدعوة تميز باستقلاله زمن التابعين.

١٠ - مسائل علم فقه الدعوة تدور حول وقائع السيرة وتاريخ الخلافة.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

١- حتى نستطيع تعريف علم فقه الدعوة ينبغي أن يسبق ذلك تصور:

أ- مفردات هذا العلم. ب-قيمة هذا العلم.

ج-نشأته. د-لا شيء مما سبق.

٢- يمكن تعريف العلم لغة بأنه إدراك:

أ- الشيء بحقيقته. ب- الشيء على ما هو به.

ج-ظاهر الأمور وباطنها. د-ما ورد في أ، ب معاً.

٣- من أكثر الأسماء الشائعة وأعمها وأشملها لعلم فقه الدعوة اسم:

أ- أصول الدعوة. ب- مناهج الدعوة.

ج- علم الدعوة. د-فقه الدعوة.

٤- يفترض أنك موافق على جميع النقاط التالية ما عدا:

أ- الدعوة مهمة الأنبياء ووظيفة المرسلين دون غيرهم.

ب-الدعاة تلحقهم فضيلة الغرباء.

ج- الدعاة موضع ثناء الله تعالى.

د-الدعاة هم سبيل هداية الخلق إلى الحق تعالى.

٥- من خصائص القرآن الكريم:

أ- الربانية والكمال. ب-الوضوح والشمول.

ج- التوازن والإعجاز. د-الثبوت القطعي والحفظ.

هـ- جميع ما سبق.

ثالثاً: أسئلة متنوعة:

١- في ضوء ما درست ناقش شبهات المقصرين في القيام بواجب الدعوة إلى الله؟

٢- الخلاف في حكم الدعوة إلى الله اليوم -لا ينبني عليه كبير أثر. وضح ذلك من خلال عرض رأي الفقهاء بأدلتهم؟

٣- اعترض أحدهم على تدريس مادة فقه الدعوة لطلبة كلية الدراسات الإسلامية والعربية. فماذا تقول في الرد عليه؟

٤- علم فقه الدعوة: قديم ممارسة وتطبيقًا، حديث تأصيلا وتقعيدًا. في ضوء دراستك لنشأة هذا العلم وتدوينه بين مدى صحة العبارة واتفاقك معها؟

٥- حدد مصادر وموارد علم فقه الدعوة مع بيان خصائص كل مصدر؟

الفصل الثاني: أصول وأسس الدعوة الراشدة

الأهداف التعليمية للفصل:

عزيزي الدارس: يُرجى بعد دراستك لهذا الفصل أن تصبح قادراً على أن:

١- تقف على ضرورة العلم الشرعي وتتعرف على أهميته باعتبار- أول منطلقات وأصول الدعوة الراشدة.

٢- تحدِّد معيار انتماء الدعوة إلى العقيدة والشروط اللازمة لذلك.

٣- تكتب مقالة عن قيمة الاتباع باعتباره من أصول الدعوة الراشدة، مع توضيح الأمور المهمة التي يشملها الاتباع في الجانب العملي من الدعوة.

٤- تستنبط أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وارتباطه بإقامة الشريعة ونفعه لها، مع توضيح موقف الدعاة منه في واقعنا المعاصر.

٥- تعدّ أو تشارك في ندوة تتناول أصول الدعوة الراشدة، وأسسها وواقعها في العا لم.

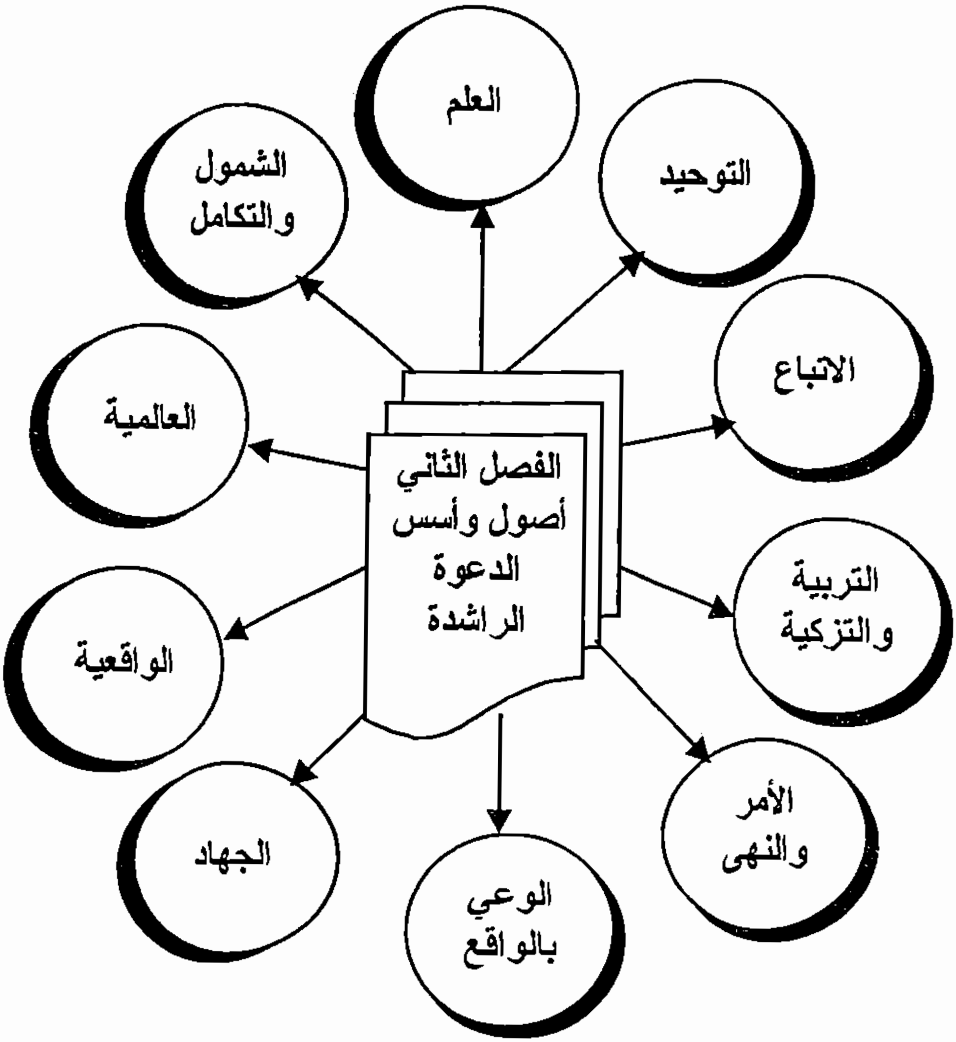
الفصل الثاني
أصول وأسس
الدعوة
الراشدة
العلم
التوحيد
الاتباع
التربية
والتزكية
الأمر
والنهى
الوعي
بالواقع
الجهاد
الواقعية
العالمية
الشمول
والتكامل

الفصل الثاني: أصول وأسس الدعوة الراشدة(*)

مقدمة:

الدعوة الراشدة تنطلق من أصول تحقق لها البصيرة التي ذكرها الله ﷻ في قوله تعـالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[يوسف: ١٠٨].

وأصول الدعوة النظرية والعملية يجب أن تحقق ركن الصحة والصواب المتمثل في قوله ﷺ: **"من عمل ما ليس عليه أمرنا هذا فهو رد"**(١).

وفي هذا الفصل محاولة لتحديد الأصول الدعوية الصحيحة، ونقصد بهذه الأصول المعاني الكلية المنظمة للعمل الدعوي، والثوابت التي منها ينطلق، والمعايير التي من خلالها يتحقق الرشد في العمل الدعوي، والبصيرة في الإصلاح والتقويم.

ولقد حرصنا في استخلاصنا لهذه الأصول على أن نحدد الأصول المتفق عليها بين العاملين في مجال الدعوة باختلاف توجهاتهم، بحيث تمثل هذه الأصول القاسم المشترك الجامع بين طوائف الدعاة إلى الله والعاملين في حقل الدعوة.

بحيث لا يتصور عند عرض هذه الأصول على أيّ داعية من الدعاة الصادقين أن يرد واحدًا منها؛ لأنها مستمدة من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه ﷺ، وعليها مضى الدعاةُ قديمًا وحديثًا، وهي مجتمعة تكون منظومة متكاملة يحتاج إليها الدعاة في دعوتهم؛ لتكون معيار الرشاد لهم، وفي نفس الوقت تعبر عن أفكارهم ومنطلقاتهم العلمية والعملية تعبيرًا صادقًا.

(*) استفيد هذا الفصل من كتاب معالم في أصول الدعوة، للدكتور محمد يسري.

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الصلح: باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٥/٣٦٨) (ح٢٦٩٧)، ومسلم في كتاب الأقضية: باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (٣/١٣٤٣)(ح١٨)، واللفظ له، كلاهما عن عائشة.

الأصل الأول: العلم

العلم الشرعي أول منطلقات وأصول الدعوة الراشدة بلا نـــزاع.

وتكمن أهمية العلم وتظهر حاجة الدعوة إليه فيما يأتي:

١- أنه يقرر الأصل الشرعي المستفاد من قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩] أن العلم قبل القول والعمل، فالعلم أمامَ العمل وإمامه، فالدعوة بلا علم سعي بلا هدى، فيتعين على كل داعية أن يتعلم من دينه ما تصح به دعوته وما يؤهله لإظهار الحق ودحض شبهات الباطل، كلٌّ بحسب حاله. وهذا من البصيرة المطلوبة في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

فالعلم يجب أن يكون سمت الدعوة الراشدة، وإذا أراد الله بدعوة خيرا فقَّه رجالاتها في الدين.

٢- الدعوة إلى الله تعالى في هذا الزمان تعالج أمورا عظاما، وقضايا كبارا، ونوازل في مختلف الجوانب التي يجب أن تنالها يد الإصـــلاح، وما لم يكن من أهل الدعوة أولو علم واجتهاد وتبصر فإن الدعوة ستسير ولكن إلى غير هدف، وستقاتل ولكن في غير ميدان، وستعادي من حقه المصالحة، وستهادن من يجب أن تنابذه، ولن يغني عنها حماس أتباعها شيئا، كما لم تغن الآراء المجردة - من قبل - قليلاً ولا كثيرًا، والواقع يشهد بتحوُّل المواقف والآراء -في قضايا كثيرة- من الضد إلى الضد، وهذا أحد آثار ضعف العناية بالعلم الشرعي.

٣- أن حالة التخالف والتدابر بين صفوف الدعاة مردُّها إلى أمور كثيرة أظهرها افتقاد العلم الشرعي أو ضعفه، وغياب فقه الدعوة إلى الله، ولا سبيل إلى تلافي أسباب هذه الحالة إلا بغلبة روح التأصيل العلمي مع الإخلاص لله ﷻ، والتفريق بين المقبول والممنوع من الخلاف، والمحكم والمتشابه من النصوص،

والقطعي والظني من الدلالات، ومسائل الخلاف والاختلاف.

- والعلم المقصود في مجال الدعوة إلى الله على ضربين:

الأول: فرض عين:

وهو أن يتعلم كل داعية ما يصح به تدينه وما لا يسعه أن يجهله في العقائد والعبادات والمعاملات، مع الإلمام العام بسيرة النبي ﷺ في الدعوة ومنهجه في الإصلاح.

الثاني: فرض كفاية:

ويتعلق بالدعاة المتخصصين في مختلف علوم الشريعة، الذين يطوّلون البا ع في التخصصات المتنوعة؛ بحيث يتحقق في مجموعهم أو في بعض أفرادهم وصف الاجتهاد، الذي يهيئ للنظر في نوازل الوقت، ويمكّن من استنباط الأحكام، وتخريجها على نظائرها، وتحقيق المصالح الشرعية المعتبرة وتكميلها، ودفع المفاسد أو تقليلها والموازنة بين الإيجابيات والسلبيات.

ويجدر في هذا الصدد التنبيه على المعالم الآتية:

- العناية بالقواعد الضرورية لطلب العلم كتصحيح النية والإخلاص في الطلب، فيطلب العلم لله تعالى، ولتحقيق الخشية، ولصحة العمل، ولحصول فضل الاقتداء بالنبي ﷺ، وللتزود من الصالحات، ولإقامة الدين، ولقيادة الدنيا وحصول التمكين.

- كما تتأكد البداءة بالتوحيد والإيمان والتثنية بالفقه والأحكام، وإنما يكون ذلك على منهج السلف الصالح في التلقي والاستدلال، والجمع بين الأخذ بالدليل وطلبه، مع جواز التمذهب والبعد عن التعصب.

- العناية بالجوانب المثمرة من جهة أخرى من العلوم والبعد عن الترف الفكري، والجدال العقيم والخلافات التي لا ثمرة لها، والحرص على الانتفا ع بالعلم عملاً وهديًا وسمتًا.

- الحرص على التدرج في سلّم التعلم، والترقي في العلوم الشرعية كافة بقدر

من التوازن بينها، وتأسيس برنامج عملي للترقي في العلم يُعنى بالأصول والكليات قبل الفروع والجزئيات، ويهتم بعلوم الغايات، ولا يغفل علوم الوسائل والآلات.

- اعتماد أصل التلقي بالمشافهة ما أمكن سبيلٌ إلى ذلك، مع الحرص على الأخذ عن الأكابر، واعتماد البدائل المعاصرة عند التعذر، كالإفادة من الدروس المسجلة، أو المصورة، وأساليب التعلم عن بعد... ونحو ذلك.

- العناية بكتب أهل السنة والجماعة في الأخذ والتلقي، سواء في الاعتقاد والأصول والأحكام، وسواء المتقدمين منهم والمتأخرين -رحمهم الله أجمعين.

- التنبه إلى خطورة الآفات والمزالق في طريق طلب العلم كالكبر، والعزلة عن واقع الأمة، والتعصب للرأي أو المذهب، وازدراء المخالف، والسطحية، والولع بالغرائب، والرياء وقوادح الإخلاص، والتصدر قبل التأهل... ونحو ذلك.

الأصل الثاني: التوحيد

إن التوحيد هو دعوة الرسل أجمعين، وهو أول ما يخاطب به الناس من أمور الدين، وهو معقد النجاة في الدنيا والآخرة.

أما أنه دعوة الرسل أجمعين فلقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء: ٢٥] وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل: ٣٦].

وأما أنه أول ما يخاطب به الناس من أمور الدين فلقوله ﷺ لمعاذ -حين أرسله إلى اليمن-: **"يا معاذ: إنك تأتي قومًا أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ﷻ، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم..."** الحديث[1].

(١) تقدم تخريجه (ص٥٦).

وأما أنه معقد النجاة في الدنيا فلأن الإقرار بالتوحيد يعصم الدم والمال، ويثبت عقد الإسلام قال ﷺ: "**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه، إلا بحقه وحسابه على الله**"(١).

وأما أنه معقد النجاة في الآخرة فلقوله ﷺ حين سئل وما الموجبتان؟ فقال: "**من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار**"(٢).

فالتوحيد أول ما يتعلمه الداعية وأول ما يدعو الناس إليه، فهو أصل الأصول التي ينطلق منها الداعية في دعوته إلى الله، وخلافته لرسول الله ﷺ خاصة، ولرسل الله -عليهم السلام- عامة، وهو أصل كل صلاح في هذه الحياة، كما أن الشرك ومعصية الرسول أصل كل فساد، يقول ابن تيمية -رحمه الله: "فأصل الصلاح: التوحيد والإيمان، وأصل الفساد: الشرك والكفر"(٣).

ومما يؤكد على أهمية الدعوة إلى التوحيد أن الخلل في جانبه أعظم وأكثر من كل خلل وقع عند الناس، وكذا فإن فساد العقيدة سببٌ مباشر في حدوث الاختلاف والتفرق والتنازع بين طوائف الأمة، علاوة على أن تصديق المدعوين للدعاة واتّباعهم لهم وفهمهم لما يقولون يتأثر بما لديهم من معتقدات، فمن لم يؤمن بالآخرة أصاخ سمعه لأعداء الرسل، ومن آمن باليوم الآخر كان على الضدّ من ذلك، وعليه فإذ سلمت عقيدة الأمة سلمت لها قوتها العلمية والعملية.

---

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الإيمان: باب: "فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلّوا سبيلهم" (٩٥/١) (ح٢٥)، ومسلم في كتاب الإيمان: باب الأمر بقتال لناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله (٥٣/١) (ح٣٦)، كلاهما عن ابن عمر.

(٢) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الجنائز: باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه: لا إله إلا الله (١٣٩/٣) (١٢٣٨)، عن عبد الله بن مسعود، ومسلم في كتاب الإيمان: باب من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات مشركا دخل النار (٩٤/١)(ح١٥١)، عن جابر بن عبد الله.

(٣) مجموع الفتاوى: (١٦٣/١٨).

فالداعية الحق يجعل الدعوة إلى العقيدة الصحيحة، والتوحيد الخالص أولا ودائما، وقبل كل شيء، ومع كل شيء، يدل على ذلك ما يأتي:

- ارتباط الأحكام والأوامر والمناهي بالوعد والوعيد وختم آيات الأحكام بذكر صفات الله ﷻ المناسبة للمقام وافتتاح بعضها بنداء الإيمان، لربط هذه الأحكام باعتقاد القلب.

- أن الإيمان عند الإطلاق في الكتاب والسنة لا يقتصر على اعتقاد القلب؛ بل يشمل القول والعمل كما هو إجماع أهل السنة والجماعة.

- أن المخالفات والمعاصي -سواء أكانت تركًا أم فعلاً- إما قادحة في أصل الدين وناقضة للإيمان، وإما قادحة في كماله الواجب، فإما أن تكون من جنس الشرك الأكبر الذي هو نقيض التوحيد، أو من جنس الشرك الأصغر، وهو شرك باعتبار الدافع إليه وهو اتباع الهوى والشيطان، وإن لم يكفر مرتكبه عند أهل السنة. وعلى هذا فإن الدعوة إلى الاستقامة على جميع تكاليف الإسلام هي في حقيقتها دعوة لترسيخ العقيدة، بشرط أن ترتكز الدعوة على أساس العقيدة وتنتمي إليها انتماءً صحيحًا.

وانطلاق الدعوة من العقيدة يشمل ثلاثة جوانب أساسية، هي:

١- أثرية العقيدة:

فالعقيدة التي تتبناها الدعوة وتنتمي إليها هي عقيدة الصحابة والتابعين وسلف الأمة الصالحين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

- **ومن أثرية العقيدة:** الاعتماد على الكتاب والسنة في تلقيها بفهم الصحابة -رضي الله عنهم أجمعين- فهم أعمق علما بمعانيها، وأدقُّ فهما لمراميها، وأقل تكلفا لطلب ما نُهُوا عن طلبه، وأبعد عن الخلاف والافتراق في أصولها وقواعدها الكلية.

- **ومن أثرية العقيدة:** التسليم لله تعالى وللرسول ﷺ، من غير تعرض لنصوص الوحيين بتحريف أو تأويل أو تعطيل أو تمثيل، وترك نَصْبِ شَرَكِ التعارض بين صحيح النقل وصريح العقل، ومجانبة الجدال والمراء في نصوص العقيدة ومعاقدها الكلية.

- **ومن أثرية العقيدة:** اعتماد ألفاظ ومصطلحات الكتاب والسنة، في مسائل الاعتقاد والتعبير بها عن المعاني الشرعية، وفق لغة القرآن وبيان الرسول ﷺ.

- **ومن أثرية العقيدة:** التحفظ من تكفير المخالف من أهل القبلة، والتثبت عند إطلاق الأحكام عامة، والتفريق بين القول وقائله والفعل وفاعله.

- **ومن أثرية العقيدة:** اعتماد مرجعية كتب أهل السنة والجماعة في العقيدة والتوحيد، والتعويل على إجماعهم في هذا الباب، بالتلقي عن أشياخهم والأثبات من علمائهم، وترك التخليط في مصادر التلقي والمرجعية وتصفيتها من كل نَفَس كلامي مردود، أو شوب فلسفي مذموم، أو دَخَلٍ مسلكي مبتدع.

٢- شمولية العقيدة:

- **ومن شمولية العقيدة:** عدم الاقتصار على طلب علمها في باب دون باب، وفي أصل دون أصل؛ إذ ليس شيء من العقيدة مهجورًا.

- **ومن شمولية العقيدة:** تناول توحيد الأسماء والصفات بجانبيْه العلمي والعملي، فتخليص السلوك عن الآفات والموبقات التي تنشأ عن الغفلة عن مدلولات الأسماء والصفات لا يقل عن تخليص العقل والفكر من الشبهات والأهواء في باب الأسماء والصفات.

- **ومن شمولية العقيدة:** الجمع بين توحيد الربوبية والألوهية في العناية والعرض، وبيان ابتناء الثاني على الأول، وإحياء عبادة التفكر والتدبر مع إفراد الله تعالى بالعبادة وبيان كونها توقيفية.

- **ومن شمولية العقيدة:** الربط بين قضايا الإيمان والكفر والحكم والتشريع، وبيان بطلان كل ما يعارض القرآن والسنة من أقوال وأعمال، وانعدام الشرعية عن كل نظام يقوم على هذه المعارضة.
- **ومن شمولية العقيدة:** سد الطرق الموصلة إلى الشرك كافة، وحماية جناب التوحيد عامة سواء في ذلك شرك القبور والأضرحة أو شرك العلمانية والتشريع.
- **ومن شمولية العقيدة:** العناية بتحقيق عقيدة البراء من كل ما خالفها ومن خالفها، وتأصيل عقيدة الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين.
- **ومن شمولية العقيدة:** العناية بمواجهة الانحرافات المعاصرة، فليست معارك العقيدة في خلافات ظهرت ثم اندثرت فحسب، وإنما بتأصيل منهج أهل السنة بقواعده وضوابطه، مع الرد على كل انحراف معاصر، وإن لم يتعرض له السلف لعدم ظهوره في زمانهم.
- **ومن شمولية العقيدة:** ربطها بآثارها العملية من استقامة الأخلاق، وانضباط السلوك، إذ أن عبادات القلب هي جوهر كل خير، وعنها يصدر كل بر.

ثالثا: إيجابية العقيدة:

إن هذه العقيدة لا يصح الانتساب إليها حقا ولا الانتماء لها صدقا إلا بالدعوة إليها، بعد تعلمها والتحرك بها ولها، فالعقيدة تمارس -عملياً- بالحركة بها، والسعي والحركة تضبطهما العقيدة الحقة.

- **ومن إيجابية العقيدة:** أن يظهر أثرها على فكر الداعية لها، فتُرى في أهدافه، وتُسمع في أقواله، وتقرأ في كتاباته، مع تعظيم علمائها وتقدير دعاتها كافة.
- **ومن إيجابية العقيدة:** التعاون مع أهلها ودعاتها على اختلاف مسالكهم العملية، لإقرارها ونصرتها وتكثير سواد أهلها.
- **ومن إيجابية العقيدة:** الصدور عنها في تقويم الأشخاص والأحداث

والمواقف، واتخاذها دون غيرها من الأسماء والشعارات أساسا للتفريق والمفاضلة، والموالاة والمعاداة.

- **ومن إيجابية العقيدة:** استقامة عمل القلب والجوارح معاً، وانضباط الأخلاق والسلوك الفردي بها، والاجتماع والوحدة على أساسها.

- **ومن إيجابية العقيدة:** التقيُّد بها في منهج الدعوة كله، ورفْض الوسائل والأساليب المنافية لها، أما التقيد بها في جانب دون جانب ،ذلك قادح في صدق الانتماء لها.

- **ومن إيجابية العقيدة:** الحياة بها والعيش لها بالكلية، بحيث تؤرق الداعية في كل وقت، فلأجلها يصالح ولأجلها يقاتل، ومن أجلها يسعى ويتحرك، يبذل جهده ويستفرغ وسعه تنتصر وتسود، ويمكّن لها ولأهلها في الأرض.

وبهذه الأمور جميعا يتحقق كون العقيدة أصلا وأساسا للدعوة إلى الله تعالى.

الأصل الثالث: الاتباع

الاتباع أصل العلم والعمل معاً، فهو شطر الشهادتين، وركن التوحيد الثاني، إذ أن قطب رحى الشهادتين يدور حول توحيد المعبود سبحانه وتعالى وتوحيد المتبوع ﷺ، وهو تحقيق توحيد المشرع، واتباع المبلغ. والاتباع شرط القبول بعد الإخلاص في الأعمال، كما ثبت في الحديث الصحيح "**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**"[1].

والاتباع الصادق علامة محبة الله تعالى ورسوله ﷺ، وهو طريق النجاة في الدنيا والآخرة، وهو حاصل باتباع الكتاب المنـــزل والنبي المرسل، كما هو حاصل باتباع الشرع المطهر، والرعيل الأول، وبكل ذلك ورد النص القرآني

---

(١) تقدم تخريجه.

والنبوي، فمن اتبع القرآن كان متبعا للسنة، وكان متبعا للسلف الصالح، وكان متبعا للدليل. والاتباع في شأن الدعوة أَمْر واجب، وحتم لازم، والمخالفة في ذلك مخالفة لسبيل المؤمنين، وتعرُّض للفتنة أو العذاب الأليم. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِه﴾ [الأنعام: ١٥٣]. وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣]. فسبيل البدع والشبهات والضلالات من أخطر ما يتهدد الدعوات، فلا يملك الدعاة في منهج الدعوة وأصولها ومسالكها إلا أن يأخذوا بسنن الهدى، وأن يجتنبوا طرق الردى.

فالاتباع واجب شرعي وضرورة عملية لطلب النجاة في الدنيا والآخرة.

والاتباع في الجانب العلمي من الدعوة إلى الله يشمل أموراً، من أهمها:

- توحيد مصدر التلقي وتجريده عن كل شوب، واعتماد مرجعية الكتاب والسنة، بفهم الصحابة وسلف الأمة، واجتناب مصادر التلقي والمعرفة غير الشرعية وغير المنضبطة.

- الحذر من اتباع الهوى، والتقدم بين يدي الله ورسوله بقول أو رأي، ومراعاة الدليل من القرآن والسنة والإجماع الصريح، والقياس الصحيح، أو ما استند إلى هذه المصادر.

- فتح باب الاجتهاد في كل ما لم يرد فيه نص قاطع أو إجماع صريح، ولا إثم على من اجتهد بعد تحصيل آلة الاجتهاد فأخطأ الصواب، والتقليد جائز للعاجز عن الاجتهاد في الجملة، ولا يجب على أحد من المسلمين تقليد إمام بعينه.

- كما يجدر التنبه إلى خطورة اتخاذ شعارات معينة، أو تبنِّي مقولات خاصة، يُمتحن الناس بها ويفرق بينهم على أساسها، اللهم إلا الجمل الثابتة والكلمات المحكمة من الكتاب وصحيح السنة وصريح الإجماع.

- القول الصحيح في التمذهب جوازه بلا تعصب، وتقديم لراجح بدليله بلا تردد، والعالم المنتهي فرضه الاجتهاد، والعامي فرضه التقليد، وطالب العلم المبتدئ أشبه بالعامي والمتقدم أشبه بالعالم؛ ففرضه الاتباع لأهل العلم بأدلتهم، ولا يصح الإعراض عن تراث الفقهاء بحجة الاجتهاد ونبذ التقليد، كما لا يسوغ إهمال الدليل الصحيح الذي لا معارض له وتقديم الآراء عليه.

وأما الاتباع في الجانب العملي فيشمل ما يأتي:

- التفريق بين المسائل الاجتهادية -التي يقبل فيها الخلاف ولا يطلب فيها الإنكار- ومسائل الاختلاف التي لا يسوغ فيها خلاف، مع التأكيد على أهمية إحياء وممارسة أدب الاختلاف في الإسلام، كما أقامه الصحابة وأقامه الأئمة من بعدهم.

- زلة العالم لا يتابع عليها، ولا يقلد فيها، ولا يهدر بسببها، ولا يشنع عليه بها، فيؤخذ من قوله ويترك، والمعصوم من عصمه الله تعالى.

- والاتباع كما ظهر جليا في الجوانب العلمية فإنه يظهر أيضا في الجوانب العملية، وذلك في مثل الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله تعالى وتقديم آراء الرجال ينقض دعوى اتباع الدليل من الكتاب والسنة، كما ينبغي الحذر من تحول قضية الأخذ بالدليل عند طائفة إلى نوع من الظاهرية والسطحية التي تجمع إلى الشذوذات والغرائب وضعف التأصيل الفقهي للمسائل.

- وكما أن الاتباع واجب شرعي وضرورة علمية فإن الاجتماع مطلب شرعي وضرورة عملية كذلك، فينبغي السعي والاجتماع على منهج الاتباع مع الموازنة بين الواجبين في حال السعة والاختيار وفي حال التدافع والاقتهار.

- على طوائف العاملين للإسلام على تعدد مسالكهم ومناهجهم العلمية أن يحفظوا فيما بينهم الأخوّة، وأن يحققوا الفائدة من هذا التعدد، فيحصل التخصص الذي يجوِّد الأداء، ويستوعب أكبر قدر من جمهرة الأمة، وتجتنب معه

الإبادة الجماعية من قبل الخصوم، ويتاح المجال لأكثر من تجربة عملية تثري العمل الإسلامي، وتشيع جوًا من المنافسة في الخيرات، مع اجتماع الكلمة في القضايا الكبرى، وتوحيد الصفوف في المواقف العملية المهمة، حتى لا يؤدي تباين المواقف العملية إلى إشاعة الوَهَن وإضعاف الصف.

الأصل الرابع: التربية والتزكية

إن عملية نقل المعلومات الذهنية من حيز الإدراك الجامد إلى حيز التطبيق العملي الحي بصورة متدرجة ومتأنية ومتكاملة ومتوازنة، هي التربية والتزكية، فهي في حقيقتها تبليغ المدعو رتبة الكمال البشري بكل وسيلة مشروعة، وإذا أطلقت كلمة الدعوة فإنها تشمل في طياتها البلاغ والتربية، وإذا اجتمعت مع التربية في سياق واحد كانت الدعوة حينئذ البلاغ والتعريف، وكانت التربية، البناء والتكوين، فالأولى في حق الغافلين، والجاحدين، والمعاندين المصرّين، والثانية في حق المستجيبين المقبلين.

والحاجة إلى التربية اعتمادا وتطبيقا وممارسة في الدعوة إلى الله تظهر في الجوانب الآتية:

- إن الاشتغال بالتربية هو طريق الأنبياء والعلماء والمصلحين قاطبة، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢].

والتزكية هي المصطلح القرآني للتربية، فالتربية من أول أعمال الأنبياء والمرسلين وأَوْلاها، وقد قال تعالى: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[الأنعام: ٩٠].

- أن القيام بواجب التربية والتزكية للنفوس عامة؛ هو في الحقيقة تهيئة للأمة للمطالبة بتحقيق وتطبيق شرع الله في الأرض، وإن العناية بالتربية لطائفة مخصوصة

من الأمة يهيئ لها فئات قادرة على البذل والعطاء، وتحقيق الآمال، والمرابطة على الثغور العلمية والعملية حماية للدين من كيد الكائدين، وعبث العابثين.

- كثيرا ما يُرَدُّ الفشل في تحقيق الأهداف الدعوية إلى أسباب داخلية، وعمدة هذه الأسباب عند التحقيق الخلل التربوي، فتارة يكون الخلل بسبب ضعف التربية، وتارة بسبب عدم تدرج التربية، وقفز الأغرار فوق أكتاف الثقات، وتارة بسبب عدم تكامل التربية، فتتضخم قضايا وأمور على حساب أمور أخرى لا تقل أهمية، وتارة أخرى بسبب عدم التوازن بين التربية وأصول ومنطلقات أخرى في الدعوة إلى الله... وهكذا، فالتربية الجادة المتكاملة المنضبطة دعامة تحقيق الأهداف، سواء أكانت أهدافاً علميةً أو عمليةً.

وعدَّ الإمام الشاطبي -رحمه الله- من أمارت العالِم "أن يكون ممن ربّاه الشيوخ في ذلك العلم، لأخذه عنهم وملازمته لهم، فهو الجدير أن يتصف بما اتصفوا به من ذلك، وهكذا كان شأن السلف الصالح، فأول ذلك ملازمة الصحابة -رضي الله عنهم- لرسول الله ﷺ وأخذهم بأقواله وأفعاله... وصار مثل ذلك أصلا لمن بعدهم، فالتزم التابعون في الصحابة سيرتهم مع النبي ﷺ حتى فقهوا، ونالوا ذروة الكمال في الأمور الشرعية"[(١)].

- وأخيرا فإن التربية ضرورة دعوية لا مناص منها؛ وذلك لأمور كثيرة، منها:

- اتساع نطاق العمل الدعوي؛ فقوافل التوبة والأوبة إلى الله تترى، وهي خليط متنافر من سلوكيات تربوية، لا يجمع بينها إلا أنها بعيدة عن المنهج السوي، وقد انتقلت إلى الصف الإسلامي بكل ما تحمله من رواسب المسالك الماضية، وإن تصعيدها في مدارج العمل الإسلامي من غير تصفية وتربية جادة- له من الآثار الوبيلة على العمل بأسره ما لم تتدارك بتربية حاسمة ومؤثرة، وإلا

(١) الموافقات (١/٦٦)، وما بعدها.

يكن هذا؛ فإن حديثي العهد بالجاهلية والمعاصي والثقافات المنحرفة - سيقولون كما قيل من قبل: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾، [الأعراف: ١٣٨]. أو "**اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط**"(١) فلابد من إزالة أوضار الماضي وتأسيس بنيان الحاضر على أسس مستقيمة وقواعد متينة.

- أهمية وجود وإفراز الصفوف الثانية والكفاءات البديلة: فلا يصح الاعتماد -بعد الاتساع- على شخصيات آسرة، وقيادات كبرى فحسب، ذلك أن العمل التربوي يعتمد على المخالطة والاحتكاك المباشر، ولا يتأتى هذا لتلك القيادات الأولى، فلابد من همزة الوصل بين الأجيال وهم أفراد تلك الصفوف الثانية من طلبة العلم والدعاة الناجحين الذين يُعتمد عليهم في تحريك القلوب، ومتابعة التعليم، والتقويم المستمر.

- تنوع مجالات الدعوة وتخصصاتها ووسائلها: وهذا واقع مشهود في هذا الزمان مع تقدم مذهل في الأمور التقنية، يحتاج إلى من يسد ثغرته من الطاقات والكفاءات، ولا يتأتى هذا إلا بوجود الإنتاج التربوي الغزير، كما أن مجالات كثيرة قد أشرعت أبوابها تنتظر من يَلِجُها ويشارك فيها، ويضرب للدعوة فيها بسهم، وهذا يستلزم اعتماد التربية وسيلة وغاية في وقت واحد، مع التنبه إلى خطورة الاستعجال في التجميع على حساب التربية المنضبطة، وفي الجملة فإن التربية أصل ضخم وأساس متين، لا يتم بدونه تغيير، ولا تنجح بدونه دعوة، وليس له غاية ينتهي عندها، ولا يستغني عنه الكبير فضلا عن الصغير، ولا المنتهي فضلا عمن في أول الطريق، ووسائلها أعم من الدرس والموعظة والقدوة والصحبة والرحلة... ونحو ذلك، وأساليبها كثيرة متنوعة، وسيأتي بيانٌ للوسائل

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن: باب ما جاء: لتركبن سنن من كان قبلكم (٧٥/٤)(ح٢١٨٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد (٢١٨/٥)، كلاهما عن أبي واقد الليثي.

والأساليب في ثنايا هذا الكتاب.

الأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من أعظم أصول الدين، وهو -بعد التوحيد- الواجب الذي بعث الله به النبيين أجمعين. وبإقامته على وجه الصواب استحقت هذه الأمة أن تكون خير أمة أخرجت لناس، قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وبإضاعته استحق بنو إسرائيل اللعنة على لسان الأنبياء قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].

فهو جهاد الدعوة الدائم، ودورها الذي لا قيام للدين بدونه، ولا اعتصام بحبل الله إلا على هداه.

وأرباب الدعوة في واقعنا المعاصر -إلا من رحم الله- منهم نَاكِلٌ عنه لشبهات أو لشهوات، فضيعوا الواجب وأغرقوا سفينة المجتمع، ومنهم عامل به من غير فقه ولا تبصر، فجاء احتسابهم حرثا على الأمة، والعاملون الموفقون وسط بين المفرطين المتهاونين والعاملين غير المتفقهين.

فأما الناكلون عنه فيقال لهم: ليس الاشتغال بهذه الفريضة ترقيعًا لبعض مظاهر الفساد، وتحصيلاً لمصالح جزئية لا قيمة لها، وفي المقابل ليس القيام بهذه الشعيرة يسبب -بالضرورة- فتنة ومحنة، تعوق العمل الإسلامي، وتعجل بالمصادمة مـــع الأنظمة والحـــكومات، ولا يعتبر الإنكار -بعلم وحلم وصبر- سببا لنفرة الناس من الداعية والدعوة، ومصلحة الداعي والدعوة معا في اتباع القرآن وأوامره، والسنة وأحكامها، ومن ذلك القيام بهذا الواجب المفروض؛ إذ

النجاة في الدنيا والآخرة مقرونة بالقيام بهذا الواجب ولابد.

وأما المتسرعون فيقال لهم: إنه لا إنكار في موارد الاجتهاد، وإنه يجب الاقتصار في التغيير باليد على قدر الحاجة من غير تجاوز، وإن الوجوب في هذه الشعيرة مرتبط بالقدرة وغلبة المصلحة، ويسقط بخوف الضرر المحقق، كما يسقط بالعجز، وينبغي الانكفاف عن الاحتساب إذا أدى إلى التقابل والتقاتل، وذلك في حق من عدا الإمام. وتقدير المصالح والمفاسد في هذا الباب موكول إلى العالم الذي يوثق به علمًا وفطنة، وورعًا وديانة. وإن تقديم الأهم على المهم، والتدرج في الإنكار، والنظر إلى المآلات في هذا الباب، وزوال المنكر بالكلية أو تخفيفه، مطلوب شرعا، وأما زواله مع زوال مثله من المعروف أو حصول مثله من المنكر فموضع اجتهاد ونظر، وأما زوال المنكر وحصول ما هو أكبر منه أو فوات ما هو أكبر من المعروف فممنوع شرعا.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله- "وإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات أو المستحبات، فالواجبات لابد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة إذ بهذا بعثت الرسل، وأُنـزلت الكتب، والله لا يحب الفساد... وحيث كانت المفسدة للأمر والنهي أعظم من مصلحته، لم يكن مما أمر الله به، وإن كان قد ترك واجب، وفعل محرم، إذ المؤمن عليه أن يتقي الله في عباد الله، وليس عليه هداهم"(١).

ومع أن هذا الواجب من فرائض الوقت المضاعة، ومن حرم الإسلام المهدرة فإن النظر إلى حاجة الدعوة اليوم إلى التأليف والمداراة، وتصحيح المفاهيم، واستفاضة البلاغ، وإقامة الحجة، وبناء القاعدة الصلبة، أمسُّ من حاجتها إلى قصر الاحتساب على طائفة من المنكرات الجزئية، في حين تَدْرُس

(١) الاستقامة:(٢/٢٢١).

معالم الدين الكلية، وتلتبس أصوله ومعاقده الكبرى، فلا يبقى -لدى الكثيرين- من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه، ومن حيث الوجوب فليشمل الإنكار كل منكر، وأما من حيث التغيير فكل منكر بحسبه، وكل منكر بقدره.

ولا يخفى أن هذا الواجب يشمل التغيير بمراتبه الثلاثة، باليد واللسان والقلب، فأما مرتبة الإنكار بالقلب فلا تسقط أبدا، إذ هي الأصل النظري لتغيير المنكر بمراتبه المختلفة وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل، وأما إنكار اللسان فلكل أحد في مواضع الإجماع والمسائل الجليات، ويختص أهل العلم بما وراء ذلك من مواضن الخلاف ودقائق المنكرات، ولا تسقط هذه الرتبة لهيبة أو لوم أو أذى خفيف.

وأما التغيير والإنكار باليد فمشروط - في غير ولاية المسلم وسلطانه - بألا يؤدي إلى تحريك الفتنة، وألا يترتب عليه من الضرر ما لا يحتمل في النفس أو الغير، وأن يُقتصر في التغيير على القدر المحتاج إليه من غير زيادة.

على أن الغالب في زمن الاستضعاف وغربة الدين عند الاحتساب باليد استنفار العامة ضد الدعاة، والتشويش على قضية الدعوة برمتها، وإيجاد ذرائع البطش والتنكيل بالعاملين كافة، مع استنـــزاف كثير من الجهود وتبديد كثير من الطاقات في مواجهات على حساب التربية والتصعية والبلاغ وهذا يؤكد أهمية الإحاطة بفقه النص وظروف الواقع وملابساته عند معالجة هذا الأمر الخطير.

الأصل السادس: الوعي بلواقع

إن الوعي بالواقع يعني حالة من اليقظة تقتضي فهم الأشياء ومدلولاتها، وتجميع عناصرها السابقة وربطها؛ في محاولة لإدراك الكل، كما يعني استعدادًا ذهنيا لاستيعاب الأحداث، والتفاعل معها بشكل صحيح، وهذا الوعي يستدعي بحثا في العوامل المؤثرة في المجتمعات، والقوى المهيمنة على الدول، والأفكار الموجهة ضد

الأمة، والسبل المشروعة لاستبانة سبيل المجرمين وحماية الدعوة من كيد المبطلين.

ومن مظاهر أهمية انطلاق الدعوة من إدراك الواقع ما يأتي:

- **تحقيق البصيرة في الدعوة إلى الله**: وهذا يتأتى بمعرفة واقع المجتمعات وأفرادها وهيئاتها ومؤسساتها، كما يتحقق بالاطلاع على وسائل وأساليب العصر المتجددة التي تخدم الدعوة وتدفع بها قُدُمًا للأمام.

وامتلاك الدعوة لرؤية صحيحة واضحة عن مجتمعاتها ومشكلاتها وكيفية التعامل معها وأساليب حلها تحول دون الفوضى والتخبط، وتمكن الدعاة من اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب.

- **تسديد الفتاوى في النوازل**: ولا شك أن ساحة الدعوة الإسلامية ملأى بنوازل عامة وقد اضطربت بشأنها الفتوى كثيرا، ويرجع هذا الاضطراب في الغالب إلى تفاوت في توصيف الواقع وتكييفه، وقد أشار أهل العلم سلفا وخلفا إلى أهمية فهم واقع المسألة، مع فهم النصوص الشرعية المتعلقة بها، وبهذين الركنين يتم تسديد الفتوى وتنضبط الأحكام فلا يبقى مجال لطاعن أو مخالف، ولا تزال فتاوى علماء كابن تيمية -رحمه الله- حية في عالم اليوم، وما ذاك إلا لأنها جمعت بين ركني الفتوى.

وعلاوة على ما سبق فإن تجاهل الواقع يفوت إعمال قاعدة سد الذرائع؛ فيقع كثير من الزلل بسبب عدم النظر في المآلات، كما يؤدي إلى تقديم الداعية للإسلام في إطار نظري مجرد عن واقع الناس الذي يَحْيَوْنه، فلربما عالج الداعي مشكلة لا تمس حاجة إلى علاجها، وأغفل أخرى هي أساس انحراف في مجتمعه، وإنه ليلحظ في دعوات الأنبياء -عليهم السلام- أنهم كانوا يضيفون إلى التوحيد الدعوة إلى تصحيح انحرافات المجتمعات الأخلاقية والاقتصادية والسياسية وغير ذلك، مع النظر في المآلات ومخاطبة الناس على قدر عقولهم، وسيرة النبي ﷺ في

الدعوة تنطق بذلك.

- **استبانة سبيل المجرمين وتعرية مناهج المنحرفين**: وهذا منهج قرآني نبوي سديد؛ فالقرآن فاضت آياته بفضح المنافقين، وكشف كيد الكائدين من اليهود والنصارى، ووقائع السيرة وأحاديث السنة قد تواتر فيها هذا المعنى، والدعوة وهي تجلي سبيل المؤمنين لا غنى لها أن تستبين سبيل المجرمين فتنهى عنه وتسقط الثقة به، بالتصريح تارة، والتلميح أخرى، وهذا كله مما يرفع وعي الأمة وينفي عنها الغثائية المذمومة، ويحقق الهوية الإسلامية والخيرية الشرعية على أكمل درجة.

- **تحصيل التكامل والتوازن التربوي**: إن الوعي بالواقع سياسياً وثقافياً واجتماعياً واقتصادياً لبنة أساسية في بناء الشخصية المسلمة، في هذا الزمان وفي كل زمان، ولا يسوغ بحال أن يُربَّى المسلم علمياً وفكرياً ويهمل في الجوانب العملية والواقعية، وعن هذا الخلل التربوي تنشأ آفات علمية وعملية معا، فمن انشغال فكر المسلم بقضايا ليست مصروحة تحت سمع وبصر الزمان والمكان، إلى حجز العقل المسلم وسد منابع الثقافة عليه، إلى تعويق السعي للتمكين، إلى بقاء الأمة في عزلة عن شؤونها السياسية والاجتماعية، وسقوطها في هوة التبعية الاقتصادية والتقنية. وصدق الله تعالى: ﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ**﴾ [الشورى: ٣٠].

وفي مقابل ما ذكر من أهمية هذا الوعي وحتمية إدراكه، فإن الاستغراق فيه والمغالاة في تناوله له محاذير، أهمها ما يأتي:

- **إغفال التأصيل الشرعي**: وذلك باعتبار أن الواقع هو الأصل تارة، وبإغفال المنهج الصحيح في تلقي الأخبار والحكم على الرجال والأحداث تارة، وبفقدان الاعتدال والتوازن بين فقه النص والواقع تارة أخرى.

- **الافتتان بالبهرج والزيف**: سواء أكان هذا بشخصيات كافرة، أو بأفكار منحرفة أو بطوائف ضالّة، أو بأساليب ووسائل غير شرعية، وما يصحب

ذلك من اختلال في ميزان الحب في الله والبغض في الله، وما قد يرافقه من التعويل على الأسباب والوسائل المادية وإغفال الجوانب الإيمانية والمعنوية.

- **الحذر من الجنوح بالدعوة إلى الله:** وذلك بأن تأخذ طابع الكفاح السياسي، أو الثورة الوطنية، أو المعارك الحزبية، مع ذبول الجانب العقائدي التربوي العلمي الأصيل.

- **الحذر من الانعزال عن الأمة بحجة تخلف العامة عن الوعي المطلوب:** فإدراك الواقع المطلوب هو التدبر في الأحداث والمواقف والمستجدات لينشأ عن ذلك عمل رشيد في حقل الدعوة؛ فإذا عاد الوعي بعزلة ومفارقة ومفاصلة بين الداعي وأمته، وبين الدعاة والعلماء، فقد أتى هذا الوعي بنقيض مقصوده، وكر الفرع على أصله بالإبطال، وذلك من أبطل الباطل وأمحل المحال. فلابد من الاقتصاد في ذلك كله ولزوم منهج العدل والتوسط.

الأصل السابع: الجهاد

الجهاد أصل عظيم من أصول الدين، وبيعة ماضية في عنق المؤمنين، وكما أنه ذروة سنام الإسلام، فهو خاتمة المطاف بالنسبة لجهود الدعاة؛ فإن أعداء الإسلام وشريعته لن يتنازلوا عما اغتصبوه من الحقوق إلا إذا حُملوا عليه حملا، وإنه مهما قيل في تحقيق العمل السياسي لبعض المصالح، أو دفعه لبعض المفاسد، فإن طريق التغيير العام وإقامة سلطان الشريعة يمر -ولابد- ببذل الأنفس والأموال، شعاره: يا خيل الله اركبي، وغايته إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة، وإن كان معنى الجهاد لا يُنفى عن استفراغ كل وسع وبذل كل جهد في نصرة هذا الدين بالحجة والبيان، وبالدعوة والإرشاد، وأفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر.

والجهاد الذي هو على نوعين: **جهاد الطلب، وجهاد الدفع.**

فأما جهاد الطلب: فهو طلب الكفار في عقر دارهم، ودعوتهم إلى

الإسلام، وقتالهم إذا لم يقبلوا الخضوع لحكم الإسلام، وهو فرض كفاية على مجموع الأمة، وقد يتعين في مواضع منها: تعيين الإمام لشخص بعينه، وإذا استنفر الإمام أهل محلة، وعند حضور القتال، ولاستنقاذ أسارى المسلمين من أيدي الكفار ونحو ذلك.

- **جهاد الدفع**: وذلك حين يتغلب العدو على بلد من بلاد الإسلام فيقتصه ويستلبه، وعندها يتعين الدفع على كل قادر حاضر من أهل تلك الدار ثم على من يليهم من المسلمين، حتى يظهر دين الله وتُحمى البيضة وتحفظ الحوزة.

وهدف الجهاد الأعظم هداية الناس وتعبيدهم لله وحده، وإخراجهم من عبودية العباد إلى عبادة رب العباد، وإخلاء العالم من الفساد، قال تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ**﴾ [البقرة: ١٩٣] وفي الحديث: "**بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله تعالى وحده لا شريك له**"[(١)].

ويدخل في هذا الهدف رد اعتداء المعتدين، وإزالة الفتنة عن المدعوين، وحماية دولة المسلمين وإرهاب أعداء الدين.

ومن بركات الجهاد على المسلمين: فضح المنافقين، وتطهير الصف من رجسهم وإفكهم، مع تمحيص المؤمنين وتربيتهم على الصبر والثبات، وتقوية دولة الإسلام بالفيء والغنائم، وغير ذلك من المنح الإلهية والنفحات الربانية.

وترك الجهاد والنكوص عنه طريق الهلكة والخسران في الدنيا والآخرة، وسبب الذل والهوان، ومستدع للبلاء والعذاب، ومفوّت للمصالح العامة للأمة.

وإذا كان العمل الجهادي بهذه المنـــزلة، فإن السعي في ترشيده وتسديده، والفصل بين ثوابته التي لا يجوز التنازل عنها وموارد الاجتهاد التي لا مشاحة فيها، مع النظر إلى واقع البلاد والعباد لهو أمر في غاية الأهمية والخطورة، نصحًا للأمة،

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٥٠)، عن ابن عمر، وصححه الألباني.

واستثمارا لجهد أبنائها، وتحقيقا للمصالح العامة ودفعا للشرور والمفاسد العامة.

وإذا كانت مشروعية قتال الإمام لمن امتنع عن التزام الأحكام الواجبة والعمل بها مما اتفقت عليه كلمة السلف والأئمة، فإن استيفاء الشرعية أول ضابط ينضبط به هذا العمل، فلا تستباح الدماء مع وجود الشبهة، فلابد من استيفاء حكم الجواز من الشرع، وعدم الإضرار بالأمة، بحصر الصراع مع أعدائها لا غير، مع وضوح الراية وسلامتها من ولاءات جاهلية، وشعارات عميّة، وقبل ذلك وبعده أن تتحقق المصلحة من القتال بإعزاز الدين، وكفّ بأس الكافرين والدفع عن المستضعفين.

وتترجح المصلحة بأمور متعددة منها: توقع الظفر، وتوقع القبول من الأمة، وسلامة التوقيت زمانًا ومكانًا، والقدرة على توظيف الحدث في خدمة العمل الإسلامي، مع بذل الجهد واستفراغ الوسع في اتخاذ الأسباب المادية، وحساب النتائج في حدود وقدرة البشر، ثم التوكل على الله تعالى من قبل ومن بعد.

وإذا كان جهاد الطلب ليس في مقدور الأمة الآن، فإن الموقف الصحيح هو المضي في السعي للوصول إليه لا إلغاؤه بالكلية، وإسقاطه من منهج الدعوة، ويكون التخلف عن هذا النوع بقدر العجز عنه، مع الأخذ بلوازم الوصول إليه، والإعداد له، مع الاستفادة من مراحل التشريع التي مر بها المسلمون الأوائل، ومن أحكام السياسة الشرعية التي يتحدد عليها اختلاف الموقف من المشركين هدنةً وحربًا، وفي نفس الوقت بقاء التعلق والسعي للوصول إلى هذه القدرة؛ لقوله ﷺ: **"من مات ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق"**[(١)].

وأخيرا فإن هذا لا يمنع من التأكيد على الحذر من استعجال المواجهة قبل

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة: باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدّث نفسه بالغزو (١٥١٧/٢)(ح ١٥٨)، عن أبي هريرة.

تهيئة مختلف الأسباب والقوى، وتحقيق الكفاية في العدة، ومراعاة أن النفوس يتغير ثباتها في حال المواجهة الفعلية عما قد يظهر منها حال السعة والأمن والاختيار. فهذا من آكد ما تنبغي العناية به في هذا الشأن.

الأصل الثامن: الواقعية

إن الواقعية قبل أن تكون منطلقاً وأصلا للدعوة والدعاة هي خصيصة من خصائص الإسلام في تشريعاته وأنظمته؛ بل وفي نظرته للإنسان، فنظرة الإسلام للإنسان تقوم على هذا المبدأ فلا إغراق في المثالية، ولا سقوط في المادية، لا إنكار لحاجاته وغرائزه، ولا إفراط في المتع واللذائذ الشهوانية، وعادة الإسلام أن يحد مستوىً أدنى لا ينـــزل الإنسان عنه، ويفتح له أفقا أرحب يتنافس الناس فيه، يظهر هذا في الفرائض والنوافل على تنوعها وتعددها، كما يظهر فيما نهي عنه نهيا جازمًا كالمحرمات وما لم يكن كذلك كالمكروهات، ومن واقعيته أيضا تشريع الرخص حال الاضطرار أو الاحتياج؛ ليتحقق التيسير ويندفع الحرج.

والدعوة إلى الله تنطلق واقعيتها من منهج التسديد والمقاربة، والتيسير والبساطة مع المعقولية، ويبدو هذا المنطلق جليًا عند استعراض مناهج الدعوة ووسائلها وأساليبها؛ بل وفي حكم الدعوة نفسه، فإن من واقعية وجوبها أنها تقسط هذا الوجوب على أفراد الأمة كل بحسبه، فلا يقوم بهذا الدين على وجهه الأتم الأكمل إلا رسول الله ﷺ، ثم تقوم الأمة به بمجموعها من بعده.

ومن قام بواجب بحسب وسعه كفى غيره هذا الواجب، وكفاه غيره واجبا آخر، وبهذه النظرة الواقعية للدعوة وحقيقتها، وللدعاة وإمكاناتهم والفروق الفردية بينهم، يتكون من عموم الأمة وفي مجموعها دعوة متكاملة.

وتظهر الواقعية في تشريعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومراحله

وأحواله من حيث الوجوب والاستحباب والجواز والحرمة.

كما تلمح أيضا في اعتبار الزمان والمكان في التربية والتعليم، والأمر والنهي والفتوى، إذ كل ذلك قد يتغير في أسلوبه ووسيلته وفي عَرْضه وطريقة تناوله، تقديما وتأخيرا، وتصريحا وتلميحا، باختلاف الزمان والمكان، والموقف العملي من أهل البدع والمخالفين يتفاوت باعتبار الواقع زمانا ومكانا، وباعتبار البدع غلظا وخفة، وباعتبار أهل الحق قوة وضعفا.

وفي الحق إن مظاهر الواقعية تنشأ عن كلية الشريعة الكبرى في تحقيق المصالح وتكثيرها وتكميلها، ودفع المفاسد وتقليلها وتخفيفها، وبمراعاة جانب الواقعية في أهداف الدعوة ووسائلها وأساليبها تنضبط مسيرتها وتنتظم المصالح في مسالكها، ويتحقق الرشد وينتفي الاضطراب والتعثر في مراحلها.

وبإغفال هذا الأصل المهم وقعت الدعوة إلى الله في مآزق مختلفة، وعلى مستويات عدة، فعلى صعيد أهداف الدعوة: قد يقال: إن هدف الدعوة هو إقامة حكم الله في الأرض وتغيير الواقع القائم، فتتجه الدعوة صوب هذا الهدف باحثة عن وسائله، ومتمحورة حول مقدماته، ومتخلية عن أصول أخرى ومنطلقات وأعمال مهمة. واختزلت مسألة التغيير في نظام بعينه، فتمر السنون فلا الهدف يتحقق ولا الواقع يتغير؛ بل ويلحق بعضَ الدعاة فتورٌ حيث عالج الهدف مرارا فكان نصيبه الفشل، وما ذاك إلا لأن الهدف لم تُراعَ الواقعية في رسمه، ولا ظرفه، من حيث الزمان أو المكان أو كفاية العدة ونحو ذلك. ولو قيل: إن هدف الدعوة تعبيد الناس لربهم ﷻ وهدايتهم إلى الصراط المستقيم، وأن هذا الهدف الشامل لا يتم إلا عبر مراحل وأهداف قريبة، تستوجب انشغالا بالعلم والتربية والأمر والنهي ونحو ذلك، وتنتهي بإعلان سيادة الشريعة وهيمنتها – لكان أولى وأنفع.

ويلتحق بعدم الواقعية في الأهداف الاشتغال بالهدف المتعسر، وترك وإهمال تحقيق الهدف المتيسر، وكثيرا ما أدى الانشغال بغير المتاح من الأهداف إلى ضياع المتاح وغير المتاح معًا.

وعلى صعيد وسائل الدعوة؛ فقد يصر البعض على وسائل معينة لتحقيق أهداف ما لمجرد أنها جربت من قبَل الرعيل الأول، أو في عهد المؤسس الأول، بغضّ النظر عن كونها واقعية فعالة الآن أم لا؟، فتتحول الوسائل الاجتهادية إلى أمور توقيفية لا تقبل تغيرا أو تعديلا، من غير التفات إلى عدم التكافؤ الظاهر بين ضخامة الواقع وضآلة الوسائل، وبالضرورة فإن هذا التغيير الذي يمليه الواقع واعتبار الواقعية لابد أن ينضبط بالتزام واستيفاء الضوابط الشرعية، ومن الواقعية فيه أيضا التدرج، ومراعاة ممانعة النفس البشرية، فإنها يصعب عليها التحول وترك الإلف المعتاد، ومن الواقعية أيضا لتنوع والتطور في الوسائل والأساليب الدعوية.

الأصل التاسع: العالمية

إن عالمية الدعوة إلى الإسلام مستمدة في الأصل من عالمية هذا الدين ومن عالمية رسالته إلى الثقلين، ومستمدة من ربانية هذه الشريعة التي تـنزلت من رب الناس وإله الناس إلى الناس كافة؛ فكان حقا على كل داع أن يتأسى بالداعية الأول ﷺ، حيث خرج بدعوته إلى خارج حدود الجزيرة، وكاتب الملوك والقياصرة والأكاسرة يدعوهم بدعاية الإسلام، ولقد تجددت العالمية في دعوة الصحابة -رضي الله عنهم- من بعد نبيهم، حيث قام خطيبهم ربعي بن عامر رضي الله عنه ليعلن هذا المبدأ في الدعوة فقال "ابتعثنا الله لنُخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام"(١).

---

(١) انظر "تاريخ الطبري":(٤٠١/٢).

ومما يؤكد هذا المعنى -شرعًا- إقامة آصرة الاجتماع على أصل التوحيد دون غيره من الأواصر، ومما يثبته في الواقع بشارة النبي ﷺ بدخول الناس في دين الله أفواجا، وبلوغ دعوة الإسلام ما بلغ الليل والنهار، وبامتداد ملك أمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، مما وقع بالفعل أو ينتظر وقوعه.

ومما ينبغي التأكيد عليه في هذا المقام بعد التنبيه إلى أن الدعوة محلها الأرض كل الأرض، وأن المدعوين هم الناس كافة، وأن موضوعها دين الإسلام الخاتم، أن يعلم أن مما يثبت هذه العالمية تلك السعة في شريعة الإسلام، والتي تؤكد على رفع الحرج ونفي الجناح، وجلب التيسير عند المشقة، وتغير الفتوى بتغير معطياتها زمانا ومكانا، وهذا الذي على مثله يؤمن الناس بالإسلام؛ فتتحقق مصالحهم في العاجل والآجل، ليس فقط بحفظ الضرورات وإنما برعاية الحاجيات والتحسينيات أيضا، مع تشريع الرخص المبيحة للمحرمات عند وجود المشقات البالغة أو الضرورات.

وعلى هذا فإن الدعوة العالمية التي تتجاوز حدود المكان هي التي ترعى الثوابت في كل ميدان، وتتعامل مع قضايا ووسائل الاجتهاد بحسب معطياتها ومقدماتها، فلا تقف على رأي لا يتغير في هذا الباب، ولا تجمد على أسلوب أو وسيلة لا ترى سواها، كما لا تتبنى مذهبا فقهيا ناسب مكان نشأة الدعوة، ثم ترفعه إلى منـــزلة المحكمات والقطعيات في كل مسائله وفروعه، فتخلط بين الموروث الفقهي والأصول العقدية، أو بين الثابت والمتغير في الشريعة الإسلامية.

ومن عالمية الدعوة السعي إلى إيجاد هيئات ومؤسسات عالمية، تخدم قضايا الدعوة إلى الإسلام، وتخدم وتدعم المسلمين، علميا وسياسيا واقتصاديا وإعلاميا، كما تعمل على توحيد كيانات أهل السنة والجماعة المختلفة، والتقريب بينها والتنسيق بين مواقفها ونصرة قضاياها المشتركة، مع التأكيد على أنه لا يمكن في الواقع أن تستقل طائفة مهما عظمت إمكاناتها بالتغيير الشامل.

ومن أسف أن تفتقد كثير من الدعوات الصادقة -في عملها اليوم- سمة العالمية، في الوقت الذي ترتفع فيه رايات ومرجعيات عالمية لليهود والنصارى من جهة، وللرافضة والصوفية المنحرفة من جهة أخرى.

الأصل العاشر: الشمول والتكامل

إن الشمول في الدعوة إلى الله مستمد من شمولية تشريعات الإسلام لأنظمة الحياة الإنسانية كافة، ومن أمره تعالى بالدخول في ذلك عامة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]. وهي كذلك مستمدة من كون كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ﴿تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] يحتاج إليه من الأمر والنهي والحلال والحرام والحدود والأحكام.

وأما تعليل كون الدعوة يجب أن تكون شاملة، والبلاغ يجب أن يكون عاما، فلأن الله تعالى خاطب الداعية الأول فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[المائدة: ٦٧]. فقوله تعالى: ﴿مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يشمل جميع ما أوحي إليه من الكتاب والسنة بلا نقصان.

وإن كان المقصود بهذا الشمول أن يجتمع في الدعوة إلى الله تعالى -على تعدد تخصصات أربابها وتنوع اهتماماتهم- الدعوة إلى الإسلام بشرائعه وتنظيماته كافة؛ فإن هذا لا يمنع أن يبذل الدعاة مساعيهم كل بحسب طاقته في جمع أطراف الإسلام عند الدعوة إليه، ولكن كما تقدم فإن الدعوة تتجزأ وتتقسط، والأصل فيها أنها من فروض الكفايات، فما قصر فيه فرد قام به آخر، وما عجز عنه فريق

نهض به فريق آخر، لكن المتعين على الأمة بمجموع دعاتها أفرادًا وجماعات أن يأخذ كل جزء من الإسلام حقه من الدعوة والبيان، فالأمة تتكافل في أداء فروض الكفايات ولا يأثم الكافة إلا بترخص الجميع، فيمارس كل فريق اختياراته واجتهاداته بفقه ورشد مع استشعار أن الباقين يحملون ما عجز عنه ويكفونه مؤنته.

ومن الشمول في الدعوة الجمع بين فقه الاتباع وضرورة الاجتماع، فينبغي التزام الجماعة بمعناها العلمي، المتمثل في اتباع الكتاب والسنة على رسم منهاج النبوة، وبمعناها العضوي المتمثل في الدعوة إلى اجتماع طوائفها حول الأئمة الشرعيين، أو حول أهل الحل والعقد فيها عند خلوّ الزمان من الأئمة، واشتراك الكل في الدفع عن الإسلام وأهله، وحماية بيضته وإقامة دولته.

وبناء على ما تأسس فإن الشمول في الدعوة يحققه هذا التعدد والتكامل، الذي هو في حقيقته تعدد تنوع وتخصص، تتكامل به الجهود، وتحيا به الفرائض كافة، وليس تعدد تعارض وتضاد وتنازع، تتفرق به الصفوف، وتتقطع به العلائق، ولعل التأكيد على هذا الأصل مما يزول معه الانغلاق على النفس، والاستعلاء على الآخرين، وتنفتح به الأبواب، وتقطع به السبيل على قالة السوء ودعاة الفتنة.

ومن نافلة القول أن مما يقوي هذا التكامل ويرسخه وحدة المواقف السياسية والجهادية، منعا للخلل والاضطراب في الصفوف، والتقارب الخاص بين الطوائف والاتجاهات المتقاربة عمليا، كما أن الاشتراك في الأعمال العلمية النظرية والبرامج الدعوية العملية من شأنه أن يفتح مغاليق القلوب، ويحقق

التكامل والتوافق، الذي لا بديل عنه إلا التنازع والفشل، ومن ثم الفناء والعدم.

إن أمانة الدعوة إلى الله ومسئولية تعبيد الناس لربهم مـــرورا بتحكيم الشريعة وإقـــامة دولة القرآن والسنة في هذا العصر لَتقتضي –حتما– التكامل والتراحم بدلا من التفرق والتباغض، وإن أمانة الدعوة إلى الإسلام لَتستلزم الحضَّ على لجماعة والوحدة والائتلاف، والنهي عن الفرقة والاختلاف، والأصل أن طوائف الدعاة وآحادهم المنضوين تحت راية السنة على اختلاف مناهجهم ومسالكهم العلمية والعملية بمثابة التخصصات الطبية المتنوعة المحتاج إليها جميعًا لا يغني تخصص عما سواه، ولا تتحقق عافية الأمة بالاقتصار على واحد دون ما عداه.

خلاصة الفصل الثاني

من أهم أصول منطلقات الدعوة ما يلي:

١- العلم الشرعي:

ذلك أن الدعوة إلى الله اليوم تعالج نوازل في مختلف جوانب الإصلاح، وما لم يكن من أهل الدعوة أولو علم واجتهاد وبصر نافذ فإن الدعوة سيختلف سبيلها، ويتشرذم أتباعها، وتتفرق دروبها، وربما لم تحقق مقصودها. ومن هنا كان طلب العلم الشرعي العيني والكفائي مع التحلي بآداب أهله والتوقي من آفاته - من أهم أصول الدعوة إلى الله.

٢- التوحيد:

إذ هو أصل الأصول وقطب رحى دعوة الأنبياء والمرسلين، والدعوة إلى الله في كل زمان ومكان عليها أن تنطلق من عقيدة السلف الصالح بشمولية فهم، وفعالية تحرك، وسعي لإقرار دين الله في الأرض.

٣- الاتباع:

وهو شطر الشهادتين وركن التوحيد الثاني، ويتحقق في جانبين: علمي وعملي فالاتباع العلمي: باعتماد مرجعية الكتاب والسنة، بفهم الصحابة وسلف الأمة، ومراعاة الدليل، وفتح باب الاجتهاد مع جواز التمذهب بلا تعصب.

والاتباع العملي: بإحياء أدب الاختلاف وتعظيم العلماء، وترك تقليدهم في الزلاّت، والحرص على أصل الاجتماع مع تحقيق واجب الاتباع، وحفظ الأخوة والعصمة بين المؤمنين.

٤- التربية والتزكية:

وهي في حقيقتها تبليغ المدعوّ رتبة الكمال البشري بكل وسيلة مشروعة،

وهي طريقة الأنبياء والعلماء، وسبيل تخريج الأكفاء، القادرين على مواصلة البذل والعطاء، وهي التربية المستمرة الشاملة المتدرّجة المنضبطة، وبذلك يصل الدعاة إلى تحقيق أهدافهم العلمية والعملية كافة.

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إذ هو جهاد الدعوة الدائم، ودورها الذي لا قيام للدين بدونه، ولا اعتصام بحبل الله إلا على هداه. والناس في قيامهم بهذا الواجب طرفان وواسطة: ما بين متسرع فيه ومتثاقل عنه، وأما أهل التوفيق فجمعوا بين إنكار المنكرات كافة والتمييز بين رتبها ودرجاتها وسبل إنكارها، وكفوا كف الأيدي عن التغيير عند خوف الفتنة في زمن الاستضعاف وغربة الدين وقلة الناصر والمعين.

٦- الوعي بالواقع:

ويُعنى به حالة من اليقظة تقتضي فهم الأشياء ومدلولاتها وتجميع عناصرها السابقة وربطها في محاولة لإدراك الكل، والدعوة إلى الله إذ تأخذ بهذا الأصل تطلب تحقيق البصيرة، وتسديد الفتاوى في النوازل، مع استبانة سبيل المجرمين وتعرية مناهج المنفرين، كما يتعين الحذر عند الأخذ به من الاستغراق فيه، وإغفال التأصيل الشرعي، والافتتان بالبهرج والزيف.

٧- الجهاد:

وهو ذروة سنام الإسلام، ولا تزال طائفة من الأمة قائمة به، إما بجهاد الدفع: وهو حين يتغلب الكفار على بعض بلاد المسلمين، وإما بجهاد الطلب للتخلية بين الناس والدين وإزالة كل عقبة في طريق الدين الحق. وتسديد هذا العمل وترشيده في غاية الأهمية نصحًا للأمة، واستثماراً لجهد أبنائها، وتكثيرًا للمصالح وتقليلا للمفاسد.

٨- الواقعية:

وواقعية الدعوة تنطلق من منهج التسديد والمقاربة، وأصل التيسير والبساطة مع المعقولية، وهي خصيصة من خصائص تشريعات الإسلام وأنظمته، وبمراعاة الواقعية في أهداف الدعوة ووسائلها تنضبط مسيرتها وتنتظم المصالح في مسالكها وينتفي الاضطراب في مراحلها.

٩- العالمية:

وهذا الأصل مستمد من عالمية الدين ومن ربانية هذه الشريعة التي نـــزلت من رب الناس إله الناس إلى الناس كافة.

١٠- الشمول والتكامل:

وهو مستمد من شمولية تشريعات الإسلام لأنظمة الحياة كافة، ومن أمره تعالى بالدخول في ذلك عامة، والمقصود به أن يجتمع في طوائف الدعاة إلى الله تعالى الدعوة إلى الإسلام بشرائعه وتنظيماته، فيصبح هذا التعدد الدعوي تعدد تنوع وتخصص، تتكامل به الجهود، وتقام به الفروض، وتتوحد به المواقف، وتتحقق به العافية.

اختبار الفصل الثاني

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (✗) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١- يتعين على كل داعية أن يحيط علمًا بعلوم الفقه وأصوله.

٢- الواقعية بمعنى الرضا بالواقع أهم ما يميز الدعوة الراشدة.

٣- العقيدة الإسلامية عقيدة سلفية إلا أنها تقتصر على جانب الربوبية.

٤- تتصف العقيدة الإسلامية بالثبات لا الحيوية.

٥- الاتباع أصل أصول العلم والعمل معا، فهو شطر الشهادتين، وركن التوحيد الثاني.

٦- ممارسة الدعوة الإسلامية لا تحتاج إلى التربية ولا ترتبط بها لتغاير مفهوميهما.

٧- الأمر بالمعروف لكل أحد والنهي عن المنكر للعلماء فقط.

٨- الدعاة غير مطالبين بأن يكونوا على وعي بالواقع استغناءً بعلم الشرع.

٩- الجهاد نوعان: جهاد الطلب، وجهاد الدفع وكلاهما فرض على الأعيان.

١٠- عالمية الدعوة الإسلامية مستمدة في الأصل من عالمية الإسلام وعالمية رسالته إلى الثقلين.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

١- جميع العبارات التالية صحيحة ما عدا:

أ- العلم الشرعي أول منطلقات وأصول الدعوة الراشدة.

ب-العلم المقصود في مجال الدعوة إلى الله كله فرض عين.

ج- التوحيد هو دعوة الرسل أجمعين.

د- التربية مهمة مارسها الأنبياء.

٢- الاتباع في الجانب العملي من الدعوة إلى الله تعالى يشمل أموراً، أهمها:

أ-توحيد مصدر التلقي وتجريده عن كل شوب.

ب- الحذر من اتباع الهوى.

ج- متابعة العالم على زلته وعدم مخالفته عليها.

د- فتح باب الاجتهاد في كل ما لم يرد فيه نص قاطع أو حديث صريح.

هـ-ما ورد في أ، ب، د معاً.

٣- من أهم دواعي الحاجة إلى التربية ممارسة وتطبيقاً في الدعوة إلى الله:

أ- الاشتغال بالتربية هو طريق الأنبياء والعلماء والمصلحين قاطبة.

ب- قد تفشل الدعوة بسبب خلل تربويٍّ فيها.

ج- تنوع مجالات الدعوة وتخصصاتها ووسائلها.

د- جميع ما سبق.

٤- من الملامح الأساسية لخير أمة أن تكون:

أ-آمرة بالمعروف. ب-ناهية عن المنكر.

ج-تؤمن بالله. د-تقبل على متاع الدنيا وتزهد في الآخرة.

هـ- ما ورد في أ، ب، ج معاً.

٥- الجهاد الذي هو الدعاء إلى الدين الحق وقتال من لم يقبله على نوعين، هما: جهاد:

أ- الطلب. ب- الدفع.

ج- الضرورة. د- إظهار القوة على الغير.

هـــ- ما ورد في أ، ب فقط.

ثالثاً: أسئلة متنوعة:

١- الإسلام دين دعوة، وتتميز دعوته بعدم التحيز بمكان أو زمان. ناقش هذه لعبارة في ضوء ما درست؟.

٢- يدعي بعض الناس أن الدعوة إلى دين الله منبتّة الصلة بالواقع، فهل من سبيل لبيان فساد ذلك؟ وضح هذا السبيل لهؤلاء المدعين عن طريق مناقشة هذه الفكرة في أسلوب حواري؟

٣- تعزى الإخفاقات الدعوية المعاصرة في كثير من الأحيان إلى الخلل التربوي، ناقش هذه القضية في ضوء دراستك؟

٤- أكتب مذكرات مختصرة عن أصول وأسس الدعوة الراشدة مبيناً المباحث الأساسية في ذلك؟

٥- تحدث بالتفصيل عن مبحث التوحيد وارتباطه بالدعوة الراشدة.

القراءات الإثرائية

عزيزي الطالب: يمكنك القيام بالأنشطة المرتبطة بالاطلاع على المراجع ذات الصلة بالوحدة الأولى (مبادئ وأصول علم فقه الدعوة) وذلك للاستزادة بالمعلومات المتعلقة بهذه الوحدة، من خلال الرجوع إلى المصادر التالية:

الكتاب	المؤلف
- المدخل إلى علم الدعوة.	د. محمد أبو الفتح البيانوني
- الدعوة الإسلامية.	د. أحمد غلوش
- أصول الدعوة.	د. عبد الكريم زيدان
- تذكرة الدعاة.	أ. بهي الخولي
- المنطلق.	أ . محمد أحمد الراشد
- أصول الدعوة الإسلامية.	د. علي جريشة
- الأصول العلمية للدعوة السلفية.	الشيخ / عبد الرحمن عبد الخالق
- رسالة في الدعوة إلى الله.	سماحة الشيخ/ عبد العزيز بن باز
- منهج ابن تيمية في الدعوة إلى الله.	د. عبد الله الحوشاني
- فقه الدعوة إلى الله.	د. علي عبد الحليم محمود

النشاط التعليمي للوحدة الأولى

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول موضوعات هذه الوحدة عليك بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

أدِرْ ندوة حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كأصل يجب أن ينطلق منه الدعاة، مبينًا موقعه من الدعوة، وعلاقته ببقية الأصول.

الوحدة الثانية

صفات وآفات الدعاة

الوحدة الثانية

صفات وآفات الدعاة

مبررات دراسة الوحدة:

عزيزي الدارس: الداعية إلى الله يجب أن يكون شامة بين الناس، يعرف بصفاته الجميلة، وأخلاقه الحميدة، وشمائله المرضية، كما يتعين عليه أن يتنزه عن كل ما لا يليق بحامل ميراث النبوة، وفي هذه الوحدة بيان لأهم صفات وآفات الدعاة، فهلمَّ إلى التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل.

الفصل الأول: صفات الداعية

الأهداف التعليمية للفصل:

عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذا الفصل أن تصبح قادراً على أن:

١- تتعرف على معنى لفظ الداعية، ومراتب الدعاة إلى الله تعالى.

٢- تتبين مدى ارتباط الفقه بالدعوة كشرط للداعية، وفائدة ذلك للدعوة.

٣- تفسر مدى أهمية الصفات النفسية للداعية وأثرها في القيام بمهام وواجبات الدعوة.

٤- تصنف قائمة بالصفات الاجتماعية للداعية، ومدى ارتباطها بالصفات النفسية له.

٥- تذكر الصفات العلمية والعملية للداعية، وعلاقتها بكل من الصفات الاجتماعية والنفسية للداعية، وتكاملها معاً في صقل شخصية الداعية.

٦- تحرر مقالة توضح فيها الصفات الواجب أن يتحلى بها الدعاة إلى الله، ودور هذه الصفات في نشر الدعوة وقبولها لدى المدعوين.

الفصل الأول: صفات الداعية

- التعريف بالداعية
- صفات الداعية

صفات نفسية

١ - الإخلاص.
٢ - الصدق.
٣- الحلم والعفو والصفح.
٤ - الصبر.
٥ - الخشية والتقوى.
٦- الزهد والورع.
٧- الحياء.

صفات اجتماعية

١ - الرفق واللين.
٢ - الرحمة والتراحم.
٣ - التزام أدب الحديث.
٤- سلامة الصدر.
٥- التمتع بروح الإخاء والتعاون.
٦- العدل والإنصاف.
٧- التآلف والاتحاد والعمل.
٨- التواضع لله ﷻ.
٩- الإيثار.
١٠- الجود والكرم.
١١- النظافة.
١٢- الأمانة.

صفات علمية وعملية

١ - العلم والفهم.
٢- قوة العزيمة وعلوّ الهمة.
٣- العمل بمقتضى علمه.
٤- الشعور بالمسئولية.
٥- التدرج في تحقيق كل المقصود.
٦- الثقة بالله والتوكل عليه.
٧- الوفاء بالعهود والمواثيق.
٨- الاعتزاز بالإسلام وحده.
٩- القصد والاعتدال والوسطية.

المبحث الأول: التعريف بالداعية

الداعي هو القائم بالدعوة، وهو سم فاعل من دعا يدعو، والداعية الذي يدعو إلى دين أو فكرة، والتاء في الداعية لنقل الكلمة من الوصفية إلى العلمية مثل ما وقع في (العلامة)، فيقال عمن عرف بالدعوة "داعية"، - يضًا - يطلق على الدعوة داعية، جاء في الحديث "**فإني أدعوك بداعية الإسلام**"(١).

والداعية: "هو المبلغ للإسلام والمعلم له والساعي إلى تطبيقه، فيشمل مصطلح الداعي من قام بأعمال الدعوة كلها، أو بعمل من أعمالها، إلا أن الذي يقوم بهذه الأعمال جميعها هو الداعية الكامل"(٢).

والداعي الأول هو النبي محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا**﴾[الأحزاب: ٤٥].

والأمة شريكة لرسولها في وظيفة الدعوة إلى الله تعالى، والآيات التي تأمر النبي ﷺ بالدعوة يدخل فيها المسلمون جميعا؛ لأن الأصل في خطاب الله تعالى لرسوله ﷺ دخول أمته فيه إلا ما استثني، فالمكلف بالدعوة إلى الله تعالى كل مسلم ومسلمة، ولا يختص العلماء بأصل هذا الواجب؛ لأنه واجب على الجميع كل بحسبه، وإنما يكلف أهل العلم بتبليغ تفاصيل الإسلام، وأحكامه، ومعانيه الدقيقة(٣).

مراتب الدعاة:

ولاشك أن الدعاة مراتب كما ن الفقهاء مراتب، فإذا كانت مراتب الفقهاء بحسب قدرتهم على الاجتهاد والاستنباط، فإن مراتب لدعاة أعم من

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير: باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام (١٣٩٦/٣) (ح٧٤)، من حديث طويل، عن أبي سفيان.

(٢) المدخل إلى علم الدعوة (ص ٤٠).

(٣) انظر: أصول الدعوة (ص٣٠٨ - ٣١٠)، والحكمة في الدعوة إلى الله (ص ١١٩).

ذلك وأشمل، فالعلم جانب من الجوانب التي يُقَوَّمُ على أساسها الداعية، لكنها ليست كل الجوانب. ويمكن تقسيم الدعاة إلى ثلاث مراتب:

١- **داعية منشغل بالدعوة:** وهو من كرس حياته وجهده وجُلَّ وقته لخدمة الدعوة ومصالحها، بحيث أصبحت الدعوة شغله الشاغل.

٢- **داعية ملتزم بالدعوة:** وهو من يلتزم - غالبًا- بما يجب عليه تجاه الدعوة، دون الوقوع في محظور إهمالها.

٣- **داعية غير ملتزم بالدعوة:** وهو من لا يلتزم بما يجب عليه تجاه الدعوة، إلا أنه يدعو إلى الله حسبما تيسر له ذلك، دون تقديم مصالحها في أولوياته.

ونحن عندما نُعَرِّف الداعية، فإنما نعرف بالداعية المنشغل بالدعوة الذي تحمَّل مسئوليات جسامًا من مسئوليات هذا الدين؛ لأن الداعية الذي نتحدث عنه هو من سخر حياته: وقته، وجهده، ونفسه، وما يملك في سبيل تبليغ هذا الدين، ولم يألُ جهدًا في خدمة الدعوة ومقاصدها وأهدافها ومصالحها، ولا نتكلم عمن كانت الدعوة شيئا هامشيا في حياته، لا يبذل لها إلا ما فضل من وقته وجهده، حسبما اتفقت الظروف، دون خطة مدروسة أو عناية جمة، كما لا نتكلم عمن يدعو إلى الله لغرض دنيوي، ومصلحة مادية عاجلة، فأفرزته الظروف وطبيعة المهنة كداعية في الساحة، ولكن الداعية الذي نحن بصدده من يتفاعل مع الأمة وتتفاعل معه، والذي يسهم في بناء صرح الإسلام العظيم، ونشر مبادئه الحقة؛ طلبا لرضوان الله وثوابه، بانيا دعوته على الفهم الدقيق، وعلى العلم قبل العمل، وتدبر معاني كتاب الله ﷻ وسنة نبيه محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، مع التمكن من العقيدة الصحيحة المدعّمة بالأدلة الشرعية، والإيمان العملي، والتعلق بالآخرة والتجافي عن دار الغرور، والتحلي بالحكمة

والحلم والصبر والتوكل على الله، وخوفه ورجائه ومحبته، والاستعانة به، والصدق معه في الأقوال والأفعال، والإخلاص له، وكل ما مدحه الشارع من الفضائل، والابتعاد عن كل ما ذَمَّهَ الشارع من القبائح.

يقول ابن قدامة المقدسي – رحمه الله:

قال بعض السلف: "لا يأمر بالمعروف إلا رفيق فيما يأمر به، رفيق فيما ينهى عنه، حليم فيما يأمر به، حليم فيما ينهى عنه، فقيه فيما يأمر به، فقيه فيما ينهى عنه"(١). وهذه صفات المسلم القدوة، والتي ينبغي أن يكون عليها كل من اعتنق هذا الدين، وليست خاصة برجل الدين المتخصص – كما في الديانات الأخرى.

فمصالح الدعوة وتحقيق أهدافها كان الشغل الشاغل لسلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين، يتقربون إلى بارئهم بالقيام بأعبائها والتحلي بأخلاق الدعاة إلى الله وصفاهم، كأي عبادة أخرى مثل الصلاة والصيام والزكاة والحج، لا يَرَى أحد منهم أن الدعوة من اختصاص أقوام بعينهم لا تتعداهم.

المبحث الثاني: صفات الداعية:

الأصل أن يكون لكل داعية حظ وافر من الفقه والعلم ليمارس عمله الدعوي، وكذلك أن يكون لكل فقيه ممارسة دعوية يؤدي بها زكاة علمه وفقهه، إلا أن حدوث الانشطار بين الفقه والدعوة في هذه الأزمان المتأخرة، بتحمل فئة شابة من الدعاة عبء الدعوة إلى الله على غير بصيرة، وانعزال فئة أخرى من أهل الفقه والعلم عن ممارسة العمل الدعوي كليا أو جزئيا، جعل لكل منهما صفات تميزه عن غيره، تحمل في طياها الإيجابيات والسلبيات الناجمة عن هذا الانشطار.

أما الفقيه الداعية – الذي لا يُعدم وجوده في الأمة – جمع الله له خير الفئتين وإيجابياتهما، فآتاه الله مع العلم شرف تحمل مسئولية نشره وبثه في الأمة بما يحقق

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص ١٢٩).

مرضاة الله تعالى، والعلم لا يكفي فيه محض الاكتساب، بل لابد من الالتزام بقيمه وأخلاقه التي يفرضها على أهله، والتي غالبا ما يحققها العالم بممارسة العمل الدعوي، فالصبر والحلم والحكمة والرحمة صفات لا يكتسبها العالم بقراءة الكتب والاطلاع على تعريفاتها لغة واصطلاحا فحسب، وإنما بمخالطة الناس، ودعوتهم، والصبر على أذاهم، وتدريب النفس على اكتسابها وفق الظروف والحوادث.

فالصفات التي ستتكلم عنها - إن شاء الله تعالى- نتاج تفاعل فقهي دعوي في نفس الفقيه الداعية، وصفات أهل العلم وأخلاقياتهم لا يستوعبها كل فقيه داعية بحيث لا تتخلف عنه أبدا، ولكنها تكون غالبَ أحواله، وسمةً عامةً يتسم بها؛ لأنه بشر يصيب ويخطئ، فعن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: **"كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون"**(1).

والفقيه الداعية قدوة حسنة لأمته بتحلّيه بالصفات الحميدة ومحاسن الأخلاق التي شرعها الله ﷻ في كتابه وسنة نبيه ﷺ، وبالابتعاد عن الصفات الذميمة المخالفة لمحاسن الأخلاق، كالحسد والحقد والضغينة والكذب والسب والشتم واللعن والغيبة والنميمة والظلم. قال تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم: ٤]، وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: **"إن من أحبكم إليّ، وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، وإن أبغضكم إليّ، وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون"**، قالوا: يا رسول الله! قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: **"المتكبرون"**(2).

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة: باب ما جاء في صفة أواني الحوض (٢٢٤/٤)(ح٢٥٠٧)، وابن ماجه في كتاب الزهد: باب ذكر التوبة (١٤٢٠/٢)(ح٤٢٥١)، والدارمي في كتاب الرقائق: باب في التوبة (٣٩٢/٢) (ح٢٧٢٧)، وأحمد (١٩٨/٣)، وهو حديث حسن، صحيح الجامع للألباني (١٧١/٤).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة: باب ما جاء في معالي الأخلاق (٤٠٩/٣)(ح٢٠٢٦)، وقال: هذا حديث حسن، وأحمد (٣٦٩/٢).

ويمكن أن نقسم الصفات التي للداعية أن يتحلى بها إلى ثلاثة أقسام:

١- الصفات النفسية.

٢- الصفات الاجتماعية

٣- الصفات العلمية والعملية.

وفيما يلي بيان لكل قسم على حدة:

أولا: الصفات النفسية:

أ- الإخلاص:

قال تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾[البينة: ٥]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**"[1]، فالفقيه الداعية حريص كل الحرص على نقاء سريرته، وصفاء عقيدته؛ ليقينه باطلاع الله على ما تخفي الصدور، وأنه لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصًا لوجهه الكريم، فعلى الداعية أن يحاسب نفسه لماذا يدعو؟، وأن يوطن نفسه على طلب الأجر من الله تعالى دون غيره، وأن يفرح بإصابة غيره من الدعاة، ويتمنى لو اهتدى الخلق ولو على يد غيره من الدعاة.

ب- الصدق:

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾[التوبة: ١١٩]، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا**﴾[الأحزاب: ٧٠-٧١]، وربط الله ﷻ بين الصدق والنبوة والدعوة في قولـــه تعالى:

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله (١٩٨٧/٤) (ح٣٤).

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾[مريم: ٥٤- ٥٥]، وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا"**(١).

فالداعية صادق مع نفسه أولا بالمثابرة والمحاولة، وصادق مع من يدعوهم بالحرص على نفعهم والنصح لهم، وصادق مع إخوانه الدعاة فيما يعاهدهم عليه ويعاقدهم من أعمال الخير.

ج- الحلم والعفو والصفح:

وهذه الصفات مَعْلَمٌ بارز من معالم الفقيه الداعية، وإلا لكان خُلُقه عقبة في طريق دعوته ورسالته. قال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[آل عمران: ١٣٤]، وأولى الناس بالحلم الفقيه الداعية؛ لما يلقى من أذى المدعوين -غالبا- مع حرصه على هدايتهم، قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف:٦٦-٦٨]، وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال نبي الله ﷺ للأشجِّ أشجِّ

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الأدب: باب قول الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (١٠/٦١٢)(ح٦٠٩٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة: باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله (٤/٢٠١٢) (ح١٠٣- ١٠٥).

عبد القيس: "**إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة**"[(١)]، وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**فما تعدون الصُّرَعَةَ فيكم؟**" قال: قلنا: الذي لا يصرعه الرجال. قال: "**ليس بذلك، ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب**"[(٢)]، وعن معاذ بن أنس الجهني ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**من كظم غيظا وهو قادر أن ينفذه، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء**"[(٣)]، وعن ابن عباس ﷺ قال: قدم عيينة بن حصن بن الفزاري فنـــزل على ابن أخيه الحر بن قيس – وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته، كهولا كانوا أو شبانا- فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي! لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه، قال: هِيْ[(٤)] يا ابن الخطاب! فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر حتى همَّ به. فقال الحر: يا أمير المؤمنين! إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾[الأعراف: ١٩٩]، وإن هذا من الجاهلين. فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقّافا عند كتاب الله[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان: باب الأمر بالإيمان بالله تعالى (٤٨/١) (ح٢٦).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب: باب قبح الكذب وحُسْن الصدق وفضله (٢٠١٤/٤)(ح١٠٦).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب: باب من كظم غيظا (٢٤٨/٤) (ح٤٧٧٧)، والترمذي في كتاب البر والصلة: باب ما جاء في كظم الغيظ (٤١١/٣)(ح٢٠٢٨)، وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه في كتاب الزهد: باب الحلم (١٤٠٠/٢) (ح٤١٨٦)، وأحمد (٤٣٨/٣).

(٤) اسم فعل أمر، إذا طلب الاستزادة من الحديث. انظر: النهاية في غريب الحديث (٢٩٠/٥).

(٥) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب التفسير: باب " **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** " (٣٧٨/٨) (ح٤٦٤٢).

د- الصبر:

وهو الذي يمكن الداعية من الاستمرارية والثبات على الحق الذي يدعو إليه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[آل عمران: ١٨٦]، كما أمر الله ﷻ بالصبر، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[آل عمران:٢٠٠]، وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر"(١)، والصبر على ثلاثة أضرب:

١- صبر على الطاعة: قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، وقال سبحانه: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[الكهف: ٢٨].

٢- صبر عن المعصية: قال تعالى: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦]، وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "حجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره"(٢).

٣- صبر على النوازل: قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[البقرة:١٥٥-١٧٥].

والداعية محتاج إلى الصبر بأنواعه، حتى تتأتى له معية الله تعالى، التي تهوّن عليه ما يَلقى من شدائد في طريق دعوته والاستقامة على دينه، فقد قال الله

---

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الزكاة: باب الاستعفاف عن المسألة (٤٠٨/٣)(ح ١٤٦٩)، ومسلم في كتاب الزكاة: باب فضل التعفف والصبر (٧٢٩/٢)(ح١٢٤).

(٢) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الرقاق: باب حجبت النار بالشهوات (٣٧٥/١١) (ح٦٤٨٧).

تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

هـ- الخشية وتقوى الله:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[فاطر: ٢٨]، وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: "كفى بخشية الله علما، وكفى بالاغترار بالله جهلا"(١)، وقال سفيان الثوري - رحمه الله: "إنما فضل العلم لأنه يتقى به الله". والداعية في حاجة ماسة إلى الخشية وتقوى الله؛ لأنه بخشيته وتقواه يكون دائماً مستعداً لبذل كل ما يملك من طاقة لنيل رضا الله - سبحانه وتعالى- سواء أكان ذلك في الدعوة أم في غيرها.

و- الزهد والورع:

الزهد والورع هما البعد عن الشبهات وكل ريبة ومظنة سوء، مع ملازمة شرع الله ومراقبته في السر والعلن، والزاهد الورع حاله يصفه عبد الله بن مسعود ﷺ فيقول: "ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذ الناس نائمون، وبنهاره إذ الناس مفطرون، وبورعه إذا الناس يخلطون، وبتواضعه إذ الناس يختالون، وبحزنه إذ الناس يفرحون، وببكائه إذ الناس يضحكون، وبصمته إذ الناس يخوضون"(٢)، يعني إن كان الناس يفرحون ويضحكون ويخوضون في معصية الله فإن حامل القرآن الداعي إليه على الضد من ذلك؛ لأن ذلك يجعله دائماً متصلاً بالله - سبحانه وتعالى- فلا يفعل إلا ما يرضاه، ولا يستخدم من الوسائل والأساليب إلا المشروع المباح ورعاً وزهداً.

ز- الحياء:

المانع لصاحبه من انتهاك حرمات الله، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما-

---

(١) أورده ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: (٨١٢/٢)(ح١٥١٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب الزهد: باب ما قالوا في البكاء من خشية الله (٢٤/١٤)(ح١٧٤٣٣)، وأبو نعيم في الحلية (١٢٩/١)، وأحمد في الزهد: (ص١٦٢)، وهو أثر صحيح.

قال: قال رسول الله ﷺ: "**إن لكل دين خلقا، وإن خلق الإسلام الحياء**"[1]، وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: "كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه في وجهه"[2].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**"[3].

والحياء صفة ضرورية للداعية تجعله وقّافاً عند مراد الله من دعوته.

ثانيا: الصفات الاجتماعية:

أ- الرفق و اللين:

الداعية يجب أن يتصف بالرفق واللين بحيث يتمكن من جذب قلوب العباد؛ عن عائشة - رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال: "**يا عائشة! إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، ومالا يعطي على ما سواه**"[4]، وعنها - رضي الله عنها- عن النبي ﷺ قال: "**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنـــزع من شيء إلا شانه**"[5].

ويوضح شيخ الإسلام ابن تيمية موطن احتياج الداعية الآمر بالمعروف

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد: باب الحياء (١٣٩٩/٢)(ح٤١٨٢)، وهو حديث حسن، صحيح الجامع: (ح٢١٤٩)

(٢) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الأدب: باب من لم يواجه الناس بالعتاب (٦١٩/١٠) (ح٦١٠٢)، ومسلم في كتاب الفضائل: باب كثرة حيائه ﷺ (١٨٠٩/٤)(ح٦٧).

(٣) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الإيمان: باب أمور الإيمان (٦٦/١) (ح٩)، ومسلم في كتاب الإيمان: باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها (٦٣/١) (ح٥٨)، واللفظ له.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة: باب فضل الرفق (٢٠٠٣/٤) (ح٧٧).

(٥) أخرجه مسلم في الموضع السابق: (ح٧٨).

والناهي عن المنكر للرفق واللين فيقول "فلابد من هذه الثلاثة: العلم والرفق والصبر، العلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه، والصبر بعده، وإن كان كل من الثلاثة لابد أن يكون مستصحبا في هذه الأحوال الثلاثة"(١).

فالرفق واللين يجعلان المدعو مطمئناً للداعية، وكأن الداعية بنى بينه وبين المدعو أعظم الجسور التي يعبر بها إلى قلب المدعو.

ب- الرحمة والتراحم:

قال جل ثناؤه: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾[آل عمران: ١٥٩].

وعن جرير بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لا يرحم الله من لا يرحم الناس"**(٢)، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لا تنـــزع الرحمة إلا من شقي"**(٣)، وعن ابن عمر – رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: **"إن أبعد الناس من الله القلب القاسي"**(٤)، وعنه – أيضًا- قال: قال رسول الله ﷺ: **"الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، الرحم شُجْنة(٥) من الرحمن، فمن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله"**(٦).

---

(١) الحسبة في الإسلام (ص٨٤).

(٢) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: "قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى" (٤٣٤/١٣) (ح٧٣٧٦)، ومسلم في كتاب الفضائل: باب رحمته ﷺ بالصبيان والعيال (١٨٠٩/٤) (ح٦٦).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب: باب في الرحمة (٢٨٧/٤)(ح٤٩٤٢)، والترمذي في كتاب البر والصلة: باب ما جاء في رحمة المسلمين (٣٧١/٣)(ح١٩٣٠)، وقال: هذا حديث حسن.

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن: باب ما جاء في حفظ اللسان (١٨٤/٤)(ح٢٤١٩)، وقال: هذا حديث حسن.

(٥) الشجْنة الشجر الملتف. المصباح المنير (٣٠٦/٢). أي قرابة مشتبكة. النهاية (٤٤٧/٢).

(٦) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب: باب في الرحمة (٢٨٧/٤) (ح٤٩٤١)، والترمذي في كتاب البر والصلة باب ما جاء في رحمة المسلمين (٣٧١/٣)(ح١٩٣١)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

فالرحمة والتراحم للداعية منارتان ترشدانه إلى الطريق القويم الذي فيه النجاة له وللمدعو، وإنما كانت رحمة الله للراحمين؛ لأنهم أرشدوا العباد إليه سبحانه برحمتهم لهم.

ج- التزام أدب الحديث والكلام:

أمة الإسلام أمة متدينة تمتاز بأخلاقها الحميدة، ومن هذه الأخلاق الالتزام بأدب الحديث والكلام.

قال تعالى: ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً**﴾[البقرة: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿**وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[الإسراء: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿**قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ**﴾[البقرة: ٢٦٣]، وقال جل ذكره: ﴿**وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُم**﴾ [العنكبوت: ٤٦].

والالتزام بأدب الحوار والكلام يجعل المستمع للداعية والمتحدث معه في استفادة تامة مما يقول، ويجعلهما أيضا في سعادة غامرة لشعورهما باحترام الداعية لهما، وبذلك يكون الداعية قد قطع شوطاً طويلاً في دعوتهما.

د- سلامة الصدر:

ومن الأخلاق التي حرص الإسلام على إرسائها في نفوس أتباعه سلامة الصدر والسريرة، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: كنا جلوسا مع رسول الله ﷺ، فقال: "**يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة**"، فطلع رجل من الأنصار، تنطف لحيته من وضوئه، قد تعلق نعليه في يده الشمال. فلما كان الغد، قال النبي ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث، قال النبي ﷺ مثل مقالته، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام النبي ﷺ، تبعه عبد الله بن

عمرو - رضي الله عنهما- فقال: إني لاحيت[1] أبي، فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثًا، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت! قال: نعم. قال أنس ﷺ: وكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث، فلم يره يقوم من الليل شيئًا، غير أنه إذا تعار[2] وتقلب في فراشه، ذكر الله ﷻ وكبَّر، حتى يقوم لصلاة الفجر، قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرًا. فلما مضت الثلاث ليالي وكدت أحتقر عمله، قلت: يا عبد الله، إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات: **"يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة"**، فطلعت أنت الثلاث مرات، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدي به، فلم أرك عملت كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ فقال: ما هو إلا ما رأيت. قال: فلما وليت دعاني، فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشًا، ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه، فقال عبد الله: هذه التي بَلَغَتْ بك، وهي التي لا نطيق.

وفي رواية البزار: قال: "فطلع سعد"- يعني سعد بن معاذ - بدل" فطلع رجل، وفي آخره: "فقال سعد: ما هو إلا ما رأيت يا ابن أخي، إلا أني لم أبت ضاغنا على مسلم"[3].

وسلامة الصدر مهمتها للداعية أن تجعله دائماً مستعداً للدعوة وللتعاون مع إخوانه من الدعاة؛ لأنه لا يحمل في صدره ما يمنعه منهما.

هـ- التمتع بروح الإخاء والتعاون والتكافل الاجتماعي:

لقد منَّ الله سبحانه على هذه الأمة بمنة عظيمة ألا وهي التأليف بين قلوب أفرادها.

---

(١) لاحاه: نازعه، وتلاحوا تنازعوا. مختار الصحاح ص٥٩٥.

(٢) تعارّ: هب من نومه واستيقظ. النهاية في غريب الحديث (١/١٩٠).

(٣) أخرجه أحمد (٣/١٦٦)، وأورده الهيثمي في المجمع: (٨/٧٩)، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[آل عمران: ١٠٣]، وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: "**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسْلِمُه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة**"[١]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى هاهنا**" - ويشير إلى صدره ثلاث مرات- "**بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، ماله ودمه وعرضه**"[٢].

وتمتع الداعية بروح الإخاء والتعاون والتكافل الاجتماعي يجعل الداعية موجوداً عندما يحتاجه الناس، وبذلك يشعرون بأنه صار جزءاً منهم، ومن ثم يسهل عليه أمْر دعوتهم إلى الله.

و- العدل والإنصاف:

العدل والإنصاف ولو من نفسه أو أهله أو الوالدين شعار هذه الأمة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل:٩٠]، وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: "**إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ﷻ، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم**

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب المظالم: باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسمه(١١٩/٥) (ح٢٤٤٢)، ومسلم في كتاب البر والصلة: باب تحريم الظلم (١٩٩٦/٤)(ح٥٨).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة: باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره (١٩٨٦/٤)(ح٣٢).

وأهليهم وما ولوا"[1].

والداعية يعدل مع موافقه ومخالفه على حد سواء، وينصف من نفسه؛ فيعدل في حكمه على الكتب والأفكار والرجال والطوائف، بل وفي تعامله مع النصوص الشرعية، ونظرته إلى الإسلام والواقع.

ز- الاتحاد والعمل على وحدة الصف ولـــمّ شمل المسلمين:

قال تعالى: **﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**[آل عمران:١٠٥]، وقال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾**[الأنعام: ١٥٩]، وعن عَرْفَجة بن شريح الأشجعي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"إنه ستكون هنات وهنات**[2]**، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائنًا من كان"**[3].

فالداعية إذا عمل على الاتحاد ولم شمل المسلمين ازداد قوة إلى قوته، وشعر المدعوون بإخلاصه؛ وذلك لعمله للمصحة العامة.

ح- التواضع لله ﷻ:

لقد أعلى الشرع الشريف خُلُق التواضع لله، وأمر كل إنسان به، مهما بلغ علمه وكثر عمله، لقد فهم هذا السلف الصالح، وكان كلامهم لا يخلو من نصيحة بالتواضع، ومن هذا قول عمر بن الخطاب ﷺ: "تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة، وتواضعوا لمن تَعَلَّمون، وليتواضع لكم من تُعَلِّمون، ولا تكونوا

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة: باب فضيلة الإمام العادل (١٤٥٨/٣)(ح١٨).

(٢) الهنات جمع هنة، وهي كناية عن كل اسم جنس، والمراد هنا الفتن والأمور الحادثة. انظر: المصباح المنير (٦٤١/٢)، وتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي لصحيح مسلم (١٤٧٩/٣).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة: باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع (١٤٧٩/٣)(ح٥٩).

جبابرة العلماء، فلا يقوم علمكم بجهلكم"[1] -أي فلا تقوم قائمة لعلمكم في الأمة بسبب جهلكم لحق العلم وآدابه.

ويقول أيوب السختياني -رحمه الله-: "ينبغي للعالم أن يضع الرماد على رأسه تواضعا لله ﷻ"[2]، وهذا كناية عن منتهى التواضع لله مع كثرة العلم؛ لأن العالم يدرك بعلمه عظيم فضل الله عليه، ومدى تقصيره في حق ربه، والعالم الحق لا يركبه الغرور، ولا يستبدّ به العُجب؛ لأنه يدرك بيقين أن العلم بحر لا شطآن له، ولا يصل إلى قراره أحد، قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥]، وأكثر الناس ادعاء للعلم أنصاف المتعلمين، الذين لا يعرفون من العلم إلا القشور. فالعالم إذا رُزق التواضع، وقف عند حده، وأنصف غيره، وعرف له حقه، ولم يتطاول على الناس بالادعاء الباطل[3].

والداعية إذا تواضع لله شعر المدعوون بأنه إنما يدعوهم ابتغاء ثواب الله، لا ابتغاء سمعة ودنيا، وهنا يستجيبون له.

ط- الإيثار:

لقد جاء الشرع الشريف بمكارم الأخلاق، ومن هذه المكارم الإيثار.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[الحشر: ٩]، وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: "بايعنا

(١) رواه ابن أبي عاصم في "الزهد" ص ١٢٠ موقوفا على عمر طبعة دار الريان التراث – تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد وابن عدي في الكامل (٣٣٦/٤)، عن أبي هريرة، مرفوعًا.

(٢) أخرجه الآجرّي في إطلاق العلماء (ص٨٩- ٩٠)، وكذا في إطلاق حملة القرآن له (ص٦١)، والبيهقي في شعب الإيمان: (ح١٧١٦)، وأورده ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٥٦٦/١)(ح ٩٥٢)، وهو أثر صحيح.

(٣) انظر: الرسول والعلم (ص٦٥ – ٦٩).

رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا، ولا نخاف في الله لومة لائم"[1].

والإيثار يجعل المدعو يثق في الداعية ثقة لا حدود لها؛ وذلك لأنه يجده عاملاً على الخير دائماً للمدعوين ولو على مصلحته.

ي- الجود والكرم:

ومن الصفات المهمة للداعية الجود والكرم، وبذل المعروف للآخرين، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[البقرة: ٢٧٤]، وعن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها- قالت: قلت: يا رسول الله! إنه ليس لي من بيتي إلا ما أدخل علي الزبير، أفأعطي؟ قال: "**نعم، ولا توكي فيوكى عليك**"، يقول: "**لا تحصي فيُحصى عليك**"[2]؛ جاء رجل إلى النبي ﷺ فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى قومه فقال: يا قومي أسلموا فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة[3] وقد كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم ليثبّت الإسلام في نفوسهم، فهكذا كان حال الداعية الأول ﷺ؛ لأن الجود والكرم لهما في نفس المدعو آثار عظيمة تيسر على الداعي كثيرا من أمر دعوته.

ك- النظافة والتجمل:

إن دين الإسلام أتى بأعظم دعوة للنظافة والتجمل من أمر بالطهارة

---

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الأحكام: باب كيف يبايع الإمام الناس (١٣/٢٣٣) (ح٧١٩٩)، ومسلم في كتاب الإمارة: باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية (٣/١٤٧٠)(ح٤١).

(٢) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الزكاة: باب التحريض على الصدقة (٣/٣٦٦)(ح١٤٣٣).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل: باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال: لا. وكثرة عطائه (٤/ ١٨٠٦) (ح٥٧)، عن أنس.

والسواك... وغير ذلك من ألوان التنظف والتجمل.

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾[المائدة:٦]. فأمر الله المؤمنين بالوضوء للصلوات كي لا يبقى من درنهم شيء.

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "**لولا أن أشق على أمتي** - أو على الناس- **لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة**"[(١)].

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما- قال: أتانا رسول الله ﷺ فرأى رجلا شعثا قد تفرق شعره، فقال: "**أما كان يجد هذا ما يسكن به شعره؟**"، ورأى رجلا آخر وعليه ثياب وسخة، فقال: "**أما كان هذا يجد ماء يغسل به ثوبه؟**"[(٢)].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: "**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**"، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة. قال: "**إن الله جميل يحب الجمال، الكِبْرُ بَطَرُ**[(٣)] **الحق وغَمْطُ**[(٤)] **الناس**"[(٥)]، فجعل الشارع التنظف والتطيب دينا يتقرب به المؤمن إلى ربه، فإنه محبب إلى نفس البشر، ومن العناصر التي تجذب المدعوين إلى استماع كلمة الحق.

ل- الأمانة:

ومن الصفات التي يجب على الداعية التحلي بها الأمانة امتثالاً لأمره -

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الجمعة: باب السواك يوم الجمعة (٢/٤٥٦)(ح٨٨٧)، ومسلم في كتاب الطهارة: باب السواك (١/٢٢٠)(ح٤٢).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب اللباس: باب في غسل الثوب وفي الخلقان (٤/٥٠) (ح٤٠٦٢)، والنسائي في كتاب الزينة: باب تسكين الشعر (٧/١٨٣)، وأحمد (٣/٣٥٧)، وهو حديث صحيح.

(٣) البطر: الطغيان عند تناول النعمة وطول الغنى. النهاية في غريب الحديث (١/١٣٥).

(٤) الغمط: الاستهانة والاستحقار. المصدر السابق (٣/٣٨٧).

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان: باب تحريم الكبر وبيانه (١/٩٣)(ح١٤٧).

سبحانه- فقد قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾[الأنفال: ٢٧- ٢٨]، وعن أنس ﷺ قال: ما خطبنا رسول الله ﷺ إلا قال: "**لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له**"(١). كما نهى النبي ﷺ عن خيانة من يخون، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك**"(٢).

كما أن الأمانة العلمية مما يلزم الداعية، فلا إيمان لمن لا يُؤْمَنُ على دين الله، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ**﴾[المؤمنون: ٨]، والخيانة من لوازم النفاق وعلاماته، فعن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما– أن النبي ﷺ قال: "**أربعٌ من كنَّ فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**"(٣).

فالداعية أمين على العلم والفقه فلا ينسب القول إلا لقائله، ولا يستفيد من الغير ثم ينسب الفضل لنفسه، فإن هذا ضرب من الغش والتزوير؛ لهذا نجد كتب السلف المتقدمين موثقة بالأسانيد التي عن طريقها وصلت إلينا آراؤهم وأقوالهم، والإسناد لم يكن في الحديث وعلوم الدين وحدها، بل شمل العلوم الأخرى

---

(١) أخرجه أحمد (١٣٥/٣)، وهو حديث صحيح، الجامع الصغير (ص٣٣٤).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب البيوع: باب في الرجل يأخذ حقه من تحت يده (٢٨٨/٣)(ح٣٥٣٥)، والترمذي في كتاب البيوع: باب ما جاء في النهي للمسلم أن يدفع إلى الذمي الخمر يبيعها له (٣٣/٣) (ح١٢٦٨)، وقال: هذا حديث حسن غريب، والدارمي في كتاب البيوع: باب في أداء الأمانة واجتناب الخيانة (٣٤٣/٢)(ح٢٥٩٧)، وأحمد (٤١٤/٣).

(٣) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الإيمان: باب علامة المنافق (١١٣/١)(ح٣٤)، ومسلم في كتاب الإيمان: باب بيان خصال المنافق (٧٨/١)(ح١٠٦).

كالتاريخ واللغة والأدب وغيرها.

والعالم الأمين على علمه يقف حيثما لا يعلم، ويقول لا أعلم، ولا يخجل من ذلك أمام الناس، كما يتقبل كل حقيقة أو فائدة علمية صائبة تأتيه من الغير، ولو على يد من هو دونه علما أو سنا أو منـــزلة. سأل رجل عليا ﷺ، فقال الرجل: ليس هكذا يا أمير المؤمنين، ولكن كذا وكذا، فقال علي: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[يوسف: ٧٦][1].

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: "أيها الناس من علم منكم شيئا فليقل لما لا يعلم: الله أعلم، فإن من علم المرء أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم".

قال عبد الرحمن بن مهدي: "كنا عند مالك بن أنس، فجاءه رجل، فقال له: يا أبا عبد الله! جئتك من مسيرة ستة أشهر، حـــمّلني أهل بلدي مسألة أسألك عنها. قال: فسل! فسأل الرجل عن المسألة. فقال: لا أحسنها. قال: فبهت الرجل، كأنه جاء إلى من يعلم كل شيء. فقال: أي شيء أقول لأهل بلدي إذا رجعت إليهم. قال: تقول لهم: قال مالك: لا أحسن"[2].

فأصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم بإحسان من علماء الأمة، لم يهابوا أن يقولوا: لا ندري فيما لا يدرون، وأن يردهم من دونهم إلى الصواب، فيرجعوا جهرة غير متأففين ولا مستكبرين، وأن يغيروا فتواهم إذا تغير اجتهادهم، غير خزايا ولا متحرجين[3].

ثالثا: الصفات العلمية والعملية:

أ- العلم والفهم:

والداعية الأمين تزداد ثقة المدعوين به لأمانته.

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٥٣١/١)(ح٨٦٥)، والطبري في التفسير (١٩/١٢)، وهو أثر ضعيف.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٨٣٨/٢)(ح١٥٧٣)، وهو أثر صحيح.

(٣) الرسول والعلم ص (٦٣).

فالداعية يتصف بعلم وفهم لكتاب الله تعالى وسنة النبي ﷺ، فيحسن استقبال نصوصها بالتعظيم والتوقير، ويحذر أن يتقدم بين يدي الله ورسوله برأي أو هوىً، ويجتنب إخضاع النصوص لواقع زمنيٍّ معين، ويتحاشى النظرة الجزئية لبعض النصوص دون بعض، ويعمل على جمع أطراف الأدلة في المسألة الواحدة، ويعمل جميع الأدلة والنصوص ما أمكن ذلك، ولا يقطع النص عن سياقه أو سباقه، ويُعنى بأسباب النـــزول، ويتقي أصل الضلال من اتباع المتشابه وترك المحكم، وينتبه لصحيح الحديث وضعيفه، ويطرح الموضوع والواهي من منهج استدلاله، ويعنى بأصول الأحكام وقواعد التشريع، ويحسن التنول للنوازل المعاصرة، مع ضبط لسانه وبيانه باللغة العربية الصحيحة، ونحو ذلك من العلوم والفنون التي تصبغ شخصية الداعية بالعلمية والمنهجية.

وإنما وجب على الداعية ذلك ليكون من الداعين إلى الله على بصيرة.

ب – قوة العزيمة وعلو الهمة:

وينبغي أيضاً للداعية أن يتصف بقوة العزيمة وعلوّ الهمة بما يمكّنه من الثبات والصمود أمام المحن، قال تعالى: **﴿وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾**[إبراهيم: ١٢]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قَدَرُ الله، وما شاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان**"[1]، وبوب الإمام النووي – رحمه الله– لهذا الحديث في كتاب القدر من صحيح مسلم: باب في الأمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله، وتفويض المقادير لله.

(١) أخرجه مسلم في كتاب القدر: باب في الأمر بالقوة وترك العجز (٢٠٥٢/٤)(ح٣٤).

وقوة العزيمة وعلو الهمة هما اللذان يضمنان للداعية الاستمرارية في دعوته - بإذن الله.

ج- العمل بمقتضى علمه وما يدعو إليه:

ليكون القدوة الحسنة لأمته بمقتضى حاله ومقاله، ولابد أن يعمل بمقتضى علمه وما يدعو له، قال تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**﴾[البقرة: ٤٤]، وعن أبي كبشة الأنماري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**إنما الدنيا لأربعة نفر، عبد رزقه الله مالا وعلما، فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويَعلم لله فيه حقا، فهذا أفضل المنازل، وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا، فهو صادق النية، يقول: لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان، فهو بنيته، فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما، يخبط في ماله بغير علم، ولا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقا، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما، فهو يقول: لو أن لي مالا، لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته، فوزرهما سواء**"[(١)].

د - الشعور بالمسئولية:

ولابد للداعية أن يشعر بالمسئولية في تبليغ العلم والدعوة إلى الله على بصيرة، وشدة الحرص على الأمة من أن تزل في دينها وعقيدتها، فالعلماء ورثة الأنبياء في تبليغ الرسالة وأداء الأمانة، ولا رتبة أعلى من النبوة، ولا درجة بعدها أعلى من الوارثين لهم، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ**﴾[آل عمران: ١٨٧]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: "إن الناس يقولون: أكثر أبو هريرة، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثا، ثم

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد: باب ما جاء: مثل الدنيا مثل أربعة نفر (١٤٥/٤)(ح٢٣٣٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في كتاب الزهد: باب النية (١٤١٣/٢)(ح٤٢٢٨)، وأحمد (٢٣٠/٤).

يتلو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنـزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[البقرة:١٥٩-١٦٠].

إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق[١] بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه، ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون"[٢]، وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **"من سئل عن علم فكتمه، ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة"**[٣]، وعن أبي برزة الأسلمي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيمَ أفناه؟ وعن علمه فيم فعل فيه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيم أبلاه؟"**[٤]، وكلما اتسعت دائرة علم الداعية عظمت مسئولياته، وازدادت تبعاته.

فالفقيه الداعية يصون العلم ويحفظه ويحققه ويضبطه بالضوابط الشرعية، ويعمل بمقتضاه حتى يثمر، ويقوم بتعليمه لطلابه، وبثه ونشره في لأمة حتى يعم نفعه وخيره، ويُعد من يرث علمه من بعده، حتى يدوم اتصال حلقاته.

هـ - التدرج في تحقيق كل المقصود بالبدء بالأهم فالمهم:

ويجب على الداعية أن يتدرج في تحقيق المقصود فيبدأ بالأهم فالمهم، كما

---

(١) الصفق: التبايع. النهاية في غريب الحديث (٣/٣٨).

(٢) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب العلم: باب حفظ العلم (١/٢٧٠)(ح١١٨).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب العلم: باب كراهية منع العلم (٤/٣٢٠)(ح٣٦٥٨)، والترمذي في كتاب العلم: باب ما جاء في كتمان العلم (٤/٢٩٥) (ح٢٦٥٨)، وقال: حديث حسن، وابن ماجه في المقدمة: باب من سئل عن علم فكتمه (١/٩٦) (ح٢٦١)، وأحمد (٢/٢٦٢).

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة: باب في القيامة (٤/١٨٨)(ح٢٤٣٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

فعل النبي ﷺ وأمر بذلك معاذ بن جبل لما أرسله إلى اليمن، قال ﷺ: **"إنك ستأتي قوما من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب"**[(1)].

والداعية يفعل ذلك امتثالاً لإرشاد النبي ﷺ؛ ولأنه فيه ما يجعل دعوة الداعية أكثر ثباتاً في نفوس المدعوين.

و- الثقة بالله والتوكل عليه:

قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا** ﴾[الطلاق:٣].

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله، لرزقتم كما يرزق الطير، تغدو خِماصًا[(2)] وتروح بطانًا[(3)]"[(4)].

وأهمية الثقة بالله والتوكل عليه للداعية أنه بهاتين الصفتين يركن إلى القوي المتين الحفيظ، فيتقوّى بثقته بالله، ويحفظ بتوكله عليه.

---

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الزكاة: باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا (٣/٤٣٦) (ح١٤٩٦)، ومسلم في كتاب الإيمان: باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (١/٥٠) (ح٢٩).

(٢) خَمُصَ الرجل خـمْصا، إذا جاع. "المصباح المنير" (١/١٨٢).

(٣) بطانًا أي ممتلئة البطون. النهاية في غريب الحديث (١/١٣٦).

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد: باب في التوكل على الله (٤/١٥٤)(ح٢٣٥١)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في كتاب الزهد: باب التوكل واليقين (٢/١٣٩٤)(ح٤١٦٤)، أحمد (١/٣٠)(ح٥٢).

ز- الوفاء بالعهود والمواثيق:

لقد أمر الله سبحانه بالوفاء بالعهود والمواثيق، قال سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[المائدة: ١]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلاَ تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[النحل: ٩١]، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: "لا تمار أخاك، ولا تمازحه، ولا تعده موعدة فتخلفه"(١).

والثقة بالداعية من جانب المدعو إنما تتولد أول ما تتولد من وفاء الداعية بعهوده ومواثيقه.

ح- الاعتزاز بالإسلام لا بالجاه والسلطان:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[المنافقون: ٨]، وهي عزة بالعلم والإيمان تُلتمس من الله في مواجهة الكفر والباطل، وليست عزة بالإثم والعدوان، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[فاطر:١٠]، وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: "ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس"(٢).

وعن ابن مسعود ﷺ قال: "لو أن أهل العلم صانوا العلم، ووضعوه عند أهله، سادوا به أهل زمانهم، ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا لينالوا من دنياهم، فهانوا على أهلها، سمعت نبيكم ﷺ يقول: "من جعل الهمَّ همًّا واحدا، همَّ آخرته كفاه الله همَّ دنياه، ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا، لم يبال الله في أي أوديتها هلك"(٣).

وقال الفضيل بن عياض: "ينبغي لحامل القرآن ألا يكون له حاجة إلى أحد

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة: باب ما جاء في المراء (٣/٤٠٠)(ح٢٠٠٢)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٢) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الرقاق: باب الغنى غنى النفس (١١/٣١٧)(ح٦٤٤٦)، ومسلم في كتاب الزكاة: باب ليس الغنى عن كثرة العرض (٢/٧٢٦) (ح١٢٠).

(٣) أخرجه ابن ماجه في المقدمة: باب الانتفاع بالعلم والعمل به (١/٩٥)(ح٢٥٧)، وهو حديث ضعيف.

من الخلق، إلى الخليفة فمن دونه، وينبغي أن تكون حوائج الخلق إليه"، ويقول: "حامل القرآن حامل راية الإسلام، لا ينبغي أن يلغو مع من يلغو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلهو مع من يلهو"، ويقول: "إنما أنـــزل القرآن ليعمل به، أي ليحلوا حلاله ويحرموا حرامه، ويقفوا عند متشابهه، فاتخذ الناس قراءته عملاً"[(1)].

فالاعتزاز بالإسلام وحده يجعل الداعية أكثر ثباتاً في مواجهة المغريات والفتن.

ط- القصد والاعتدال والوسطية في المنهج:

قال تعالى: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾[القصص: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾[الأعراف: ٣١]، وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ ضافه ضيف وهو كافر، فأمر له رسول الله ﷺ بشاة فحلبت، فشرب حلابها[(2)]، ثم أخرى فشربه، ثم أخرى فشربه، حتى شرب حلاب سبع شياه. ثم إنه أصبح فأسلم، فأمر له رسول الله ﷺ بشاة فشرب حلابها، ثم أمر بأخرى، فلم يستتمها، فقال رسول الله ﷺ: "**إن المؤمن يشرب في معى واحد، والكافر يشرب من سبعة أمعاء**"[(3)]، وعن عبد الله بن سرجس المزني ﷺ أن النبي ﷺ قال: "**السَّمْتُ الحسن والتُّؤدَة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءًا النبوة**"[(4)].

والقصد والاعتدال والوسطية في المنهج تضمن للداعية الاستمرارية في دعوته، والاستجابة السريعة من المدعوين؛ لأن الفطرة السليمة تميل دائماً إلى القصد والاعتدال والوسطية.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٩٢/٨)، والآجُرّي في إطلاق حملة القرآن (ص١١٢- ١١٣)(ح٣٧).

(٢) الحلاب الوعاء الذي يحلب فيه. انظر: المصباح المنير (١٤٦/١).

(٣) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الأطعمة: باب المؤمن يأكل في معًى واحد (٦٤٧/٩) (ح٥٣٩٦)، ومسلم في كتاب الأشربة: باب المؤمن يأكل في معًى واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء (١٦٣٢/٣)(ح١٨٦).

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة: باب ما جاء في التأني والعجلة (٤٠٦/٣) (ح٢٠١٧)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

خلاصة الفصل الأول

- الداعيــــة: هو المبلّغ للإسلام والمعلم له والساعي إلى تطبيقه. ويشمل مصطلح الداعي من قام بأعمال الدعوة كلها، أو بعمل من أعمالها، إلا أن الذي يقوم بهذه الأعمال جميعها هو الداعية الكامل.

- **أنواع الصفات التي ينبغي للداعية التحلي بها:**

أولا: الصفات النفسية:

أ- الإخلاص. ب- الصدق. ج- الحلم والعفو والصفح.

د- الصبر. هـ- الخشية وتقوى الله. و- الزهد والورع. ز- الحياء.

ثانياً: الصفات الاجتماعية:

أ- الرفق واللين. ب- الرحمة والتراحم.

ج- التزام آداب الحديث والكلام. د- سلامة الصدر.

هـ- التمتع بروح الإخاء والتعاون والتكافل الاجتماعي.

و- العدل والإنصاف.

ز- التآلف والاتحاد والعمل على وحدة الصف ولمّ شمل المسلمين.

ح- التواضع لله ﷻ. ط- الإيثار.

ي- الجود والكرم. ك- النظافة والتجمل. ل- الأمانة.

ثالثا: الصفات العلمية والعملية:

أ- العلم والفهم. ب- قوة العزيمة وعلو الهمة.

ج- العمل بمقتضى علمه وما يدعو إليه. د- الشعور بالمسئولية.

هـ- التدرج في تحقيق كل المقصود بالبدء بالأهم فالمهم.

و- الثقة بالله والتوكل عليه. ز- الوفاء بالوعود والمواثيق

ح- الاعتزاز بالإسلام لا بالجاه والسلطان وبمتاع الدنيا الفاني.

ط- القصد والاعتدال والوسطية في المنهج.

اختبار الفصل الأول

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة(✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١- الداعية هو المبلغ للإسلام والمعلم له بالقول دون أن يسعى إلى تطبيقه عمليًا.

٢- الدعاة إلى الله ثلاثة مراتب داعية منشغل بالدعوة، وملتزم بالدعوة، وغير ملتزم بالدعوة.

٣- التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل من أهم واجبات الداعية.

٤- العدل والإنصاف من الصفات النفسية للداعية.

٥- الداعية ينبغي أن يحرص على نقاء سريرته وصفاء عقيدته.

٦- القرآن الكريم لم يربط بين الصدق والنبوة في أيٍّ من آياته.

٧- هناك صبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، وصبر على النوازل.

٨- صفات الرفق واللين، والرحمة والتراحم، وسلامة الصدر من الصفات النفسية للداعية.

٩- العلم والفهم وقوة العزيمة وعلو الهمة من الصفات العلمية والعملية للداعية.

١٠- الشعور بالمسئولية صفة اجتماعية مهمة.

ثانياً: **أسئلة الاختيار من متعدد:**

١- تعد المراتب الأساسية التي ينقسم الدعاة إليها هي داعية:

أ- منشغل للدعوة. ب- ملتزم بالدعوة.

ج- غير ملتزم بالدعوة. د- متصف بالدعوة.

هـ - ما ورد في أ، ب، ج معاً.

٢- تعد صفات الإخلاص والصدق والحلم والعفو والصفح بالنسبة للداعية من صفاته:

أ- الاجتماعية. ب- النفسية. ج- الخلقية. د- العلمية.

٣- جميع الصفات التالية من الصفات الاجتماعية للداعية ما عدا:

أ- الرفق واللين. ب- الرحمة والتراحم.

ج- الصبر. د- التزام أدب الحديث والكلام.

٤- يعتبر العلم والفهم من الصفات العملية والعلمية للدعاة ويشاركه في ذلك فقط صفات:

أ- قوة العزيمة وعلو الهمة. ب- الشعور بالمسئولية.

ج- التواضع والزهد. د- الوفاء بالعهود والمواثيق.

هـ - ما ورد في أ،ب،د فقط.

٥- العدل والإنصاف من الصفات الهامة في الداعية؛ لكونها تتناول جانبه:

أ- الاجتماعي. ب- الفلسفي.

ج- النفسي. د- العلمي والعملي.

ثالثاً: أسئلة متنوعة:

١- دخلت أحد الأماكن العامة فوجدت الناس يتكلمون في شبهة مضمونها أن الإرشاد إلى الخير والصلاح كان مهمة النبي ﷺ وحده؛ لأنه هو الإنسان الكامل. فرأيت ضرورة جدال هؤلاء الناس لتصحيح هذا الفهم. صف لنا ما دار بينكم من حوار مدعوم بالأدلة والبراهين.

٢- اكتب مذكرات مختصرة عن صفات الداعية، موضحاً المباحث الرئيسية في هذا الموضوع؟

٣- اذكر بتفصيل مناسب الصفات العلمية والعملية للداعية؟

٤- في بيئة يغلب عليها الشح والطمع والالتفات إلى الدنيا عدد - في تقديرك- أهم الصفات التي يتحتم على الداعية أن يلتزم بها ليتحقق له النجاح في دعوته في هذه البيئة؟

الفصل الثاني: من آفات الدعاة

الأهداف التعليمية للفصل:

عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذا الفصل أن تصبح قادراً على أن:

١- تبين جملة الآفات التي قد تصيب الدعاة إلى الله تعالى.

٢- تستنتج أهم الأسباب التي تصيب الداعية بآفة الفتور الدعوي، وعلاج هذه الآفة.

٣- تقف على حقيقة الدوافع المؤدية لإصابة الداعية بآفة الاستعجال وطرق التغلب على هذه الآفة وعلاجها.

٤- تشرح معنى ضيق الأفق كآفة تصيب بعض الدعاة، وكيفية علاجها.

٥- تحدد أسباب وعلاج آفة فوضى الوقت، وتعرفها باختصار.

٦- توضح معنى آفة التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة التي قد يصاب بها الدعاة.

٧- تسرد الأدلة من الكتاب والسنة المشيرة إلى آفة (الغرور- اتباع الهوى - ضعف أو تلاشي الالتزام).

٨- تنظم أو تشارك في محاضرة عن آفات الدعاة وعلاجها.

الفصل الثاني: من آفات الدعاة

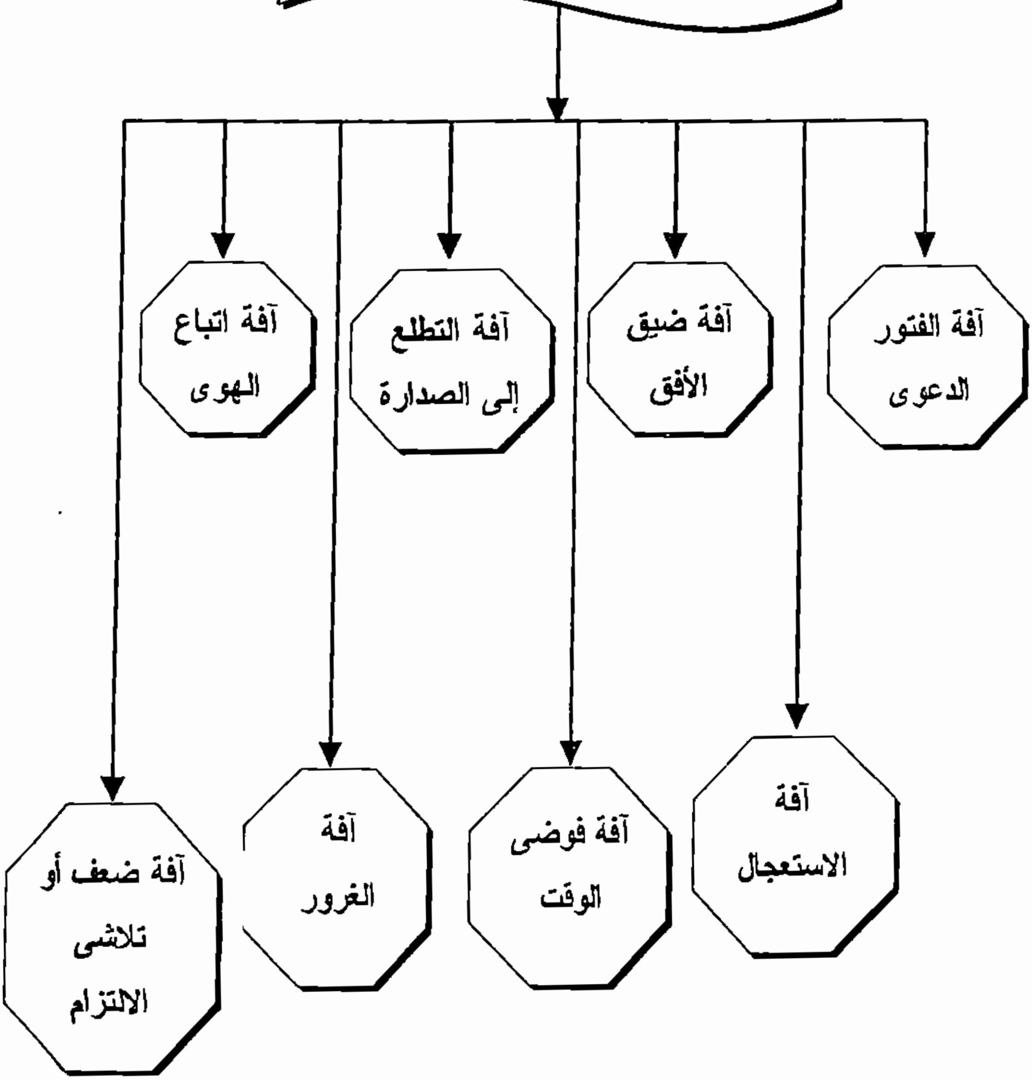

المبحث الأول: آفة الفتور الدعوي:

تعريفها: داء يصيب العاملين في الدعوة بالكسل، أو التراخي، أو الانقطاع أو السكون بعد النشاط الدائب والحركة المستمرة.

أسبابه وعلاجه:

أ- الغلو والتشدد في الدين: فمن يغلو في دينه يصاب بالانهماك في الطاعات، وحرمان البدن حقه من الراحة والطيبات، فينتقل العامل من الإفراط إلى التفريط، ومن التشدد إلى التسيب؛ إذ للإنسان طاقة محدودة، فإذا تجاوزها اعتراه الفتور، فيكسل أو ينقطع، قال رسول الله ﷺ: **"إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين"**(١).

فعلى الداعية لمعالجة هذه الآفة أن يتحرر من التشدد وأن يكلف نفسه ما تطيق من الواجبات.

ب- السرف ومجاوزة الحد في تعاطي المباحات: فقد يتسبب السرف ومجاوزة الحد في تعاطي المباحات في آفة الفتور الدعوي؛ لأنه يصيب الإنسان بالسمنة وسيطرة الشهوات، وبالتالي التثاقل، والتراخي، قال تعالى: ﴿يَابَنِي ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[الأعراف: ٣١].

وقال رسول الله ﷺ: **"ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن.."**(٢).

فعلى الداعية أن يضبط بطنه وشهوته ليضبط دينه، ولتنضبط دعوته، وأن

(١) أخرجه النسائي في كتاب المناسك: باب التقاط الحصى (٢٦٨/٥)، وابن ماجه في كتاب المناسك: باب قدر حصى الرمي (١٠٠٨/٢)(ح٣٠٢٩)، وأحمد (٢١٥/١، ٣٤٧)، وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد: باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل (١٦٨/٤)(ح٢٣٨٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في كتاب الأطعمة: باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع (١١١١/٢)(ح٣٣٤٩)، وأحمد (١٣٢/٤)، وأحمد (١٣٢/٤)، كلهم عن مقدام بن معدي كرب.

يلزم القصد والاعتدال في أمره كله.

ج- مفارقة العمل الجماعي، وإيثار العزلة والتفرد: ويصاب لداعية بالفتور الدعوي إذا فارق العمل الجماعي وآثر العزلة والتفرد؛ ذلك لأن الطريق طويلة ومتعددة المراحل، كثيرة العقبات، في حاجة إلى تجديد.

فالداعية **إذا** سار في ركب العمل الجماعي، وجد نفسه دوما متجدد النشاط، قوي الإرادة، صادق العزيمة، **أما** إذا شذّ عــن الجماعة وفارقها، فإنه سيفقد من يجدد نشاطه، ويقــوّي إرادته، ويذكره بربه، فيسأم ويمل. قــال الله تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا** ﴾[آل عمران: ١٠٣]. ﴿**وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[آل عمران: ١٠٥].

ويقول النبي ﷺ: "**عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة**"[1].

د- دخول جوفه شيء محرم أو به شبهة: ومن أسباب الفتور الدعوي دخول جوف الداعية شيء محرم أو فيه شبهة؛ لأن من يفعل مثل هذا يعاقب، وأدنى عقاب في الدنيا: أن يفتر فيقعد، ويرقد عن الطاعات، فكيف يدعو الداعية وقد نبت جسده من حرام!.

قال تعالى: ﴿**فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلاَلاً طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**﴾[النحل: ١١٤].

ويقول النبي ﷺ: "**كل جسد نبت من سحت – أي من حرام– فالنار**

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن: باب ما جاء في لزوم الجماعة (٦٧/٤)(ح٢١٧٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد (١٨/١، ٢٦)، كلاهما عن عمر.

أولى به"(١)، "دع ما يَرِيبُك إلى ما لا يَرِيبُك"(٢).

فعلى الداعية أن يتحرى الطيب من الرزق، فيتجنب كل ما حرم وما فيه شبهة.

هـ- الغفلة عن سنن الله في الكون والحياة: نرى صنفا من العاملين لدين الله يريد أن يغير المجتمع كله: أفكاره، ومشاعره، وتقاليده، وأخلاقه، وأنظمته: الاجتماعية: والسياسية، والاقتصادية في يوم وليلة، فإذا لم يحدث هذا أصيب بالفتور واليأس.

فعلى الداعية أن يعلم أن النتائج بيد الله، وأن دعوته ربما لا تثمر إلا في القليل، أو تثمر في جيل آخر، ويكفيه أنه نال شرف الدعوة إلى الله تعالى.

و- عدم الاستعداد لمواجهة معوقات الطريق: يعتقد بعض الدعاة في بداية سيرهم في الطريق أنه خال من المعوقات والأشواك فلا يستعدون، أو يتدربون على تخطيها، فإذا واجهتهم فتروا وتركزا العمل كليا، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]. فالطريق بدايته سهلة، ثم يتدرج في العسر حتى يصل إلى غايته. قال تعالى: ﴿الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[العنكبوت:١- ٣].

فعلى الداعية أن يتحلى بالجلد والصبر والاستعداد لتحمل المعوقات والعقبات، ويعلم أن كل شيء يصيبه يجزل عليه العطاء حتى الشوكة يشاكها.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الجمعة: باب ما ذكر في فضل الصلاة (١١٧/٢)(ح٦١٤)، وقال: هذا حديث حسن غريب، والدارمي في كتاب الرقاق: باب في أكل السحت (٤٠٩/٢)(ح٢٧٧٦)، وأحمد (٣٢١/٣)، كلهم عن كعب بن عجرة.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة: باب ما جاء في صفة أواني الحوض (٢٣٢/٤) (ح٢٥٢٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في كتاب الأشربة: باب الحث على ترك الشبهات (٣٢٧/٨)، والدارمي في كتاب البيوع: باب دع ما يريبك إلى ما لا يريبك (٣١٩/٢)(ح٢٥٣٢)، كلهم عن علي.

ز- صحبة ذوي الإرادات والهمم الضعيفة: وقد يكون سبب الفتور الدعوي لدى الداعية صحبته لذوي الإرادات والهمم الضعيفة؛ لأن الأمراض النفسية معدية - بقدر الله- كما تعدي الأمراض الحسية البدنية.

فعلى الداعية أن يترك صحبة الكسالى الفاترين في العمل؛ لأنهم يُعْدوه بهذا الداء كما يعدي الصحيحَ الأجربُ؛ لذلك أكد ﷺ على ضرورة انتقاء واصطفاء الصاحب، إذ يقول: "**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**"[1] وقال "**إنما مثل الجليس الصالح، وجليس السوء، كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحا منتنة**"[2]

ح- العفوية في العمل سواء على لمستوى الفردي أو الجمعي: ذلك أن كثيرا من العاملين أفرادًا كانوا أو جماعات؛ يمارسون العمل لدين الله بصورة عفوية لا تتبع منهجا، وذلك يؤدي إلى أن تطول الطريق، وتكثر التكاليف والتضحيات، فيكون الفتور - غالبا- إن لم تتدخل يد الله بالرعاية والتأييد والثبات.

لذلك أعطى الرسول ﷺ منهجا لمعاذ يسير عليه في دعوته فقال "**إنك تأتي قوما من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة ألا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله فترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة**

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب: باب من يؤمر أن يجالس (٤/٢٦١)(ح٤٨٣٣)، والترمذي في كتاب الزهد: باب ما جاء في أخذ المال (٤/١٦٧)(ح٢٣٨٥)، وقال هذا حديث حسن غريب، كلاهما عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب لبيوع: باب في العطار وبيع المسك (٤/٣٩٦) (ح٢١٠١)، ومسلم في كتاب البر والصلة: باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء (٤/٢٠٢٦) (ح١٤٦)، كلاهما عن أبي موسى.

المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب".

ط- الوقوع في المعاصي والسيئات، لاسيما صغائر الذنوب مع الاستهانة بها: فإن وقوع العامل في مجال الدعوة في المعاصي والسيئات ينتهي به لا محالة إلى الفتور قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[الشورى: ٣٠]، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: "إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يُهْلِكنه"(١).

فالمعاصي نار تحرق قلب العبد، فلا ينتفع بنفسه ولا بوقته ولا بدعوته، فلابد من مجافاة السيئات والحذر من المحقرات، والعمل بالطاعات على وجه التسديد والمقاربة، مع محاسبة النفس ودوام المراقبة.

المبحث الثاني: آفة الاستعجال

تعريفها:

إرادة تغيير الواقع الذي يحياه المسلمون اليوم في لمحة، أو في أقل من طرفة عين، دون نظر في العواقب، ودون فهم للظروف والملابسات المحيطة بهذا الواقع ودون إعداد جيد للمقدمات، أو للأساليب والوسائل.

أسبابه وعلاجها:

أ- الدافع النفسي:

قد يكون الدافع النفسي هو السبب في الاستعجال، قال تعالى: ﴿خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣]، وإذا لم يعمل الداعية على ضبط نفسه وإلجامها بلجام العقل والتخفيف من غلوائها فإنها تدفعه - لا محالة- إلى الاستعجال، وعلى الداعية أن يمعن النظر في آثار الاستعجال وعواقبه؛ فإنه مما يحمل على الهدوء وضبط النفس.

---

(١) أخرجه أحمد (٤٠٢/١)، عن ابن مسعود، وقال الحافظ العسقلاني إسناده حسن، انظر: فتح الباري: (٣٨٦/١١).

ب- الحماس الزائد:

لأن الحماس إذا قوي، وتمكن من النفس، ولّد طاقة ضخمة، تندفع - ما لم يتم السيطرة عليها وتوجيهها- إلى أعمال تؤذي أكثر مما تفيد، وتضر أكثر مما تنفع.

وعلى الداعية في هذه الحال أن يستعين بشيء من الصبر حتى يقع التوازن بين حماسه هذا وبين إدراك أكبر قدر من المصالح الدعوية.

قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً﴾ [المزمل:١٠]، ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان:٢٠]. فالصبر في الحقيقة طريق التمكين، إذ بالصبر واليقين تكون الإمامة في الدين.

ج- عدم وجود برنامج أو منهاج عملي يمتصّ الطاقات ويوظفها:

وقد يكون هذا هو السبب في الاستعجال؛ ذلك أن نفس الإنسان التي بين جنبيه إن لم يشغلها بالحق شغلته بالباطل.

وقد رأينا الإسلام غمر المسلم ببرنمج عمل في اليوم والليلة، وفي الأسبوع، وفي الشهر، وفي السَّنة، وفي العمر كله، بحيث إذا حافظ عليه كانت خطواته دقيقة، وكانت جهوده مثمرة.

ورأيناه كذلك يشدد على الأئمة أن يستفرغوا كل ما في وسعهم وكل ما في طاقتهم لاستنباط ما يملأ حياة المسلمين بالعمل الجاد المثمر الخالي من الضرر والشرر، وإلا حرموا الجنة.

يقول ﷺ: "**ما من أمير يلي أمر المسلمين، ثم لا يجهد لهم، وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة**"[1].

فعلى الداعية أن يكون له منهاج عملي منتظم يجعله في شغل دائم؛ حتى

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان: باب استحقاق الوالي -الغاش لرعيته- النارَ (١/١٢٦)(ح٢٢٩)، عن معقل بن يسار.

يكون في مأمن من الحماس الزائد الذي قد يجر عليه كثيرا من المشكلات، فيصير العمل الدعوي قتالا في غير وعي.

د- الغفلة عن سنن الله الاجتماعية:

إن مِنْ سنن الله في الكون: خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وخلق الإنسان والحيوان، والنبات على مراحل مع أنه قادر على خلْق ذلك كله وغيره، بكلمة "كن": ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

ومن سنن الله في النفس: أنها لا تضحي، ولا تبذل، ولا تعطي إلا إذا عولجت من داخلها، واقْتُلعت منها كل الحظوظ، وأدركت قيمة وفائدة التضحية والبذل والعطاء، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩ - ١٠].

وذلك لا يتم بسهولة ويسر، وإنما لابد له من جهد، ووقت وتكاليف.

وقد تكون الغفلة عن سنة الله مع العصاة والمكذبين هي السبب في الاستعجال.

ذلك أن من سنة الله مع العصاة والمكذبين: الإمهال، وعدم الاستعجال: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٣].

ومن سننه كذلك معهم: أنه إذا أخذهم لم يفلتهم: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

ومن سننه أيضا: أن أيامه ليست كأيامنا هذه: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧].

فإذا نسي الداعية هذه السنن كانت السرعة والعجلة، أما حين يتأملها ويتفكر فيها تهدأ نفسه، وتضبط حركته، ويبصر موضع قدميْه.

المبحث الثالث: آفة ضيق الأفق:

يُقصد بها في الاصطلاح الدعوي ضعف أو خلل في البصيرة، يؤدي إلى حصْر التفكير أو الرؤية في حدود ضيقة، لا تتجاوز المكان والزمان، دون النظر

إلى البعيد، ودون تقدير الآثار والعواقب، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٧].

أسبابها وعلاجها:

أ- النشأة الأولى:

فقد ينشأ الإنسان في بيئة لا تهتم كثيرا بتنمية الذكاء الفطري أو المواهب لدى أفرادها، وتكون العاقبة انحسار دائرة التفكير أو النظر والتأمل إلا من رحم الله ﷻ.

وعلاجه بالتعويد على تحمل المسئولية منذ أن يكتشف الداعية هذه الآفة، وعلينا أن نراعي ذلك في الأجيال التالية لهذا الداعية المصاب بهذه الآفة، فنعوّدهم على تحمل المسئولية منذ الصغر، ولقد رعى الأنبياء الغنم في الصغر فتحملوا المسئولية مبكرا.

وصدق الشاعر حين قال:

وينشأ ناشئ الولدان فينا ... على ما كان عوده أبوه

ب- صحبة نفر من ذوي الأفق الضيق والنظر القصير:

وقد يكون سبب ضيق الأفق لدى الداعية صحبة نفر من ذوي هذه الآفة؛ لأن هذه الصحبة تسري آثارها إلى هذا الإنسان، فإذا به يواجه كل المواقف بنفس النمط، وعلى هذا المنوال، فلابد من اقتلاع النفس من صحبة ذوي الأفق الضيق والسطحية والارتماء في أحضان أصحاب الخبرات والتجارب، ولينظرْ أحدكم من يخالل.

ج- الانــزواء أو العزلة:

وقد يُؤْثر الإنسان الانــزواء أو العزلة، إما لعدم القدرة على التوفيق بين الفردية والجماعية وإما لإيثار العافية والسلامة، ومثل هذا فإنه يخسر أول ما يخسر

الخبرة أو التجربة، تلك التي تستفاد من ملازمة الجماعة وملازمة أصحابها، والتي تساعد على اتساع الأفق، وبُعد النظر، وحين يخسر الإنسان الخبرة أو التجربة، فإنه يظل ذا أفق ضيق، ونظر قصير محدود.

وهنا يمكن أن يُلبّس عليه الشيطان أمر دينه؛ لأن "الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد"(١).

فعلى الداعية لعلاج هذا السبب من أسباب ضيق الأفق أن يلتزم العمل الجماعي لكي يستفيد من خبرة الفريق.

د- عدم الفهم لرسالة الإنسان في الأرض وحقيقة ومضمون الإسلام:

وقد لا يفهم الإنسان دَوْره أو رسالته في الأرض، من أنه خليفة فيها، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، وأن هذه الخلافة إنما هي سيادة وعبودية، وأن تحقيق هذا الدور أو الرسالة يقتضي التبصر والعمل الدائم بالليل والنهار قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]، وقد لا يفهم الإنسان ذلك كله، فيقعد وينام، أو ينطلق على غير هدى وبصيرة، وأنى لهذا أن يكون واسع الأفق، أو بعيد النظر!.

فعلى المسلم أن يجهد نفسه في تحصيل الحكمة حتى يكون واسع الأفق بعيد النظر يدعو على بصيرة قال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

هـ - عدم الإلمام بواقع أعداء الدعوة، وأسلوبهم في العمل:

لابد للمسلم من متابعة الأحداث الجارية ومواقف الخصوم والاطلاع على الأخبار المحلية والعالمية، حتى تكون عنده الخبرة، والمعلومات الكافية عن أعداء الدعوة ومَكْرهم ودهائهم، فيتسع أفقه ويعيد نظرته، ويدرك واقعه إدراكًا يجعله

(١) تقدم تخريجه.

يدعو على بصيرة؛ لأن هذا كله يدخل في إعداد القوة المأمور بها في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] وقد صار الأمر سهلاً في العصر الحديث، فيمكن الاطلاع على أسلوب عمل أعداء الله بسهولة ويسر في ظل هذا التطور الرهيب في وسائل الاتصال وتكنولوجيا المعلومات.

و- الإعجاب بالنفس، بل الغرور والتكبر:

وقد يكون الداعية معجبا بنفسه أو مغرورا متكبرا، فيحمله ذلك على الترفع والاستعلاء على أن يكتسب من غيره خبرة، أو مهارة، أو تجربة، فيبقى طول حياته محدود الأفق قصير النظر، فلابد من الاحتكاك للتخلص من هذه الآفة وللتواضع، والاطلاع على الواقع، والاستماع للمخالف، وليذكّر نفسه دائمًا بقول تعالى ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

ز- الغفلة عن العواقب والآثار المترتبة على ضيق الأفق أو قصر النظر:

وقد يكون الداعية غافلا عن العواقب أو الآثار المترتبة على ضيق الأفق، أو قصر النظر، فيقنع بما هو عليه بدون أن يجهد نفسه في معرفة العواقب أو كيفية تلاشيها فيظل طيلة حياته ضيق الأفق محدود النظر.

وهذا يلزمه أن يقرأ بتنوعٍ في مجالات كثيرة وأن ينفتح على برامج حوار ومناقشات مفتوحة، وأن يسعى للاحتكاك بجميع شرائح المجتمع، وأن يستمع إلى قناعاتهم.

ح – الجهل بأخبار وحوادث الماضين:

على الداعية أن يكون ملمًّا بالأخبار والحوادث الماضية التاريخية خاصة التاريخ الإسلامي، متلمساً فيه مصادر القوة وعوامل الضعف، وعليه أن يلم بتجارب الدعاة الذين سبقوه، وكيف كانوا يتصرفون بإزاء المواقف المباغتة حتى يكون واسع الأفق والنظر. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١]، ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

ط- ضعف الصلة بالله ﷻ:

وقد يكون الداعية ضعيف الصلة بالله ﷻ بأن يكون غير محترز من المعاصي والسيئات، لاسيما الصغائر منها، أو أن يكون مفرطا في عمل اليوم والليلة، أو أن يكون مهملا لجانب فعل الخيرات، فيعاقب على ذلك كله بالحرمان من الحكمة التي هي أساس سعة الأفق، وبُعْد النظر.

ولعل ذلك هو المفهوم من قوله تعالى في كتابه الحكيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]. ومن قوله ﷺ في الحديث القدسي، يقول الله تعالى: "**من عَادَى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت، وأنا أكره مساءته**"(١).

والداعية أولى الناس بولاية الله ﷻ التي تهدي إلى الحق وتنير دروبه؛ ولذلك عليه بالالتزام بالشرع الشريف واجتناب المعاصي والسيئات.

المبحث الرابع: آفة فوضى الوقت

وهو خلط الأمور بعضها ببعض، والنظر إليها على أنها بدرجة واحدة من حيث الأهمية، والفائدة، مع عدم التوفيق بين الواجبات والأوقات.

ولفوضى الوقت مظاهر كثيرة تدل عليها، أهمها:

الاشتغال بثانويات، أو هوامش الأعمال عن أصولها وقلبها، وإعطاء العمل البسيط فوق ما يستحق من الجهد والوقت، وتضييع الساعات الطوال بغير عمل

---

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الرقاق: باب التواضع (١١/ ٤٠٠) (ح٦٥٠٢)، عن أبي هريرة.

بالمرة، وتراكم أكثر من عمل في وقت واحد؛ بل في لحظة واحدة... وغير ذلك.

وأما عن وضع فوضى الوقت هذه في ميزان الإسلام فهي حرام، كما تلمّح بذلك النصوص الكثيرة الناطقة بتحسر أقوام على أعمارهم التي ضيعوها بغير عمل يفيد، فيقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَالَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾[الأحزاب: ٦٤ - ٦٦].

والنبي ﷺ يقول: "**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**"(١).

أسباب فوضى الوقت وعلاجها:

أ- الصحبة السيئة والنشأة المهملة:

قد تلقي المقادير بالإنسان في وسط من الصحبة السيئة أو الأسرة المهملة، دأبها وديدنها ضياع الوقت، أو ملئه بالتافه الضار، فيتأثر بهم، ويظهر ذلك - أول ما يظهر- في وقته، فإذا به يهدره ويضيعه فيما لا طائل تحته، ولا فائدة تُرجى من ورائه.

وقد يكرم الله المسلم بصحبة طيبة، إلا أن ذوي التأثير، والأسوة والقدوة في هذه الصحبة مصابون بفوضى الوقت، فيتأثر بهم.

وبمرور الزمن تصبح فوضى الوقت خُلُقًا لازمًا له في حياته، ولابد لهؤلاء أن يتذكروا حال الصحابة والسلف وفي حفظ الأوقات ومنافسة الزمان، وأن يقفوا على منجزات الجادّين في حفظ الوقت.

ويجعلون نصب أعينهم حديث رسول الله ﷺ "**أول ما يسأل عنه العبد عمره فيم أفناه، وشبابه فيم أبلاه...**"(٢).

ب- الركون إلى النعمة مع أمن مكر الله:

وقد يمنُّ الله على الداعية بفراغ، أو صحة، أو شباب، أو غير ذلك فيطمئنّ

---

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الرقاق: باب ما جاء في الرقاق (٢٦٧/١١) (ح٦٤١٢)، عن ابن عباس.

(٢) تقدم تخريجه.

بهذه النعمة، ويركن إليها، وينسى أنه يمكن أن تصير إلى زوال في لحظة، ويأمن مكر الله، وتكون العاقبة إهدار الوقت، وتضييعه فيما لا يجدي ولا يفيد، وتلك هي فوضى الوقت، فكان لزاماً شكر هذه النعمة والقيام بحقها، مع الدعاء والضراعة بحفظ الأوقات والبركة في الأعمار.

ج- الانفراد بالرأي وعدم المشورة:

وقد ينطلق الإنسان يعمل حسبما تسنح له الفرصة، معتمدا على رأيه، دون الرجوع إلى أحد من ذوي الخبرة والتجربة والسداد والرأي، ودون مشاورته فيما يريد، وتكون العاقبة فوضى الوقت، حيث يشتغل بثانويات الأمور، ويضيع الأصول، أو الأساس، أو تتراكم عليه الأعمال فيقعد ولا يعمل شيئا بالمرة.

فعلى الداعية الالتزام بمبدأ المشورة والرجوع إلى ذوي الخبرة والتجربة.

د- عدم تقدير المرء لجهده وطاقته وفقدان المحاسبة:

وقد لا يقدر المرء جهده وطاقته، ويظن أن لديه القدرة على عمل كل شيء، ويأخذ في العمل، ويصادف أنه لم ينجز شيئا، ويصير من أصحاب أنصاف أو أثلاث، أو أرباع الأعمال. كما قيل: الذي يعمل كل شيء لا يعمل شيئا. وهذه هي فوضى الوقت.

وقد يحرم الإنسان ممن يتابعه، ويحاسبه على عمله، وتكون النتيجةُ فوضى الوقت، حيث يضيع الوقت في غير عمل بالمرة، أو في عمل هامشي لا يسمن ولا يغني من جوع.

ومن ثم وجب على الداعية أن يقدر جهده وطاقته بحيث ما لا يستطيع أداءه يتركه إلى ما يستطيع أداءه، وليتذكر دائماً قول الشاعر:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه ... وجاوِزْه إلى ما تستطيع

هـــ- المعصية، وإهمال النفس من التزكية:

وقد يقع الإنسان في المعصية، ولاسيما الصغير منها، ويهمل التوبة والتخلص منها، بل يهمل تزكية نفسه التي هي سبب بركة الوقت وامتداده، أو اتساعه، وحينئذ يُبتلى بفوضى الوقت، حيث يقول ﷺ في الحديث: "**من سره أن يُبسط له في رزقه، أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه**"(1).

والعلماء مختلفون في تحديد معنى الإنساء على نحو ما ذكر الحافظ ابن القيم إذ يقول - ما ملخصه- إن المراد به:

١- نقصان عمر العاصي بذهاب بركة عمره ومحقها، وهو تأثير المعاصي.

٢- أن المعاصي تنقص العمر حقيقة.

٣- أن حقيقة الحياة هي حياة القلب؛ لذلك جعل الله الكافر ميتاً: ﴿**أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ**﴾ [النحل: ٢١].

"فالعبد إذا أعرض عن الله، واشتغل بالمعاصي، ضاعت عليه أيام حياته الحقيقية التي يجد غب إضاعتها يوم يقول: ﴿**يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي**﴾ [الفجر: ٢٤]".

المبحث الخامس: آفة التطلع إلى الصدارة، وطلب الريادة

مفهوم التطلع إلى الصدارة، وطلب الريادة:

المراد بالتطلع إلى الصدارة وطلب الريادة في الاصطلاح الدعوي: هو تعلُّق القلب بالإمامة أو الريدة، وسؤال ذلك صراحة أو القعود عن القيام بالواجب، وأداء الرسالة.

التطلع إلى الصدارة، وطلب الريادة في ميزان الإسلام:

---

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الأدب: باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم (١٠/ ٥٠١)(ح٥٩٨٥)، ومسلم في كتاب البر والصلة: باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها (١٩٨٢/٤)(ح٢٠ - ٢١)، كلاهما عن أنس بن مالك.

والتطلع إلى الصدارة وطلب الريادة في ميزان الإسلام شيء مذموم، ومنهيٌّ عنه، بل عليه الوعيد الشديد، إذ يقول النبي ﷺ لأبي ذر عندما سأله أن يستعمله: **"يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها"**[(١)] وقال: **"إنا والله لا نولي على هذا العمل أحدا سأله، ولا أحدا حرص عليه"**[(٢)].

ويقول ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة ﷺ: **"يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة، فإنك أن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها"**[(٣)].

وإذا كان هذا هو موقف الإسلام من التطلع إلى الصدارة، وطلب الريادة، فما بال يوسف عليه السلام وهو نبي من أنبياء الله سألها، وزكــى نفسه ليعطاها؟ قال تعالى: ﴿**اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾[يوسف: ٥٥].

وما بال المسلم يلح في سؤالها حتى تصبح سمة من سماته، وعلامة يعرف بها بين الناس؟ إذ يقول الحق - سبحانه- في صفات عباد الرحمن: ﴿**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**﴾[الفرقان:٧٤].

نقول: لا تعارض ولا تناقض: ذلك أن يوسف عليه السلام سأل، وزكى نفسه؛ لأنه رأى خلوَّ المكان من قائم بالحق، وداع إليه، ومدافع عنه، ووجد نفسه أهلا لذلك، ولكنه لم يكن معروفا، فكان لابد من السؤال والتزكية، من باب: ﴿**وَلَوْلاَ**

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة: باب كراهة الإمارة بغير ضرورة (١٤٥٧/٣)(ح١٦).

(٢) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الأحكام: باب ما يكره من الحرص على الإمارة (١٣/ ١٥٥) (ح٧١٤٩)، ومسلم في كتاب الإمارة: باب النهى عن طلب الإمارة والحرص عليها (٣/ ١٤٥٦) (ح١٤)، كلاهما عن أبي موسى.

(٣) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الأيمان والنذور: باب قول الله تعالى: لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم (٦٠٨/١١) (ح٦٦٢٢)، ومسلم في كتاب الإمارة: باب النهى عن طلب "الإمارة والحرص عليها (١٤٥٦/٣)(ح١٣).

دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١]. وكذلك سؤال المسلم الريادة والإمامة إنما هو سؤال لله، وليس للبشر، والمنهي عنه سؤال البشر، وأيضا هناك فرق بين أن يطلب المسلم ذلك من ربه حتى يكون جاهزًا، ومعدًّا لسد الفراغ عند الحاجة، وبين أن يظل نائما، ثم يسأل الريادة، ولم يأخذ بسبب واحد من أسباب القدرة عليها، والقيام بحقها.

أسباب التطلع إلى الصدارة، وطلب الريادة وعلاجه:

أ- الرغبة في التحرر من سيطرة وسلطان الآخرين:

بعض الأشخاص يحبون التحرر من سيطرة الآخرين إذا وُضع الواحد منهم في محيط جماعي فإنه يعز عليه بل يكبر في نفسه أن يكون فوقه أحد، لذلك تراه تتعلق نفسه تعلقا شديدا بالصدارة.

ومثل هذا يحتاج إلى التعود على الطاعة وهضم النفس، وأن يطلع على مثل قوله ﷺ: "**طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة**"[(١)].

ب- الرغبة في تحصيل عرض من أعراض الحياة الدنيا:

بعض الناس قد يتعلق بالحياة الدنيا تعلقا يحمله على إصابتها من أي باب تَيَسَّرَ له، حلالا كان هذا الباب أو حراما، ومثل هذا الصنف يتصور أنه إذا كان صدرا أو رائدا فإن الكل سيكون في خدمته من أجل إصابة حظه من أعراض هذه الحياة الفانية؛ لذا تراه متعلق النفس بالصدارة، وهذا يحتاج إلى التذكير بمنـزلة الدنيا من الآخرة، ومثل كلٍّ في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، مع بيان النهي عن طلب الولاية، وضرب المثل بسيرة السلف الصالح، وموقفهم من طلب الصدارة والريادة.

---

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الجهاد والسير: باب الحراسة في الغزو في سبيل الله (٦/١٠٠) (ح٢٨٨٧)، عن أبي هريرة.

ج- الغفلة عن تبعات الصدارة والريادة:

وقد يكون سبب طلب الصدارة والريادة الغفلة عن تبعاتهما. فليعلم المتطلع إلى الصدارة أن تبعاتها ضخمة؛ فصاحبها يجوع حيث يشبع الآخرون، ويظمأ حيث يروى الآخرون، ويسهر حيث ينام الآخرون، ويتعب حيث يستريح الآخرون، وبالجملة فإن تبعات هذا الأمر أن يفدي صاحبه الآخرين بنفسه في ساعات الشدة، ويقدمهم على هذه النفس في ساعات الرخاء على نحو ما كان يصنع النبي ﷺ مع أصحابه إذ يقول البراء ﷺ: "كنا -والله- إذا احمرَّ البأس نتّقي به، وإن الشجاع منا لَلذي يحاذي به - يعني النبي ﷺ"[1].

ثم إن عواقب التقصير في هذا الأمر في الدنيا إنما هي إفساح المجال أمام الباطل وجنده؛ ليفسد في الأرض، ويهلك الحرث والنسل، وأما في الآخرة فهي التقييد بالأغلال والسلاسل، والحرمان من الجنة، والإلقاء في النار.

فلابد للداعية ألا يغفل عن هذه العواقب لكي لا تتوق نفسه إلى الصدارة، ويسأل الريادة.

المبحث السادس: آفة الغرور

تعريفها:

هي إعجاب العامل بنفسه إعجابا يصل إلى حد احتقار أو استصغار كل ما يصدر عن الآخرين بجنب ما يصدر عنه، ولكن دون النيل من ذواتهم أو الترفع على أشخاصهم.

أسباب الغرور وعلاجها:

أ- إهمال النفس من المراقبة والملاحظة والمحاسبة:

ذلك أن بعض العاملين قد يُبتلى بالإعجاب بالنفس، ولإهماله نفسه من

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير: باب في غزوة حنين (٣/١٤٠١)(ح٧٩)، عن البراء.

المراقبة والملاحظة والمحاسبة، يتمكن الداء منه، ويتحول إلى احتقار أو استصغار ما يقع من الآخرين بالإضافة إلى ما يقع منه، وبذلك يصير مغرورًا.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

وعلاج من يصاب بهذا الداء أن يرى التقصير في نفسه، ويعلم أن عمله وما يصنعه قد يرد عليه من الله يوم القيامة، وأن يعلن أن الله وحده هو الذي يعلم المصلح والمفسد، فهو يعلم ما تخفى النفوس، ويعلم أن احتقار قون الآخرين وعدم ملاحظة التقصير في النفس قد يكون سبباً في ضياع ثواب ما يفعل.

ب- الإهمال أو عدم المتابعة من المربين:

بعض العاملين قد يصاب بآفة الإعجاب بالنفس، ويكون من ضعف الإرادة وخور العزيمة بحيث لا يستطيع التطهر بذاته من هذه الآفة، وإنما لابد من متابعة الآخرين له، ووقوفهم بجواره، وأخذهم بيده. وقد لا يلتفت الآخرون إلى ذلك، فيقعدون عن أداء دورهم وواجبهم، وحينئذ تتمكن هـــذه الآفة من النفس، وتتحول بمرور الزمن إلى غرور؛ لذلك قال ﷺ: **"الدين النصيحة"** قلنا: لمن؟ قال: **"لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم"**[1].

وقال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢].

وعلى المربين والدعاة أن يقوموا بواجبهم ورسالتهم، فيراقب كل واحد منهم من تولى أمر تربيتهم، ولا يهمل الواحد منهم نفسه.

ج- الغلو أو التشدد في الدين:

يقول الرسول ﷺ: **"هلك المتنطعون"**[2]، قالها ثلاثا -يعني: المتعمقين

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان: باب بيان أن الدين النصيحة (٧٤/١)(ح٩٥)، عن تميم الداري.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب العلم: باب هلك المتنطعون (٢٠٥٥/٤)(ح٧)، عن عبدالله.

المجاوزين الحدود في أقوالهم وأفعالهم.

فينبغي التوسط والاعتدال في كل شيء، حتى في الطاعات والمباحات، مع أهمية التذكير بأن دخول الجنة لا يكون عن استحقاق من العبد، وإنما هو محض فضل الله تعالى.

قد يُقْبِل بعض الدعاة على منهج الله في غلو وتشدد، وبعد فترة من الزمان ينظر حوله، فيرى غيره من الدعاة يسلكون المنهج الوسط، فيظن - لغفلته أو عدم إدراكه طبيعة هذا الدين- أن ذلك منهم تفريطٌ أو تضييعٌ مما يجعله يحتقر ويستصغر كل ما يصدر عنهم، بالإضافة إلى ما يقع منه، وذلك هو الغرور.

فعلى الداعية أن يتوغل في الدين برفق حتى يلتقي مع غيره من الدعاة على الوسطية المحمودة.

د- التعمق في العلم، لا سيما غرائب وشواذ المسائل وعلوم الآلة مع إهمال العمل:

تعمق الداعية وسعيه خلف غرائب وشواذّ المسائل مع إهمال العمل، في الوقت الذي يهتم فيه الآخرون بالأصول والعمل، فيشعر أنهم لا يعلمون من الغرائب شيئا فيزيدهم احتقارا واستصغارا، ويزيد نار غروره حطبا بذلك، ويخطر بباله أنهم لا يتقنون من مسائل العلم شيئا.

ولعل ذلك هو السر في دعوة الإسلام إلى أن يكون السعي في طلب العلم دائما حول النافع والمفيد، إذ كان من دعائه ﷺ: **"اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها"**(1).

بل وفي تأكيده على أن يكون هذا العلم مقرونا بالعمل، وإلا كان الهلاك والبوار، قال تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ**

(1) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء: باب التعوّذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل(٤/٢٠٨٨) (ح٧٣)، عن زيد بن أرقم.

اللَّه أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣].

هـ- الوقوف عند الطاعات مع نسيان المعاصي والسيئات:

ليعلم الداعية أننا جميعا بشر، وشأن البشر سوى النبيين الصواب والخطأ، فإذا غفل العامل عن ذلك فإنه كثيرًا ما يقف عند الطاعة أو الصواب في الوقت الذي ينسى فيه المعصية أو الخطأ، وتكون العاقبة الإعجاب بالنفس، المقرون باحتقار ما يقع فيه الآخرون إلى جانب ما يصدر عنه، وهذا هو الغرور.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦١].

تقول عائشة - رضي الله عنها- قلت يا رسول الله: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ هو الذي يسرق، ويزني، ويشرب الخمر، وهو يخاف الله ﷻ؟ قال: "لا يا بنت الصديق، ولكنه الذي يصلي، ويصوم، ويتصدق، وهو يخاف الله ﷻ"(١).

وقال الرسول ﷺ: "لن ينجيَ أحدا منكم عملُه" قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: "ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته، سددوا، وقاربوا، وروحوا، وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا"(٢).

و- الركون إلى الدنيا:

ربما يفطن بعض العاملين إلى أنه مبتلى بآفة الإعجاب بالنفس، بَيْد أنه

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير: باب ومن سورة المؤمنون (١١٨/٥)(ح٣١٧٥)، وابن ماجه في كتاب الزهد: باب التوقي على العمل (١٤٠٤/٢) (ح٤١٩٨)، وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الرقاق: باب القصد والمداومة على العمل (٢٩٤/١١) (ح٦٤٦٣)، ومسلم في كتاب صفات المنافقين: باب لن يدخل أحد الجنة بعمله، بل برحمة الله تعالى (٢١٦٩/٤) (ح٧١)، كلاهما عن أبي هريرة، واللفظ للبخاري.

لركونه إلى الدنيا، وانغماسه فيها، فلا يستطيع أن يجمع همته لمداواة نفسه، بل قد يأخذ في التسويف، وتأخير التوبة، وبمرور الزمن يتحول الإعجاب بالنفس إلى داء أكبر وأبعد، ألا وهو الغرور.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧،٨].

وقال ﷺ: **"تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة: إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس، وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفّع"**(١).

ز- رؤية بعض ذوي الأسوة والقدوة على حالة الضعف:

فعلى الداعية إذا أصيب بذلك أن يتذكر فناء الدنيا وأنها إلى زوال.

ذلك أن بعض ذوي الأسوة والقدوة، قد ينـزلون - لسبب أو لآخر - عن الحال التي ينبغي أن يكونوا عليها، من أخذ أنفسهم بالعزيمة في غالب الأحيان، إلى حال أقل منها من أخذ أنفسهم بالرخص في بعض الأوقات.

وربما رأى ذلك من يحاول الاقتداء والتأسي بهم، ولقلة رصيده من الفقه، أو لعدم اكتمال تربيته، يتوهم أو يظن أنهم بذلك دونه في العمل بمراحل، ويظل هذا الوهم أو هذا الظن يلاحقه ويلح عليه، حتى يتحول إلى الإعجاب بالنفس، ثم الغرور.

وقد اتجهت دعوة الإسلام إلى البعد عن مواطن التهم، من خلال بيان وجه

---

(١) تقدم تخريجه.

الحق في سائر التصرفات المباحة، التي ربما تؤدي إلى سوء الظن:

والحديث الأصل في ذلك ما روى عن صفية بنت حيي زوج النبي ﷺ - رضي الله عنها- أنها جاءت رسول الله ﷺ تزوره في اعتكافه في المسجد، في العشر الأواخر من رمضان، فتحدثت عنده ساعة، ثم قامت تنقلب، فقام النبي ﷺ يقلبها، حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة مر رجلان من الأنصار، فسلّما على رسول الله ﷺ فقال لهما النبي ﷺ **"على رسلكما: إنما هي صفيّة بنت حيي"**،فقالا: سبحان الله يا رسول الله، وكَبُرَ عليهما، فقال النبي ﷺ: **"إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا"**(١).

قال ابن دقيق العيد: "وهذا - أي: التحرز من كل ما يوقع في التهم- متأكد في حق العلماء، ومن يُقتدى بهم، فلا يجوز لهم أن يفعلوا فعلا يوجب سوء الظن بهم، وإن كان لهم فيه مخلص؛ لأن ذلك سببٌ في إبطال الانتفاع بعلمهم"(٢).

المبحث السابع: آفة اتباع الهوى

تعريفها:

هو السير وراء ما تهوى النفس وتشتهي، والنـــزول على حكم العاطفة من غير تحكيم العقل، أو رجوع إلى الشرع، أو تقدير العاقبة.

أسباب اتباع الهوى وعلاجها:

أ- عدم التعويد على ضبط الهوى منذ الصغر:

ذلك أن الإنسان قد يلقى من أبويه منذ الصغر حبا مفرطا، بحيث يطغى هذا الحب، على تنمية الضوابط الفطرية والشرعية التي لابد منها لتنظيم الرغائب

---

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الاعتكاف: باب هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد (٣٣٩/٤) (ح٢٠٣٥)، ومسلم في كتاب السلام: باب بيان أنه يستحب لمن رئي خاليا بامرأة (١٧١٢/٤) (ح٢٤)، واللفظ للبخاري.

(٢) انظر إحكام الأحكام لابن دقيق العيد (٥٧/٢).

أو الدوافع، وحينئذ يكبر هذا الإنسان، ويكبر معه الانسياق وراء العواطف والرغائب، حتى لو كانت مخالفة للمشروع، فينبغي التذكير بخطورة اتباع الهوى على الداعية والدعوة معا، مع التربية على المجاهدة ومخالفة هوى النفس.

ب- مجالسة أهل الأهواء ومصاحبتهم:

ذلك أن العواطف أو الدوافع تنمو بالمجالسة وطول الصحبة، وعليه فمن لَازَمَ مجالسة أهل الأهواء، وأدام صحبتهم، فلابد من تأثره بما هم عليه، لاسيما إذا كان ضعيف الشخصية، عنده قابلية التأثر بغيره من أولئك الناس.

ولقد كان السلف الصالح يدركون ذلك جيداً ولذا حذروا من مجالسة أهل الهوى ويظهر ذلك جلياً في قول: **الحسن، وابن سيرين:**

"لا تجالسوا أصحاب الأهواء ولا تجادلوهم، ولا تسمعوا منهم"(١).

ج- ضعف المعرفة الحقة بالله والدار الآخرة:

مَنْ ضعفت معرفته بالله، وأنه وحده له الحكم، وإليه المرجع والمآب، وهو أسرع الحاسبين، كما قال سبحانه عن نفسه: ﴿**أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ**﴾ [الأنعام: ٦٢، ٩١]، من كان كذلك لا يقدّر ربه حق قدره، وبالتالي يفعل ما يفعل غير مبال بما إذا كان ذلك يرضي الله أو يغضبه، ينجيه أو يهلكه.

قال تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنــزلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ**﴾ [الأنعام: ٦٢، ٩١]. فَرَبَطَ الله عدم تقدير اليهود لقدرته تعالى باتباعهم هواهم في نفي أي كتاب منــزل على محمد ﷺ.

فعلى من يصاب بضعف المعرفة الحقة بالله أن يتذكر نعم الله عليه، وقدرته وطوله، وأنه على ما يشاء قدير، وأنه بيده مقاليد السماوات والأرض، وأنه -

---

(١) أخرجه الدارمي في المقدمة: باب اجتناب أهل الأهواء والبدع والخصومة (١٢١/١)(ح٤٠١)، عن أبي قلابة، وهو أثر صحيح.

سبحانه- غالب على أمره.

د- تقصير الآخرين في القيام بواجبهم نحو صاحب الهوى:

إذا رأى صاحب الهوى ممن حوله استحسانا لما هو عليه، أو سكوتا وعدم إنكار بأي من وسائل الإنكار، فإنه يمضي ويتمادى فيما هو عليه، حتى يتمكن الهوى من قلبه، ويسيطر على كل سلوكياته وتصرفاته.

لذا أكد الإسلام على مقاومة المنكرات، قال تعالى: **﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾** [آل عمران: ١٠٤].

وكان النبي ﷺ حريصا على مجانبة من لمح فيهم ميلا إلى الهوى، وعدم رحابة الصدر لهم، لعلهم يتوبون أو يذكرون.

كما فعل مع الثلاثة الذين خُلِّفوا في غزوة تبوك حتى أنــزل الله قبول توبتهم.

وما فعله النبي ﷺ يعد منهجاً قويماً لمعالجة أصحاب الهوى وقيام الآخرين بواجب النصح والتقويم لهم.

هـ- حب الدنيا والركون إليها مع نسيان الآخرة:

من أحب الدنيا وركن إليها ونسي الآخرة يتولد عنده سعي حثيث لتلبية كل ما يفرضه هذا الحب، وذلك الركون، حتى وإن كان مخالفا لمنهج الله، وذلك بعينه هو اتباع الهوى. وقد لفت المولى النظر إلى هذا السبب في قوله:

﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧ - ٨].

قال رسول الله ﷺ **"الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله"**[١].

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة: باب ما جاء في صفة أواني الحوض (٤/٢٠٧)(ح٢٤٦٧)، وقال: هذا حديث حسن، وابن ماجه في كتاب الزهد: باب ذكر الموت والاستعداد له (٢/١٤٢٣) (ح٤٢٦٠)، وأحمد (٤/١٢٤٠)، كلهم عن شداد بن أوس.

ولمعالجة هذا الحب وهذا الركون فليذكر هذا الإنسان صفات الدنيا القبيحة، وأنها فتنة وأنها تغرُّ من يحبها، ويذكر أيضا حقيقتها، وهي أنها فانية، وأنها إلى زوال. وصدق إبراهيم بن أدهم حين قال لمن يركنون إلى الدنيا: "أرضيتم من أعمالكم بالمعاني، ومن طلب الجنة بالأماني، ومن العيش الباقي بالعيش الفاني"(١).

المبحث الثامن: آفة ضعف أو تلاشي الالتزام:

تعريفها: التقصير أو عدم الوفاء بما يتعهد به المسلم، أو يفرضه ويوجبه على نفسه من الصالحات، حين يرضى بالإسلام منهجاً وحياة، بل وحين يرضى أن يكون في صفوف الدعاة.

مظاهر ضعف أو تلاشي الالتزام:

١- عدم الدقة أو عدم الانضباط في الحديث والموعد.

٢- إصدار الأحكام دون تثبُّت أو تبين.

٣- الفجور في الخصومة، أو عدم رعاية أدب الخلاف.

٤- الإصغاء للإشاعات، والأراجيف.

٥- نبذ الطاعة إلا فيما يوافق هوى النفس.

٦- عدم النهوض بالبيت من الأهل والولد إلى المستوى المنشود.

٧- عدم رعاية الآداب أو السلوكيات الاجتماعية.

٨- عدم التضحية سواء بالنفس أو بالمال أو بهما معًا.

٩- عدم الدقة أو عدم الانضباط في الحركة.

١٠- إهمال النفس من التنقية والتزكية.

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي، (٣٩٤/٧) طبعة الرسالة - تحقيق الأرناؤوط، حلية الأولياء (٤٠/٨) طبعة دار الكتاب العربي.

١١- استعجال النصر دون تأنٍّ أو ترو أو تأهب.

١٢- الاجتهاد فيما لا مجال فيه للاجتهاد.

١٣- عدم الثبات أمام مطامع الحياة الدنيا، وعند المحن والشدائد.

١٤- إهدار حقوق الأخوّة.

أسباب ضعف أو تلاشي الالتزام وعلاجها:

أ- عدم الفهم أو عدم الإدراك لأبعاد ومعالم الالتزام:

ذلك أن عدم الفهم أو عدم الإدراك لأبعاد ومعالم أي أمر من الأمور يؤدي إلى رفضه، بل ومعاداته، كما قال الله ﷻ: ﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ**﴾[يونس: ٣٩].

فلابد من الإدراك الذهني والانفعال القلبي مع الاستقامة والالتزام العملي حتى يتم الفهم الصحيح.

ب- الوسط الضعيف الالتزام أو غير الملتزم:

قد تلقي الأقدار بالمسلم في وسط ضعيف الالتزام، أو غير ملتزم بالمرة، فيأخذ في الاقتداء والتأسي، أو على الأقل في المحاكاة والمشابهة.

فمن هذه الناحية وجدنا تأكيد الإسلام على الأسوة والقدوة الطيبة، وذمه للأسوة والقدوة السيئة، إذ يقول سبحانه: ﴿**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً**﴾ [الأحزاب: ٣٠ - ٣١]. وقد جاء عن النبي ﷺ: "**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا**"[(١)].

(١) أخرجه مسلم في كتاب العلم: باب من سن سنة حسنة أو سيئة (٤/٢٠٦٠)(ح١٦)، عن أبي هريرة.

ج- ضعف الإيمان:

الإيمان هو مصدر الطاقات المتجددة، بل هو الحارس والحامي لصاحبه من أن يهمل أو يقصر، أو يصر على الأخطاء، إذ يقول النبي ﷺ لمن قال له: إنك تواصل يا رسول الله: "**وأيكم مثلي؟ إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني**"[(1)]، فقد بين جمهور علماء المسلمين المراد من هذا الكلام قائلين:

"قوله يطعمني ويسقيني، مجاز عن لازم الطعام والشراب، وهو القوة، فكأنه قال: يعطيني قوة الآكل والشارب، ويفيض علي ما يسد مسد الطعام والشراب، ويقوي علي أنواع الطاعة، من غير ضعف في القوة، ولا كلال في الإحساس.."[(2)].

وعليه، فإن المسلم إذا ترك هذا الإيمان بدون تجديد وتعهد، فإن جذوته تخبو أو تضعف في النفس، وتكون العاقبة ضعف أو تلاشي هذا الالتزام.

يقول ﷺ: "**إن الإيمان ليَخْلَق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب. فسلُوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبكم**"[(3)]، وقال: "**جددوا إيمانكم**". قيل: يا رسول الله، وكيف نجدد إيماننا؟ قال: "**أكثروا من قول لا إله إلا الله**"[(4)].

فعلى من ضعف إيمانه أن يتذكر لا إله إلا الله، ويتذكر معناها وما لها من شروط وأركان وواجبات وهذا هو المنهج الذي أرشد إليه الحبيب المصطفى ﷺ في قوله "**أكثروا من قول لا إله إلا الله**".

د- إقبال الدنيا والتعلق بها:

ذلك أنه: ﴿**مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**﴾ [الأحزاب: ٤]. وعليه

---

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الصوم: باب التنكيل لمن أراد الوصال (٢٥٢/٤) (ح ١٩٦٦)، ومسلم في كتاب الصيام: باب النهي عن الوصال في الصوم (٧٧٤/٢)(ح٥٧)، كلاهما عن أبي هريرة، واللفظ لمسلم.

(٢) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٢٠٧/٤ - ٢٠٨).

(٣) أخرجه أحمد (٣٥٩/٢)، عن أبي هريرة، وهو حديث صحيح.

(٤) أورده الهيثمي في المجمع (٥٢/١)، عن عبد الله بن عمرو، وعزاه للطبراني في الكبير وقال: إسناده حسن.

فإذا أقبلتْ الدنيا، وكان الاشتغال والتعلق بها لم يبق هناك وقت ولا طاقة ولا فكر يساعد على الالتزام، والالتزام الدقيق، وحينئذ يضعف أو يتلاشى الالتزام.

لذلك حذر الإسلام من التعلق بالدنيا فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِه وَلاَ مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِده شَيْئاً إنَّ وَعْدَ اللَّه حَقٌّ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُم باللَّه الغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]. ويقول النبي ﷺ: **"فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم"**(١).

وعلى من ابتلي بالإقبال على الدنيا والتعلق بها أن يلتزم ما ذكرناه من علاج لآفة اتباع الهوى عند ذكر سبب الركون إلى الدنيا.

هـ - المحن والشدائد:

وقد تكون المحن والشدائد في داخل الصف، أو من خارجه، هي السبب في ضعف أو تلاشي الالتزام، ذلك أن المحنة أو الشدة عندما تنزل بالإنسان فإنها تزلزل كيانه، لاسيما إذا كان نزولها خاليا من الترقب والاستعداد، وحينئذ يشغل بها عن دوره الحقيقي، ورسالته السامية، ويكون ضعف أو تلاشي الالتزام.

ولقد تحدث الإسلام عن المحنة وكيفية علاجها، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّه وَإِنَّا إِلَيْه رَاجِعُونَ أُوْلَئكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

وفي الحديث **"ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا همٍّ ولا حزن**

---

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الرقاق: باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها (٢٨٤/١١) (ح٦٤٢٥)، ومسلم في أول كتاب الزهد والرقاق (٢٢٧٣/٤)(ح٦)، كلاهما عن عمرو بن عوف.

ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه"[1].

فعلاج هذا السبب يتمثل في الصبر، وتذكر عظيم ثواب الله للصابرين القابضين على دينهم.

و- كثرة الأعباء مع طول ومشاق الطريق:

الإنسان طاقة، وإذا حُمّل عبئا فوق طاقته، فإنه ستأتي عليه لحظة يُسْقط بعضه أو كله عن كاهله، لاسيما إذا كان الطريق طويلاً وبه كثير من العقبات والمعوقات؛ لذلك لم يأل الإسلام جهدا في دعوته إلى الأخوّة أو الجماعة؛ إذ هي التي تشارك في حمل الأعباء وتجاوز طول ومشاق الطريق.

يقول الحق سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] ويقول النبي ﷺ: **"المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا"[2].**

ز- الأَبَوَان والأسرة:

قد يكون الأبوان والأسرة السبب في ضعف أو تلاشي الالتزام، ذلك أن بعض الآباء قد تحمله عاطفة الحب لولده على الحيلولة بين الولد والالتزام، لاسيما في هذا العصر الذي صار فيه الالتزام بالإسلام؛ بل والالتزام بالدعاة والعاملين لدين الله تهمة خطيرة تقود صاحبها إلى السجون والمعتقلات، فعلى الداعية أن يذكّر أسرته دائما وبلطف بأن أجل الله إذا جاء لا يؤخر، وبقصة موسى مع فرعون وغيرها، وبقوله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

---

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب المرضى: باب ما جاء في كفارة المرض (١٢٩/١٠)(ح ٥٦٤١- ٥٦٤٢)، ومسلم في كتاب البر والصلة: باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك (١٩٩٢/٤) (ح٥٢)، كلاهما عن أبي سعيد وأبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب المظالم: باب نصر المظلوم (١٢٢/٥)(ح٢٤٤٦)، ومسلم في كتاب البر والصلة: باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (١٩٩٩/٤) (ح٦٥)، كلاهما عن أبي موسى.

ح- الاستجابة للوساوس والشبهات الشيطانية:

الشيطان قاعد للإنسان - لاسيما المسلم- بالمرصاد، يوسوس بإلقاء الشبهات والأباطيل كي يصرفه عن طريق الله، أو على الأقل يجعل سَيْره في هذه الطريق محفوفا بالتضييع والتفريط، وحين يستجيب المسلم إلى هذه الوساوس، وتلك الشبهات، يُبتلى بضعف أو تلاشي الالتزام. قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الجَنَّةِ يَنــزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا﴾ [الأعراف: ٢٧]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢١٨].

وعلاج هذا أن يفيق من غفلته، ويعلم أن الشيطان يأمره بما يفسد حاله، وأنه يأمره بالمنكر والفحشاء، وكل ذلك عاقبته وخيمة في الدنيا الآخرة.

ط- عدم المتابعة من الآخرين:

الإنسان إذا شعر أن هناك إهمالا أو عدم متابعة له من الآخرين، فإن همته تفتر، وعزيمته تضعف، أما إذا كانت المتابعة المتمثلة في المساءلة والمجازاة، فإن الهمة تعلو، والإرادة تقوى، والعزيمة تشتد، ولقد كان النبي ﷺ يتابع أصحابه متابعة شديدة في كل تصرفاتهم وسلوكياتهم، وحسبنا هنا هذه الصورة من المتابعة:

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"من أصبح منكم اليوم صائما؟"**قال أبو بكر ﷺ: أنا، قال: **"فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ "** قال أبو بكر ﷺ:أنا، قال: **"فمن أطعم منكم اليوم مسكينا؟"** قال أبو بكر ﷺ: أنا، قال: **"فمن عاد منكم اليوم مريضا؟"** قال أبو بكر ﷺ: أنا، فقال رسول الله ﷺ: **"ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة"**[(١)].

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة: باب من جمع الصدقة وأعمال البر (٧١٣/٢)(ح٨٧).

خلاصة الفصل الثاني

- **آفة الفتور الدعوي**: هي داء يصيب العاملين في مجال العمل الدعوي: بالكسل، أو التراخي، أو الانقطاع أو السكون بعد النشاط الدائب والحركة المستمرة.

- **آفة الاستعجال**: هي إرادة تغيير الواقع الذي يحياه المسلمون اليوم في لمحة، أو في أقل من طرفة عين، دون نظر في العواقب، ودون فهم للظروف والملابسات المحيطة بهذا الواقع ودون إعداد جيد للمقدمات، أو للأساليب والوسائل.

- **آفة ضيق الأفق**: يقصد بها في الاصطلاح الدعوي ضعف أو خلل في البصيرة، يؤدي إلى حصر التفكير أو الرؤية في حدود ضيقة، لا تتجاوز المكان والزمان، دون النظر إلى البعيد، ودون تقدير الآثار والعواقب.

- **آفة فوضى الوقت**: هي خلط الأمور بعضها ببعض، والنظر إليها على أنها بدرجة واحدة من حيث الأهمية، والفائدة، مع عدم التوفيق بين الواجبات والأوقات.

- **آفة التطلع إلى الصدارة، وطلب الريادة**: هي تعلق القلب بالإمامة أو الريادة، وسؤال ذلك صراحة أو القعود عن القيام بالواجب.

- **آفة الغرور**: هي إعجاب العامل بنفسه إعجابا يصل إلى حد احتقار أو استصغار كل ما يصدر عن الآخرين بجنب ما يصدر عنه، ولكن دون النيل من ذواتهم أو الترفع على أشخاصهم.

- **آفة اتباع الهوى**: هي السير وراء ما تهوى النفس وتشتهي، والنزول على حكم العاطفة من غير تحكيم عقل أو رجوع إلى شرع وتقدير العاقبة.

- **آفة ضعف أو تلاشي الالتزام**: هي التقصير أو عدم الوفاء بما يتعهد به المسلم، أو يفرضه ويوجبه على نفسه من الصالحات، حين يرضى بالإسلام منهجاً وحياة، بل وحين يرضى أن يكون في صفوف الدعاة.

اختبار الفصل الثاني

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة(✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١- إذا لم يتحلَّ الداعية بالـجَلَد والصبر سرعان ما يفتر عن مواصلة دعوته.

٢- الغلوّ والتشدد في الدين لا يتصلان بآفة الفتور الدعوي.

٣- السرف ومجاوزة الحد في تعاطي المباحات من قبل الدعاة لا يشينهم.

٤- مفارقة العمل الجماعي وإيثار العزلة والتفرد صفات غير مرغوبة في الداعية.

٥- الاستعجال يعني إرادة تغيير الواقع الذي يحياه المسلمون اليوم في لمحة، وهي صفة طيبة في الداعية.

٦- الدافع النفسي وحده هو السبب في إصابة الدعاة بآفة الاستعجال.

٧- ضيق الأفق آفة من الآفات التي قد يصاب بها الدعاة.

٨- الانـــزواء والعزلة، وعدم الإلمام بواقع الأعداء وأسلوبهم في العمل سببه ضيق أفق الداعية.

١٠- ينبغي أن يكون هدف الدعاة الأول هو التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة.

١١- الغرور هو إعجاب العامل بنفسه إعجابا يصل إلى حد احتقار أو استصغار كل ما يصدر عن الآخرين بالنظر ما يصدر عنه.

١٢- ضعف المعرفة الحقة بالله وأهل السداد الآخر قد يصيب المرء بأثر اتباع الهوى.

١٣- من الأسباب المؤدية لإصابة الداعية بأمر ضعف الالتزام كثرة الأعباء مع طول مشاقّ الطريق.

١٤- الغرور واتباع الهوى وعدم الالتزام ليست من سمات الدعاة إلى الله تعالى.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

١- من الأمور التي تعد من أسباب آفة الفتور الدعويّ فقط:

أ- الغلو والتشدد في الدين. ب- مفارقة العمل الجماعي وإيثار العزلة.

ج- الإفراط في القراءة والمداومة عليها. د- ما ورد في أ، ب.

هـ- لا شيء مما سبق.

٢- من الآفات التي يسببها دخول جوف الداعية شيء من حرام أو شبهة آفة:

أ- الاستعجال. ب- ضيق الأفق.

ج- الفتور الدعوي. د- فوضى الوقت.

٣- من بين الأسباب المؤدية إلى إصابة الداعية بآفة الغرور:

أ- إهمال النفس من المراقبة والمحاسبة. ب- الغلوّ أو التشدد في الدين.

ج- الركون إلى الدنيا. د- جميع ما سبق.

٤- آفة اتباع الهوى تعني أن الداعية:

أ- يسير وراء ما تهوى النفس وتشتهي.

ب- النزول على حكم العاطفة وعدم تحكيم العقل.

ج- يقوم بتقدير العاقبة. د- لا يحكّم العقل.

هـ- ما ورد في أ، ب، د.

٥- جميع الأسباب التالية تصيب الداعية بآفة ضعف أو تلاشي الالتزام ما عدا:

أ- عدم الفهم أو عدم الإدراك لأبعاد ومعالم الالتزام.

ب- ضعف الإيمان.

ج- الغلو أو التشدد في الدين.

د- الاستجابة للوساوس والشبهات الشيطانية.

ثالثاً: أسئلة متنوعة:

١- تصور أنك جاءك أحد الدعاة الشباب كاسفا مهمومًا يشتكي لك من حالة كسل وتراخٍ أصابته، وبدأت حوارًا تحاول فيه إخراجه من حالة الكسل التي يعاني منها، مناقشا معه أسباب هذه الحالة مع وضع وسائل الوقاية والعلاج منها.

٢- اقرأ هذا الموقف التمثيلي ثم عقّب عليه بمحاورة مع المخطئ:

المشهد الأول:

أحد الدعاة يدعو شخصًا إلى طاعة الله؛ لأنه وجده على معصية.

المشهد الثاني:

نفس الداعية يقابل نفس الشخص بعد مدة قصيرة من دعوته له، ويجده على نفس المعصية، فما يكون من الداعية إلا أن يعنف هذا الشخص تعنيفًا شديدًا؛ لعدم استجابته للدعوة.

٣- ثارت مشكلة دعوية في الفترة الأخيرة، تسبب فيها مجموعة من شباب الدعاة عندما قاموا بأعمال دعوية ليس فيها تقدير للعواقب والآثار المترتبة على هذه الأعمال.

حاول أن تلتقي معهم وتحاورْهم وتناقشهم في الأسباب التي دفعتهم للقيام بهذه الأعمال على هذا النحو، مع محاورتهم في علاج هذه الأسباب.

٤- في لحظة من لحظات المراقبة والمحاسبة للنفس وجدت نفسك قد فرّطت في أوقات كثيرة، و لم تقم فيها بالواجبات الوقتية المطلوبة منك، صفْ لنا كيف ستحاسب نفسك، وما حديث نفسك الذي من خلاله ستعالج هذا الخلل؟

٥- وجدت أحد أصدقائك من الدعاة يطلب صراحة تارة وتلميحًا أخرى شَغْل منصب دعوي مع وجود غيره أكفأ منه.

فدعوْته لزيارتك في منـــزلك، وجلستما جلسة مصارحة، أردت فيها نُصْحه وعلاج الخلل الدعوي الذي يعاني منه. صفْ لنا هذه الجلسة وما دار فيها من حوار؟

٦- تحدث بالتفصيل عن آفة ضعف أو تلاشي الالتزام التي قد تصيب بعض الدعاة إلى الله موضحاً أسبابها وكيفية علاجها.

القراءات الإثرائية

المؤلف	الكتاب
د. محمد السيد نوح، دار الوفاء.	١- آفات على الطريق.
أبو الأعلى المودودي.	٢- تذكرة دعاة الإسلام.
أ.عبد الحميد البلالي، دار الوفاء.	٣- المصفى من صفات الدعاة.
د. علي عبد الحليم محمود، دار الوفاء.	٤- فقه الدعوة إلى الله.
د. عبد الله ناصح علوان، دار السلام.	٥- سلسلة مدرسة الدعاة.
أ . مفيد خالد، دار ابن حزم.	٦- العلاقة بين الفقه والدعوة.

النشاط التعليمي للوحدة الثانية

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول موضوعات هذه الوحدة عليك بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

تُردّ كثير من السلبيات الدعوية إلى خلل في التربية لدى الدعاة.

ناقش عددًا من المشاكل الدعوية وبيِّن صلتها بآفات الدعاة.

الوحدة الثالثة

علاقات الداعية

الوحدة الثالثة

علاقات الداعية بأصناف المدعوّين

مبررات دراسة الوحدة:

عزيزي الدارس: للداعية علاقات متعددة، وتختلف باختلاف المدعوين. والداعية الفَطِن يعرف كيف يعامل كلّ صنف بما يصلحه، ويحقق مصلحة الدعوة.

فمعرفة الداعية بأصناف المدعوين، وحدود علاقته بهم عنصرٌ مهم من عناصر البصيرة والحكمة في الدعوة إلى الله؛ لأن الداعية لا يكفيه أن يستخدم في دعوته إلى الله وسيلة حسنة أو أسلوبًا جيدًا، بل عليه أيضًا أن يوفّر لهذه الوسيلة وهذا الأسلوب صفة مناسبتهما للصنف الذي يدعوه من أصناف المدعوّين. ومن هنا تظهر أهمية دراسة علاقات الداعية بأصناف المدعوّين.

وفي هذه الوحدة عرض لعلاقات الداعية، وضوابط كل علاقة، وما يلزم فيها.

الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يُرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادراً على أن:

١- تقف على حقيقة وواقع علاقات الداعية بأصناف المدعوّين.

٢- تحدّد علاقة الملأ -منذ عهد الأنبياء السابقين، وحتى عصرنا هذا بالدعوة من حيث الكيد للدعوة، والصدّ عنها.

٣- توضح مدى تأثُّر جمهور الناس بالملأ في الدعوة إلى الله تعالى عبر التاريخ، وحتى يومنا هذا، مع ذكر أمثلة معاصرة لذلك في حدود علمك.

٤- تبين متى يوجد النفاق، وما هو أساسه، وأيهما أشد على الدعوة: المنافق أم الكافر؟ وعلامات النفاق، وصفات المنافقين.

٥- تقارن بين كلٍّ من الملأ وجمهور الناس والمنافقين والعصاة، مع ذكر موقف كل منهم من الدعوة إلى الله تعالى، ومناصرة الإسلام.

٦- تشارك أو تناقش مع زملائك: علاقةَ الداعية بأصناف المدعوّين.

علاقات الداعية بأصناف المدعوين

الملأ: كما قال المفسرون: الملأ هم أشراف القوم وقادهم ورؤساؤهم وساداهم وأصحاب النفوذ فيهم.

جمهور الناس: جمهور الناس هم معظم الناس، لأن جمهور كل شئ معظمه وأكثره، ويخرج عن هؤلاء الملأ لأنهم قلة.

المنافقين: المنافق في الاصطلاح الشرعي هو الذي يظهر غير ما يبطنه ويخفيه.

العصاة: العصاة هم من نطقوا بالشهادة لكنهم لا يقومون بحقوق هذه الشهادة.

الوحدة الثالثة: علاقات الداعية بأصناف المدعوّين(*)

مقدمة

الداعية إلى الله فرد من أفراد المجتمع المسلم، وهذا يحتّم عليه الارتباط بعلاقات مع أفراد هذا المجتمع على اختلاف وتنوّع أصنافهم.

بل وظيفة ومهمة الداعية إلى الله وهي تبصير الناس ودعوتهم إلى طريق الله -سبحانه وتعالى- تتطلب منه أن تكون له علاقات مع أفراد مجتمعه المسلم، ولكن هذه العلاقات لابد أن تكون لها ضوابط وحدود تحكمها.

في كلّ مجتمع يوجد سادة وأشراف لهم نفوذ فيه وقد يكون بأيديهم "سلطان وهؤلاء هم الصنف الأول من المدعوين، ويسميهم القرآن: ﴿الملأ﴾، وإزاء هؤلاء يوجد جمهور الناس وعامتهم، وهؤلاء هم الصنف الثاني من المدعوين، فإذا ما استجاب الناس إلى الدعوة إلى الله، ودخل الإيمان في قلوبهم، وصارت الغلبة للمؤمنين، وصار المجتمع إسلاميًّا أمكن عند ذاك ظهور صنف آخر يظهر الإسلام رياء ونفاقا، ويبطن الكفر، وهؤلاء هم المنافقون، وهم الصنف الثالث من أصناف المدعوين، كما أن من دخل في الإسلام قد يكون إسلامه ضعيفا وإيمانه رقيقا مما يجعل انـــزلاقه إلى المعاصي سهلا، وهؤلاء هم العصاة، ويكوّنون الصنف الرابع من أصناف المدعوين.

ويمكن تفصيل الكلام عن هذه الأصناف وضوابط علاقة الداعية بهم في المباحث الآتية:

المبحث الأول: "الملأ"

تعريف "الملأ":

يستعمل القرآن الكريم كلمة "المَلأ" في قَصَصِه عن الرسل الكرام، وما جرى لهم مع أقوامهم.

و﴿المَلأ﴾ كما يقول المفسّرون: هم أشراف القوم وقادتهم ورؤساؤهم

(*) استفيد هذه الوحدة من كتاب أصول الدعوة، للدكتور عبد الكريم زيدان.

وساداتهم[1]. فهم -إذن-: البارزون في المجتمع وأصحاب النفوذ فيه الذين يعتبرهم الناس أشرافا وسادة، أو يعتبرون -حسب مفاهيم المجتمع وقِيَمِه- أشرافَ المجتمع وسادته، ومن ثَمَّ يستحقون -في عرف الناس- قيادة المجتمع والزعامة والرئاسة فيه، وقد يباشرون ذلك فعلا.

وإطلاق كلمة "الملأ" على هؤلاء في القرآن الكريم بهذا المعنى، هو من قبيل بيان الواقع، لا من قبيل بيان استحقاقهم فعلاً للشرف والسيادة والقيادة والرئاسة، ويشبه هذا الإطلاق ما ورد في رسائل النبي ﷺ إلى رؤساء فارس والروم ومصر، فقد جاء في بعض هذه الرسائل مخاطبة الرسول الكريم ﷺ رئيس الروم بعبارة: "**إلى عظيم الروم**"[2]، فإطلاق هذه العبارة على رئيس الروم من قبيل بيان واقعه، وهو أنه عظيم في نظر الروم لرئاسته لهم، وليس بيانًا لاستحقاقه هذا الوصف.

"الملأ" والدعوة إلى الله:

الوصف الغالب على الملأ -من كل قوم-: معاداتهم للدعوة إلى الله تعالى، فقد قاوموا دعوة الرسل الكرام إلى الله تعالى، وكانوا هم الذين يتولون كِبَرَ المقاومة الأثيمة للدعوة إلى الله تعالى، ويقودون حملة الكذب والافتراء والتضليل ضد أنبياء الله تعالى، يدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِن نَذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ**﴾ [سبأ: ٣٥]. يخبر الله -سبحانه وتعالى- في هذه الآية الكريمة رسوله محمدا ﷺ مسليا له أنه ما أرسل من رسول إلى قرية إلا قال

(١) تفسير القرطبي (٢٣٤/٣، ٢٢٣، ١٢١/١٢)، وتفسير ابن كثير (٢٢٣/٢).

(٢) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب بدء الوحي: باب (٦) (٤٠/١) (ح٧)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير: باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام (١٣٩٣/٣) (ح٧٤)، في قصة أبي سفيان مع هرقل.

مترفوها - وهم أولو القوة والحشمة والثـــروة والترف والرياسة، وقادة الناس في الشر: لا نؤمن به ولا نتبعه[1].

وقال تعالى عن نـــوح الطَّيْلا: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: ٥٩ ــ٦٠]، فالملأ من قوم نوح هم الذين تصدَّوْا للدعوة إلى الله، وهم الذين نسبوا نبيهم إلى الضلال المبين، وهذا من أعظم الظلم والصد عن سبيل الله إذ يوصف الحق الذي جاء به نوح من ربه بالضلال. ولكن هذا هو منطق "الملأ"، وكذلك كان موقف "الملأ" من قريش من دعوة رسول الله ﷺ قاوموا هذه الدعوة المباركة، وآذوْا رسول الله ﷺ، ورموْه بالكذب، وتآمروا عليه، قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ﴾ [ص: ٤ - ٧]. و"الملأ" في الآية الكريمة: هم سادة قريش وقادتها ورؤساؤها وكبراؤها، قالوا لقومهم: استمروا على دينكم، ولا تستجيبوا لما يدعوكم إليه محمد ﷺ من التوحيد[2].

وفي السيرة النبوية الشيء الكثير عن موقف "الملأ" من قريش وغيرهم من الدعوة إلى الله التي بلّغهم إياها الرسول الكريم ﷺ، من ذلك: ما ذكره ابن هشام في سيرته من أن الرسول ﷺ كان يخرج إلى القبائل ويدعوها إلى الله تعالى، وكـــان يمشي وراءه أبو لهب -وهو من أشراف قريش- ويقول للناس: لا تطيعوه ولا تسمعوا منه[3]، وكذلك عندما خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف، واجتمع بنفر منهم

(١) تفسير ابن كثير (٥٤٠/٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٢٧/٤).

(٣) أخرجه ابن حبان كما في الإحسان: كتاب التاريخ: باب كتب النبي ﷺ (٥١٧/١٤) (ح٦٥٦٢)، وابن خزيمة في كتاب الوضوء: باب ذكر الدليل على أن الكعبين اللذين أُمر امتوضئ بغسل الرجلين إليهما (٨٢/١) (ح١٥٩)، كلاهما من حديث طويل.

-وهم يومئذ سادة ثقيف وأشرافها- ردوه أقبح رد، و لم يكتفوا بذلك وإنما أغروْا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس[1].

أسباب عداوة الملأ للدعوة إلى الله:

من التأمل في الآيات المسوقة في قصص الأنبياء وما جرى لهم مع أقوامهم تظهر لنا أسباب مخاصمة "الملأ" للرسل الكرام، وعداوتهم لهم، ورفضهم دعوتهم، ومن أهم هذه الأسباب: الكبر الذي تغلغل في نفوسهم، وحبهم الرياسة والجاه، والجهالات التي حسبوها أدلة ويقينيات.

ونتكلم فيما يلي عن كل سبب مع ما ورد بشأنه من آيات وآثار:

أ- الكبر:

الكبر خلق ذميم وآفة عظيمة وخاصة إذا استقرت في النفس، وتظهر آثاره في الخارج بأشكال مختلفة، وفي مواقف متعددة، فمن آثاره: عدم رؤية الحق في غالب الأحيان، أو رؤيته ولكن الكبر يمنع من الاعتراف به، والانقياد له، كما يمنع الاعتراف بالفضل لأولي الفضل، ويمنع المتكبر من الرؤية الصحيحة لقدر نفسه، فيراها فوق أقدار الناس فيستنكف أن يكون معهم أو تابعا لأحد منهم، وقد يقترن الحسد مع الكبر فيزيد من آثاره سوءا وصدودا عن الحق وجحدا له، ومحاربة لأهله وعداوة لهم.

ومن الآيات الدالة على صفة الكبر في "الملأ"، وما أدت إليه من نتائج غاية في السوء والقبح: قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً﴾ [النمل:١٤]، ففرعون وقومه أنكروا نبوة موسى عليه السلام مع أن نفوسهم أيقنت بها، وكان الحامل لهم على إنكارها ظلمهم وتكبرهم على موسى عليه السلام.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ إِلَى

---

(١) سيرة ابن هشام مع الروض الأنف: (٢/١٧٢-١٧٣) وتاريخ الطبري (١/٥٥٤).

فِرْعَوْنَ وَمَلَئِه فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً عَالِينَ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾[المؤمنون:٤٥-٤٨]، ففرعون وملأه استكبروا عن اتباع الحق فجحدوه، وجاءوا بهذه الجهالات تبريرًا لكفرهم، وفرعون هذا هو الذي أدى به كبره إلى ادعاء الألوهية وشيء من الربوبية قال تعالى مخبرا عنه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾[القصص: ٣٨]، و ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾[النازعات: ٢٤]..

وقال تعالى في قصة نوح مع قومه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾[الأعراف:٥٩-٦٠]، "فالملأ" مع رؤيتهم الحق الذي جاءهم به نوح فقد رأوه ضلالا، ونوره ظلاما، وادعوا أن هذا الضلال بَيِّنٌ -أي: ظاهر واضح- وهو في الحقيقة دليل عى عماهم، وعدم رؤيتهم الحق الذي أدى بهم إلى هذا الادعاء، وبالتالي إلى هلاكهم، قال تعالى مخبرا عن عاقبتهم: ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً عَمِينَ﴾ [الأعراف:٦٤].

وفي السيرة النبوية: أن "الملأ" من قريش قالوا لرسول الله ﷺ: لا نرضى أن نكون مع هؤلاء -يعنون ضعفاء المسلمين، صهيب وعمار وبلال وخباب- فاطردهم عنك، ولا تبقهم في مجلسك إذا دخلنا عليك، فإذا فرغنا من الحديث معك والسماع منك وخرجنا، فأدخلهم إن شئت؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾[الكهف: ٢٨].

وقال تعالى عن المتكبرين عن رسالة الإسلام والإيمان بمحمد ﷺ ﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[الزخرف:٣١-٣٢].

ومعنى هذه الآية الكريمة: أن المعترضين على القرآن الكريم المتكبرين عن الإيمان به والتصديق بنبوة محمد ﷺ قالوا: هلا كان إنـــزال القرآن على رجل كبير -في أعينهم- من القريتين -مكة والطائف-، وعن ابن عباس: يعنون بالرجل العظيم جبارا من جبابرة قريش[1]، فهم بدافع كبرهم النفسي يستصغرون شأن الرسول ﷺ، ولا يرونه أهلاً للرسالة، وأنهم أو غيرهم من الكبراء هم المستحقون للرسالة وتنـــزل الوحي، ورد الله عليهم قولهم بأن الأمر بيد الله، والله أعلم حيث يجعل رسالته.

ب- حب الرياسة والجاه:

"والملأ" يحبون الرياسة والجاه والتسلط على رقاب العباد؛ ولذلك فهم يعارضون كل دعوة تسلبهم مكانتهم بين الناس، وتجعلهم تابعين كبقية الناس. وهم يتصورون أن قبولهم الدعوة إلى الله يسلبهم جاههم وسلطانهم؛ ولذلك يقاومونها ويعادونها، ويأتون بالأباطيل لتبرير عداوتهم.

ومن الآيات الدالة على حبهم للرياسة والجاه، وأن هذا الحب كان من أسباب رفضهم دعوة الحق إلى الله تعالى ما جاء في قصة نوح عليه السلام قال تعالى: ﴿**فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَنـــزَلَ مَلائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ**﴾[المؤمنون:٢٤].

"فالملأ" دفاعا عن رياستهم على الناس وتسلطهم عليهم يقولون لقومهم: إن نوحا بدعوته هذه يريد أن يتفضل عليكم -أي: يترفع ويتعاظم عليكم ويترأس عليكم- ويريد الملأ بهذا الادعاء صرف الناس عن نوح عليه السلام لتبقى سيطرتهم ورياستهم عليهم.

والحقيقة أن رسل الله لا يريدون علوًّا في الأرض ولا فسادا ولا رياسة ولا

(١) تفسير ابن كثير (٤/١٢٦/١٢٧).

تعاظما، وإنما هم بطبيعة دعوتهم يصيرون أئمة للناس، وتصير لهم الرياسة، ولكن ليست هي مثل رياسة أولئك "الملأ" المتكبرين على الله.

فقد قال تعالى عن فرعون وملئه: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً مُّجْرِمِينَ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾[يونس:٧٦-٧٨].

ففرعون وملأه استكبروا عن اتباع الحق والانقياد له، وكانوا قوما مجرمين، ثم برروا استكبارهم عن الحق بالادعاء بأن موسى وهارون يريدان ثنيهم عن الدين الذي كان عليه آباؤهم، أو أنهما يريدان أن تكون لهما الكبرياء -أيْ: العظمة والرياسة والعلو في الأرض- ولهذا اتهموا موسى وهارون بحب الرياسة؛ لأن فرعون يظن أن القصد من دعوتهما هو ذلك، أو أن مآل دعوتهما ذهاب رياسته على الناس.

ج- الجهالة:

و"الملأ" غارق في الجهالة، ولا يشعر بجهالته فهو يكفر بربه، ويرد دعوته الكريمة التي بعث بها رسله إلى الناس، ويصفها بأنها ضلال، ويرمي مبلغيها - وهم الرسل الكرام - بالسفاهة وخفة العقل، ويحرض الدهماء عليهم، ويكيد ضدهم، ويعاديهم، ويستغرب من دعوتهم، ويدعي أن آية كذب الرسول أنه من البشر، وأنهم - أي "الملأ" - أولى بالرسالة ممن أرسلوا؛ لأنهم - "الملأ" - أكثر مالا وأعز نفرا؛ وأن الرسل الكرام يريدون تحويلهم عن ملة آبائهم، ويأتونهم بدين جديد ما سمعوا به من قبل؛ وأنهم - أي: "الملأ" - يسخرون ويستهزئون بالمؤمنين زاعمين أنهم لا يفهمون ولا يعلمون؛ ولهذا اتبعوا الدعوة إلى الله، واتبعوا رسل الله بلا روية ولا تمحيص ولا تأمل، بينما هم لم يفعلوا ذلك؛ لأنهم سادة

أشراف يفهمون ويعقلون ويدركون.

وأنهم يحسبون الأنبياء الكرام مفسدين في الأرض، وأنهم - أي: "الملأ" - هم المصلحون المدافعون عن دين الناس وحقوقهم، وأنهم في سبيل هذا الدفاع سيحاربون الأنبياء والدعاة إلى الله تعالى.

وهذه بعض آثار جهالتهم وحماقتهم أخبرنا الله تعالى بها في آيات كثيرة، وهي من أسباب ضلالهم وحماقاتهم، وعدم انتفاعهم بهدي الله تعالى، فمن ذلك:

قال تعالى عن قوم نوح: ﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾[هود:٢٧]. فهم لجهالتهم، يقولون لنبيهم نوح ﷺ: لست بملك ولكنك بشر، فكيف أوحي إليك من دوننا؟، ثم ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا و لم يتبعك الأشراف ولا الرؤساء منا. وهذا كله من جهالتهم وإلا لو كان لهم عقل لعلموا أنه لابد أن يكون الرسول من البشر حتى يمكن أن يخاطبهم، ويمكن لهم أن يفهموه، كما أنهم لو كان لهم عقل سليم لعلموا أن الحرمان والفقر والضعف لا علاقة لشيء منها بـأمور الديانة، وأن الضعفاء والفقراء باتباعهم الحق يبرهنون على حسن إدراكهم وصفاء نفوسهم.

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[الزخرف: ٢٣]. والمترفون هم "الملأ" وجوابهم على دعوة رسل الله أنهم وجدوا آباءهم على ملة ودين، وأنهم مقتفون أثرهم، لا يحيدون عن ذلك، وهذا من جهلهم؛ لأن الباطل لا يُتابع، وأن الحق أحق أن يتبع، وهذا التقليد الذميم للباطل القديم الذي كان عليه الآباء والأجداد من أعظم أسباب التمرد على الحق، قال تعالى في داء التقليد الذميم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنــزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا

أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾[البقرة: ١٧٠].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ المَلأُ من قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾[الأعراف: ١٢٧]. فـ"الملأ" من قوم فرعون يعتبرون موسى نبي الله والداعي إليه وأتباعه المؤمنين مفسدين في الأرض، ويؤلبون فرعون على مقاومتهم، والقضاء عليهم؛ لأن جهلهم مع كبرهم وحبهم للرياسة والجاه جعلهم يعتبرون موسى مفسدا في الأرض.

"الملأ" هم "الملأ" في كل مكان وزمان:

والملأ بأوصافهم وأخلاقهم التي بيّنها القرآن الكريم يوجدون في كل مجتمع، وفي كل مكان وزمان؛ ولهذا فهم يقفون غالبا في وجه كل دعوة إلى الله تعالى، ويحاربونها بدافع من الكبر الذي يغشى نفوسهم، وبدافع حب الرياسة على الناس وخوفهم من أن تسلبهم هذه الدعوة لإصلاحية مركزهم ومكانتهم وترفهم.

ومما يدلّ على بقاء "الملأ" في كل زمان ومكان معارضين لكل دعوة طيبة خيرة تريد الإصلاح، وإيصال الناس إلى خالقهم، أن الدوافع التي دفعت "الملأ" من الأقوام الماضية إلى محاربة رسل الله والدعوة إليه هي نفسها التي توجد في نفوس الكبراء والمترفين، فالكبر يعلق في انفوس المريضة، والحرص على الرياسة والجاه والمنـــزلة موجود في النفوس، وإنما ينقمع بالإيمان، والجهل يخيم على مثل هذه النفوس التي تعشق العلو في الأرض والترف في الحياة، وإذا ما دخل أصل الإيمان في نفوس السادة والكبراء والأشراف، فإن هذا الإيمان يبقى ضعيفا، لا يقوى على منعهم من الصد عن سبيل الله، ولا عن محاربة الدعاة إلى الله تعالى بشبهات واهية من جنس شبهات "الملأ" القدامى الذين حاربوا رسل الله، وصدوا عن دعوتهم المباركة، وقد تنبه المفسرون إلى أن "الملأ" يبقون معارضين للدعوة إلى الله، فقد جاء في تفسير ابن

كثير عند ذكر قوله تعالى: ﴿قَالَ المَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾[الأعراف: ٦٠]. قال: "وهكذا حال الفجّار إنما يرون الأبرار في ضلالة"(١). وقال أيضا في مكان آخر من تفسيره: "ثم الواقع -غالبا- أن مَنْ يتبع الحق ضعفاء الناس، والغالب على الأشراف والكبراء مخالفته"(٢) ونحوه في تفسير القرطبي(٣).

المبحث الثاني: جمهور الناس:

تعريف "جمهور الناس":

نريد من قولنا "جمهور الناس": معظمهم؛ لأن جمهور كل شيء معظمه وأكثره، والمقصود بمعظم الناس ما عدا "الملأ"، وقد تكلمنا عن "الملأ" وهم عادة قلة، أما ما عداهم فهم أكثرية الناس في أيِّ مجتمع بشري.

وهؤلاء الجمهور يكونون عادة مرؤوسين للملأ وتابعين لهم، كما يكونون -غالبا- فقراء وضعفاء، ويباشرون مختلف الأعمال والحرف.

الجمهور أسرع من غيرهم إلى الاستجابة:

الجمهور أسرع من غيرهم إلى الاستجابة إلى الحق؛ فهم أتباع رسل الله، يصدقونهم ويؤمنون بهم قبل غيرهم، كما قال هرقل لأبي سفيان يوم اجتمع به في الشام لما سمع هرقل بأنه من مكة، فأراد أن يسأل عن أخبار النبي ﷺ، قال هرقل: "أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقال أبو سفيان: بل ضعفاؤهم، فقال هرقل: هم أتباع الرسل"(٤). والواقع أن أتباع رسل الله كانوا من جمهور الناس، وقد مرَّ في بحثنا عن "الملأ" كيف قالوا لنوح عليه السلام: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾[هود: ٢٧]،

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٤٤٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٤٤١).

(٣) تفسير القرطبي (١٥/١٥٠).

(٤) تقدم تخريجه.

وقول "الملأ" من ثمود -كما حكاه الله تعالى عنهم: ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف: ٧٥]، وكذلك كان أتباع نبينا محمد ﷺ في مكة من الضعفاء وقد نالهم من المشركين أذىً كثير[١].

والجمهور في كل وقت أسرع من غيرهم إلى قبول الحق، قال ابن كثير في تفسيره "ثم الواقع -غالبا- أن من يتبع الحق ضعفاء الناس"[٢].

- تعليل سرعة استجابة الجمهور للحق:

وتعليل سرعة استجابة الجمهور للحق، وقبول الدعوة إلى الله: أنهم خالون من موانع القبول الموجودة في "الملأ" كحب الرياسة والتسلط، والأنفة من الانقياد للغير لكبرهم النفسي، وبالتالي يكونون أسرع إلى الإجابة للحق والانقياد له من غيرهم، وهذا التعليل أشار إليه القرطبي في تفسيره كما سبق أن بيّناه.

والواقع أن الكبر وحب الرياسة والانغماس في الترف ونحو ذلك مما لا ينفك عنه "الملأ" -غالبا- يجعل انفكاكهم عن هذه الموانع صعبا، وبالتالي تكون قلوبهم في أكنة لا تتأثر بالحق، وعلى عيونهم غشاوة لا ترى الحق، فتندفع إلى معاداته عن جهل، وبدافع الحرص على مكانتهم، كما بينا هذا من قبل.

احتمال تأثر الجمهور "بالملأ":

ومع أن الجمهور مهيأ للاستجابة السريعة أكثر من غيره، وأن فرص الإيمان أمامه كثيرة، وأن فطرته سليمة، فإن هناك احتمالا لتأثر الجمهور بمكائد "الملأ"، والسير وراء تضليلهم وأكاذيبهم كما حصل لقوم فرعون، فقد تابعوه على باطله، وناصروه عليه، قال تعالى عنه وعنهم: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ

(١) راجع نماذج من ذلك في سيرة ابن هشام (١/٣٣٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٤٤٢).

﴿كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ﴾[الزخرف: ٥٤]. وفي تفسير ابن كثير: "استخف عقولهم فدعاهم إلى الضلالة فاستجابوا له"(١). والظاهر أن فتنة فرعون كانت عظيمة؛ فقد جمع بين الملك والرئاسة والأعوان والأموال، مع فراغ قلوب قومه من العلم النافع والهدى العاصم والعقل الراجح، فوقعوا في فتنته وأباطيله التي كان يحتج بها في رد دعوة موسى عليه السلام: ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾[هود: ٩٧].

وقال تعالى عن إغواء السادة والكبراء للضعفاء وهم "الجمهور": ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلاَ أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلاَلَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[سبأ:٣١-٣٣].

- لماذا يتأثر الجمهور "بالملأ"

الجمهور أكثر استجابة للحق من غيرهم، ومع ذلك فإن هناك احتمالاً لتأثر الجمهور "بالملأ" وباطله، فلماذا يكون هذا التأثر بالباطل مع وضوح الحق، وعدم وجود الموانع للاستجابة عند الجمهور؟.

الجواب على ذلك يرجع إلى جملة أسباب، منها:

أ- الخوف:

لا شك أن "الملأ" الكافر بيده القوة والنفوذ والمال، ويستطيع أن يرهب الجمهور ويخوفهم إن خرجوا عن الكفر الذي هم فيه. وهذا الخوف يثبّط الهمم والعزائم عند أكثر الجمهور؛ طلبا لسلامة أنفسهم من الأذى، قال تعالى: ﴿فَمَا

(١) تفسير ابن كثير (١٠٣/٤).

ءامَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾[يونس: ٨٣]. فالخوف من بطش فرعون وملئه منع أكثر الجمهور من الإيمان به، ولم يؤمن به إلا قلة منهم وهم خائفون أن يصيبهم بطش فرعون. صحيح أن قلة من الجمهور لا يخيفهم التهديد والوعيد بإنــزال العذاب الشديد إن آمنوا بالحق فيعلنوا إيمانهم غير هيابين ولا وجلين، كما حصل لسحرة مــوسى عندما أعلنوا إيمانهم بمــوسى وبدعوته الحق وبربهم -سبحانه وتعالى- ولم يلتفتوا إلى تهديد فرعون لهم بالصلب والقتل وقالوا له: ﴿لاَ ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الشعراء:٥٠-٥١]. وكذلك أصحاب الأخدود آمنوا بالرغم من العذاب الشديد. ولكن هؤلاء قلة من "الجمهور"، والكثير منهم يتأثرون بالخوف من "الملأ" فلا يقدمون على الإيمان، ثم يطول عليهم الأمد، ويألفون الكفر فيرضونه طائعين.

ب- الإغراء بالمال وحطام الدنيا:

إن "الملأ" يملكون المال وحطام الدنيا، ويلوحون به إلى الجمهور إن تابعوهم على باطلهم، ورضوا بقيادتهم لهم، ويشير إلى ذلك قوله تعالى عن قوم نوح: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا ﴾[نوح:٢١]. فإنهم اتبعوا ساداتهم وكبراءهم أصحاب الرئاسة والأموال على أمل الحصول على شيء من أموالهم، وفي قوله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَاقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١]، إشارة إلى إغراء فرعون للجمهور بما يملكه من مال وأسباب الحياة المادية، وأنه يعطيها من يوافقه على باطله أو يهيئ له فرصة الاستفادة منها.

وفي السيرة النبوية: أن أشراف قريش عرضوا على رسول الله ﷺ المال

الكثير يعطونه له إذا ترك دعوته[1]، مما يدل على أن "الملأ" يغرون الناس بالمال إعطاء أو منعا لصدهم عن الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى.

ج- الشبهات:

"والملأ" لا يكتفي بالقوة والبطش والتخويف لصد الجمهور عن دعوة الحق، وإنما يسلك معهم سبيل الشبهات، وهذه الشبهات أنواع كثيرة منها: رمي الداعي إلى الله بالجنون والضلال والسفاهة، وقد ذكرنا بعض الآيات الكريمة عن قوم نوح وهود ومنها ما قاله "الملأ" عن نوح: ﴿قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾[الأعراف: ٦٠] وعن هود: ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[الأعراف: ٦٦].

ومن شبهاتهم: قولهم: إن الرسول بشر، وما ينبغي -في زعمهم- أن يكون الرسول من البشر، ﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِثْلَنَا﴾[هود: ٢٧].

ومن شبهاتهم: أن "الملأ" في مقاومتهم دعوة الحق يريدون حماية عقيدة الناس ومصالحهم ودفع الفساد عنهم، قال تعالى عن مثل هذه الشبهة القديمة في "الملأ" المتجددة في كل زمان: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾[غافر: ٢٦].

ومثل هذا كان يقوله "الملأ" من قريش: إن الرسول ﷺ يريد إفساد عقيدتهم وتسفيه آلهتهم؛ ولهذا فهم يقاومونه[2].

ومن شبهاتهم: أن لهم الأموال الكثيرة والجاه والسلطان، وأن هذا دليل على أحقيتهم وصلاحهم؛ ولهذا فهم خير من الداعي ولو كان رسولا.

---

(١) انظر سيرة ابن هشام مع الروض الأنف (٢/ ٤٦).

(٢) انظر ما قاله أبو جهل في سيرة ابن هشام (٢/ ٣٨).

المبحث الثالث: المنافقون

تعريف المنافق:

المنافق في الاصطلاح الشرعي: هو الذي يظهر غير ما يبطنه ويخفيه، فإن كان الذي يخفيه التكذيب بأصول الإيمان فهو المنافق الخالص وحكمه في الآخرة حكم الكافر، وقد يـــزيد عليه في العذاب لخداعه المؤمنين بما يظهره لهم من الإسلام قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾[النساء:١٤٥]. وإن كان الذي يخفيه غير الكفر بالله وكتابه ورسوله، وإنما هو شيء من المعصية لله فهو الذي فيه شعبة أو أكثر من شعب النفاق.

والذي نريد أن نتكلم عنه في هذا المبحث هو المنافق الخالص الذي يخفي كفره وتكذيبه لله ولكتابه ولرسوله، ومع هذا فإننا سنذكر بعض صفات هؤلاء المنافقين؛ ليتعظ، ويعتبر المسلم؛ فقد يكون فيه من صفات المنافقين وهو لا يشعر، ولأنه من الجائز أن تعلو كلمة الله، ويدخل الناس في دين الله أفواجا، وتُستأصل قوة الكفر، ويذهب سلطان الكافرين، وتكون القوة والمنعة للمسلمين، عند ذاك يمكن أن يوجد المنافقون الذين لم يؤمنوا مع المؤمنين، ولم يبقوا على كفرهم ظاهرين معروفين مع الكافرين خوفا من سطوة المسلمين، فيبطنوا الكفر ويظهروا الإسلام. وعلى هذا فالنفاق لا يوجد إذا كانت الغلبة والسطوة والسلطة للكفار؛ لأنه لا خوف في هذه الحالة من إظهار الكفر والتمرد على الإسلام؛ ولهذا لم يكن أحد من المسلمين منافقا في مكة قبل الهجرة إلى المدينة؛ لأن المسلمين كانوا قلة مستضعفين لا حول لهم ولا قوة ولا سلطان، وإنما السلطان لكفار قريش، ولكن بعد أن هاجر النبي ﷺ والمسلمون إلى المدينة، وصار للمسلمين قوة وسلطان، وانتشر الإسلام في المدينة، ظهر النفاق والمنافقون.

- أساس النفاق:

وأساس النفاق الكفر والجبن، أما الكفر: فهو ما يبطنه المنافق، وأما الجبن: فهو الذي يجعل المنافق يُظهر خلاف ما يبطنه من الكفر؛ ولهذا لا يكون المنافق إلا جبانًا ضعيف القلب يحسن الكيد والمواربة والعمل في الظلام، وإذا لقي المؤمنين أظهر لهم نفسه كأنه مؤمن، قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾[البقرة:١٤]، فهم لجبنهم يقولون: إننا مؤمنون، وإذا خلوا إلى قرنائهم من المنافقين والكاذبين قالوا: نحن نستهزئ بالمؤمنين بقولنا لهم: إننا مؤمنون.

- المنافق أسوأ من الكافر:

والمنافق أضر وأسوأ من الكافر؛ لأنه ساواه في الكفر، وفاقه بالخداع والتضليل وإمكان تسلله في صفوف المسلمين، فيكون إيذاؤه شديدًا والحذر منه قليلا، بخلاف الكافر الذي لا يحصل فيه الاشتباه، ولا يمكن أن يخدع المسلمين بحقيقته الظاهرة.

- علامات النفاق:

وإذا كان النفاق يقوم على الكفر الباطن، والأصل خفاء ما في القلوب، فإن السبيل إلى معرفة المنافق هو ظهور علامات النفاق عليه، فإذا ما ظهرت هذه العلامات حذره المسلمون، وتوقوا شره سواء أكان من المنافقين الخالصين -أي الذين يخفون تكذيب الله ورسوله- أم كان من الذين عندهم أصل التصديق بالله ورسوله ولكن شاب تصديقَه بعضُ معاني النفاق، واتصف ببعض صفات المنافقين، فمن ظهرت عليه صفات المنافقين عومل معاملة المنافقين بقدر ما ظهر فيه من صفاتهم، سواء أكان عنده أصل الإيمان بالله ورسوله، أم لم يكن عنده هذا الأصل.

وعلامات المنافق تعرف من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لا بما يتعارف عليه الناس؛ لأنهم يعتبرون بعض هذه العلامات من لوازم المجاملة، أو من حسن الآداب

والأخلاق، وكل هذه التبريرات لصفات النفاق والمنافقين لا تغير من الحقيقة شيئا؛ لأن العبرة بالمسميات لا بالأسماء، فإن حقيقة الشيء تبقى هي هي وإن غير الناس اسم هذا الشيء. فما هي علامات المنافق وصفاته؟

علامات المنافق وصفاته:

أ- مرض القلب:

قال تعالى ﴿**فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾[البقرة:١٠]. ومرض القلب نوع من الفساد يصيب القلب، فيختل إدراك صاحبه وإرادته حتى لا يرى الحق، أو يراه على خلاف ما هو عليه، وتختل إرادته بحيث يبغض الحق النافع، ويحب الباطل الضار. ومريض القلب يؤذيه ما لا يؤذي صحيح القلب فأدنى شيء يثير شهوته، قال تعالى: ﴿**فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ**﴾[الأحزاب: ٣٢]، فالخضوع بالقول يثير شهوة صاحب القلب الفاسد المريض، بينما صاحب القلب الصحيح لو تعرضت له امرأة لم يلتفت إليها، وقصة يوسف عليه السلام معروفة، وكذلك الحال في الشبهات فأدنى شبهة تثير الشكوك في صاحب القلب المريض، وأدنى فتنة تزلزل قدميه، وترده على عقبيه، قال تعالى: ﴿**لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ**﴾[الحج:٥٣].

والمنافق له النصيب الأكبر من مرض القلب، إذا كان منافقا خالصا، وله نصيب غير قليل إذا كان عنده أصل الإيمان، ولكنه متصف بصفات أهل النفاق.

ب- الإفساد في الأرض:

قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَ يَشْعُرُونَ**﴾[البقرة:١١-١٢]، فهم يفسدون ولا يشعرون أنهم مفسدون، بل ويحسبون أنفسهم من المصلحين، والفساد هو الكفر قولا وعملا، وعمل المعصية والأمر بها؛ لأن مَنْ عصى الله في الأرض أو أمر بالمعصية فقد أفسد في الأرض؛ لأن صلاح الأرض بالطاعة وفسادها بالمعصية.

وفساد المنافقين كفرهم، وشكهم، وتكذيبهم، ومخادعتهم الله ورسوله والمؤمنين، وموالاتهم لأعداء الدين، ومحاربتهم لأولياء الله والداعين إليه... إلى غير ذلك مما يتبين من صفاتهم.

ج- رميهم المؤمنين بالسفه:

قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾[البقرة: ١٣]. والسفيه: هو الجاهل الضعيف الرأي القليل المعرفة بمواضع المصالح والمضار[١]، ولكن الحقيقة كما أخبر الله تعالى أنهم هم السفهاء، فالسفاهة محصورة بهم وبأمثالهم من الكفرة، ولكن من تمام جهلهم أنهم لا يعرفون ما فيهم من الضلالة والجهالة.

د- اللدد في الخصومة والعزة بالإثم:

قال تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾[البقرة:٢٠٤-٢٠٦]. فالمنافق يأتي بالقول الجيد يتشدق به، ويلوي لسانه به، ويظهر الإسلام، ويشهد الله والمؤمنين أن الذي في قلبه موافق للسانه، وهو ألد الخصام -أي: أعوج في خصامه- ووجه هذا العوج أنه يكذب ويزور عن الحق ويفتري ويفجر، كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: "**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**"[٢]. وهو مع هذا يقصد الفساد في الأرض؛ فليس له همة إلا في الفساد في الأرض وإهلاك ما ينفع الناس من حرث ونسل، وإذا قيل له: اتق الله،

---

(١) تفسير ابن كثير (١/٥٠).

(٢) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الإيمان: باب علامة المنافق (١/١١٣)(ح٣٤)، ومسلم في كتاب الإيمان: باب بيان خصال المنافق (١/٧٨)(ح١٠٦)، كلاهما عن ابن عمرو.

واترك ما أنت فيه من قول فاجر وسعي فاسد، وارجع إلى الحق، امتنع وأبى وأخذته الحمية والغضب بالإثم - أي بسبب ما اشتمل عليه من الآثام.

هـ- موالاة الكافرين والتربص بالمؤمنين:

قال تعالى: ﴿**بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا**﴾[النساء: ١٣٧-١٤٠]. المنافق يوالي الكافرين - أي ينصرهم ويودهم، ويقول إذا خلا بهم: إني معكم. فهو في الحقيقة منهم.

ومن صفات المنافقين: أنهم ينتظرون زوال دولة المسلمين، وظهور الكفار عليهم، وذهاب دينهم، فإن كان للمسلمين نصر وغلبة قال لهم المنافقون: ألم نكن معكم، وإن كان للكافرين غلبة على المسلمين قالوا لهم: ألم نساعدكم في الباطن. فالمنافقون يصانعون الكفار والمسلمين، وإن كان ودهم وميلهم مع الكفار، ولكن لا يريدون الظهور معهم علانية، ولا تَحَمُّل ما يتحملون من جهد في محاربة المسلمين.

و- الخداع والرياء والتكاسل عن أداء العبادات:

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا**﴾[النساء: ١٤٢]. فمن صفات المنافقين: الخداع، يخادعون الله ويخادعون الناس: أما وجه مخادعتهم الله تعالى: فهو اعتقادهم أن أمرهم كما راج بين الناس وجرت عليهم أحكام الإسلام في الظاهر وخفتْ حقيقتهم على الناس فكذلك يظنون حكمهم

عند الله يوم القيامة، فيروج أمرهم ويخفى عند الله كما راج وخفي على الناس، وهذا محض الجهل؛ لأن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

ومن صفاتهم: تثاقلهم عن العبادات فهم إذا تذكروا الصلاة وقاموا إليها قاموا كسالى، لا يحبونها ولا يريدونها، وإنما يفعلونها على وجه الرياء للناس؛ ولهذا فهم لا يذكرون الله إلا قليلا، فقد جاء في الحديث قال رسول الله ﷺ: "**تلك صلاة المنافق. تلك صلاة المنافق. تلك صلاة المنافق. يجلس يرقب الشمس، حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعا، لا يذكر الله فيها إلا قليلا**"[1].

ز- التحاكم إلى الطاغوت:

قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا**﴾[النساء: ٦٠-٦٣].

فالمنافقون -مع زعمهم الإيمان بالله ورسله عليهم الصلاة والسلام- يطلبون وسائل تنظيم حياتهم من غير الله، ويجعلون الآراء والأفكار والأشخاص والأهواء هي الحكم في حياتهم، فيرجعون إلى هذه الأشياء معتقدين فيها أنها تشمل على صلاح حالهم. وإذا نُصحوا بأن ذلك لن يجني عليهم إلا الخراب لم يستمعوا للنصح فإذا سقطت دولة الكفر والنفاق جاء المنافقون يدّعون للمسلمين أنهم إنما كانوا يجربون هذه الوسائل ابتغاء المصلحة والمنفعة والله أعلم بنفاقهم.

ح- الإفساد بين المؤمنين:

قال تعالى: ﴿**لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ**

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة: باب استحباب التبكير بالعصر (٤٣٤/١) (ح١٩٥) عن أنس بن مالك.

﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[التوبة:٤٧]. ويحرص المنافقون على إضعاف المسلمين، وتفريق صفوفهم، وإشغالهم فيما بينهم، وهذه الآية الكريمة تبين هذه المعاني وغيرها، فقد يحزن المسلمون على عدم انضمام بعض الناس إليهم وعدم العمل معهم ظنا منهم أنهم منهم، وأنهم ينفعونهم إذا خرجوا معهم، ولكن الله يعلم غير ذلك يعلم أنهم لو خرجوا مع المسلمين لم يزيدوهم إلا خبالا -أي: فسادًا- بالنميمة وإيقاع الاختلاف بين المسلمين وبثّ الأراجيف، ولأوضعوا خلال المسلمين -أي: لأسرعوا فيما بينهم بالنميمة والبغضاء والفتنة- وفي المسلمين سماعون لأولئك المنافقين -أي: مطيعون لهم، ومستحيبون لحديثهم وكلامهم- يستنصحونهم أو يسألونهم؛ لأن المسلمين لا يعلمون حالهم، فيؤدي ذلك إلى وقوع الشر بين المؤمنين(١).

ط- الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف:

قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[التوبة: ٦٧]. فمن صفات المنافقين أنهم يأمرون بالمنكر، وينهون عن المعروف؛ لأن نفوسهم المريضة لم تعد ترغب في رؤية الخير يعمله الناس، فهم يحبون أن يشيع الشر والمنكر بين الناس، فهذا هو الذي تهواه نفوسهم، ويشفي حقدهم وغيظهم على أهل الحق، وحتى يتساووْا مع الناس في فعل القبائح، ومع هذه الصفة الخبيثة لا ينفقون فيما يحبه الله فهم بخلاء في الإنفاق، وفي فعل الخير، وفي الأمر به، والدلالة عليه.

ي- الغدر وعدم الوفاء بالعهد:

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ ءَاتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ

(١) تفسير ابن كثير (٢/٣٦١).

الصَّالحينَ فَلَمَّا ءَاتَاهُمْ مِنْ فَضْلِه بَخِلُوا بِه وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ. فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾ [التوبة: ٧٥ - ٧٧].

فهؤلاء المنافقون سرعان ما يخلفون وعودهم وينقضون مواثيقهم عندما يصلون إلى ما يريدون.

ك- تواصيهم بترك الجهاد:

قال الله تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لاَ تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١]. فمن صفات المنافق عدم المعرفة وعدم الفقه، فهو يترك الإيمان بالله، ويفرح بقعوده عن الجهاد في سبيله، ويوصي غيره من المنافقين بعدم الجهاد لما به من المشقة كالحر، وينسى هذا المنافق أن نار جهنم أشد حرا من هذا، وأن العاقل من يعمل ما ينجيه منها.

المبحث الرابع: العصاة:

تعريف العصاة:

نريد بالعصاة -كصنف من أصناف المدعوّين-: من كان عندهم أصل الإيمان وهو الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ولكنهم لا يقومون بحقوق هذه الشهادة، فهم يخالفون بعض أوامر الشرع، ويرتكبون بعض نواهيه. ومنهم المكثر من المعاصي، ومنهم المقلّ، ومنهم بين ذلك على درجات كثيرة جدًّا ومتنوعة جدا، لا يحصيها إلا الله تعالى.

- المسلم غير معصوم من المعصية:

والمسلم غير معصوم من المعصية، فقد جاء في الحديث: **"كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون"**[1]. وتعليل ذلك أن نفس الإنسان قابلة لارتكاب

(١) تقدم تخريجه.

المعصية كما هي قابلة لفعل الطاعة، والمطلوب من المسلم أن يحرص على طاعة الله وعدم معصيته، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[الشمس:٧-١٠]. وإذا وقع في معصية فعليه أن يسارع إلى التوبة، ويقلع عن معصيته، وينيب إلى ربه.

- أسباب العصيان:

وقد يرد إلى الذهن هذا السؤال: لماذا يعصي المسلم أوامر الشرع الإسلامي وهو مـؤمن بالله وبرسوله وباليوم الآخر، ومؤمن بأن معصية الـخالق ﷻ تؤدي إلى سخطه وعذابه؟

والجواب على ذلك: أن الإيمان قد يضعف في قلب المسلم فتغلبه شهوته، ويقبل إغراء الشيطان فيرتكب المعصية؛ لأن العقاب على الذنوب شيء موعود به في الآخرة، ولذائذ الدنيا المحرمة شيء حاضر، والنفس مجبولة عى التأثر بالحاضر لا بالغائب، وإن كانت عاقبة الحاضر مُرَّة، وعاقبة الغائب حُلوة، ولا يمنعها من هذا التأثر إلا الإيمان القوي المنير الذي يجعل الغائب كالحاضر، فيكون التأثر لا بالحاضر المحسوس فعلا فالإنسان بطبيعته يؤْثر اللذة العاجلة وإن كانت تافهة على اللذة الآجلة وإن كانت جسيمة قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: ١٦]، ومع ضعف الإيمان يقوى هذا الطبع وهذه الجبلة في الإنسان، فيستسهل ارتكاب المخالفة ابتغاء اللذة العاجلة، أو دفع المشقة العاجلة، لاسيما مع أمل البقاء والتوبة في المستقبل، وتسكين النفس بأمل عفو الله تعالى.

- جهاد العاصي:

العاصي جاهل قطعا، فلولا جهله لما عصى الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧]. قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: "قال مجاهد وغير واحد من أهل العلم: كل من عصى الله خطأ أو

عمدا فهو جاهل حتى ينـزع عن الذنب. وقال قتادة عن أبي العالية أنه كان يحدث أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقولون: كل ذنب أصابه عبد فهو جهالة... وعن مجاهد قال: كل عامل بمعصية الله فهو جاهل حين عملها... وعن ابن عباس: "من جهالته عمل السوء"[١].

ووجه جهل العاصي أنه يجهل قدر ربه، وما يجب له من طاعة لحق ربوبيته، وإلوهيته وعظمته، وكمال إنعامه على عبده، وكمال فقر العبد إليه، وعدم خفاء شيء على الله تعالى مما عمل الخلق، وأنهم مجزيون على أعمالهم. ومن جهل العاصي: جهله بضرر الذنوب، وكان ينبغي أن ينفر منها أشد من نفرته من الحيات والعقارب ولا يلامسها ولا يضعها على جسمه، ولكن العاصي من جهله يُقبل عليها ويباشرها.

ومن جهله: أن يؤثر العاجلة على الآخرة، وما نسبة العاجلة وما فيها من لذائذ إلى نعيم الآخرة إلا كنسبة ما يعلق بالإصبع إذا غمسْتها في البحر إلى مائه، ومن جهله: التسويف وطول الأمل وتأجيل التوبة، و لم يعلم أن الموت أقرب إلى الإنسان من شراك نعله، وأنه لا يستأذنه إذا حان الأجل.

ومن جهله: أنه يتعب كثيرا ويترك لذائذ كثيرة في سبيل ظفره بربح آجل في الدنيا، ولو عقل لفعل للآخرة ما يفعله لنوال هذا الربح، ألا ترى الطالب يحبس نفسه في بيته يقرأ ويدرس أياما وأسابيع لينجح في الامتحان وإن فاتته بعض اللذات. ومن جهل العاصي: اتكاله على عفو الله ورحمته، ونسي أن رحمة الله قريب من المحسنين، وأن العارفين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أن لا يقبل منهم، وأن الراجيَ حقا من قام بالأسباب، وانْتَظَرَ رحمة العليم العلام، كالذي يحرث الأرض. ويلقي البذر، ويقوم بالسقي، ويتعهد الزرع، ويرجو أن يحفظ الله زرعه، ويجنبه الآفات، أما الأحمق المغرور فهو الذي يترك أرضه تملأها الأشواك

(١) تفسير ابن كثير (١/٤٦٣).

والأدغال، ولا يلقي فيها بذرا، ويرجو أن ينبتها الله له.

موقف الداعي من العصاة:

الداعي ينظر إلى العصاة نظرة إشفاق ورحمة، فهو يراهم كالواقفين على حافة واد عميق سحيق في ليلة ظلماء، يخاف عليهم من السقوط، ويعمل جهده لتخليصهم من الهلاك، وهو -في سبيل هذه الغاية- يتجاوز عن تجوزهم في حقه إن كانت معصيتهم في حقه، ولا يعيرهم ولا يشمت بهم، ولا يحتقرهم افتخارا بنفسه عليهم، وإدلالا بطاعته، ولكن له أن يستصغرهم لمعصيتهم وتجاوزهم حدود الشرع، وأن يغضب لهذا التجاوز، قالت عائشة -رضي الله عنها-: "**ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط، ولا نيل منه شيء فانتقم لنفسه، إلا أن تنتهك محارم الله، فإذا انتُهكت محارم الله لم يقم لغضبه شيء حتى ينتقم لله**"[1].

ومن محارم الله التي يغضب لها المسلم: محاربة العصاة الدعوة إلى الله، والصد عن سبيله، وإلحاق الأذى بالدعاة حتى يمتنعوا عن القيام بواجب الدعوة، ففي هذه الأحوال ونحوها يجوز للداعي أن يسلك مع هؤلاء العصاة ما يكف به ضررهم عن الدعوة والدعاة بالقدر الذي يبيحه الشرع، على أن لا يتجاوز هذا القدر، وأن يتوسل بالأسهل فالأسهل من وسائل كف ضررهم، مع رغبته التامة في هدايتهم وصلاحهم.

---

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الأدب: باب قول النبي ﷺ "يسّروا ولا تعسّروا" (١٠/ ٦٣٣)(ح٦١٢٦)، ومسلم في كتاب الفضائل (٤/١٨١٣)(ح٧٧)، كلاهما مختصر.

خلاصة الوحدة الثالثة

تواجه الدعوة إلى الله أصنافاً مختلفة من المدعوّين، ويعامل الداعيةُ كلَّ صنف بما يستحقه، وفيما يلي عرض لأصناف المدعوين وصفاهم:

الملأ: هم أشراف القوم وقادهم ورؤساؤهم وسادهم، والغالب عليهم معاداة الدعوة لكبر في أنفسهم ولحرصهم على الجاه والرياسة، ولإغراقهم في السفه والجهالة، والملأ هم الملأ في كل بيئة وزمان ومكان.

جمهور الناس: هم السواد الأعظم من المدعوين، وعادةً ما يكونون مستضعفين فقراء، لا يؤبه لهم وهم أسرع استجابة من الملأ، وإن كانوا قد يتأثرون بأكاذيب الملأ تارة فقد يخافون بطشهم تارة أخرى وقد يتّبعون الشبهات ثالثة.

المنافقون: هم من يظهرون خلاف ما يبطنون. وعادة ما تظهر فئة المنافقين عند علوّ الإسلام وظهوره، والنفاق من أخطر الأدواء في مجتمع المسلمين، ويقوم النفاق الخالص على الكفر والجبت، وعليهما تدور صفات المنافقين.

والداعية يحذر المنافق ويتقي شره.

العصاة: هم المسلمون الذين لا يقومون بحقوق ومقتضيات شهادة التوحيد، فيخالفون الأوامر ويرتكبون المناهي بسبب قلّة العلم، وضعف الإيمان، وغلبة الهوى وإغراء الشيطان والداعية ينظر إلى العصاة نظرة شفقة ورحمة وهداية.

اختبار الوحدة الثالثة

أولاً:أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة(✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١- الملأ هم أشراف القوم وقادتهم ورؤساؤهم وسادتهم.

٢- الملأ -غالبا- يكونون محبين ومسالمين ومناصرين للدعوة إلى الله تعالى.

٣- الجمهور يكونون أبطأ من غيرهم في الاستجابة للدعوة.

٤- مرض القلب، والإفساد في الأرض، وموالاة الكافرين، والتربص بالمؤمنين من علامات المنافق وصفاته.

٥- العصاة من الناس لا يقرون بالشهادة، ولا يقومون بحقوقها.

٦- على الدعاة أن ينظروا إلى العصاة نظرة إشفاق ورحمة.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

١- يقول المفسرون إن المراد بكلمة "الملأ" في القرآن أنهم هم:

أ-أراذل القوم. ب- الفقراء والضعفاء.

ب-أشراف القوم وسادتهم وقادتهم. د-الصالحون.

٢- يرجع تأثر جمهور الناس بالملأ إلى عدة أسباب، هي:

أ-الخوف من "الملأ". ب-الإغراء بالمال وحطام الدنيا.

ج-الشبهات. د- الحب "للملأ".

هـ-ماورد في أ،ب،ج.

٣-الشخص الذي يظهر للناس غير ما يبطنه ويخفيه يسمى:

أ-فاسقا. ب-منافقا. ج-فاجرًا. د-ظالما لنفسه.

٤-أيّ العبارات التالية توافق عليها؟:

أ-المنافق أسوأ من الكافر.

ب- لبخل والنفاق صفتان مذمومتان من الله.

ج-المنافق لا يؤذي إلا نفسه.

د-النفاق ظاهرة اجتماعية خطيرة.

هـ-ما ورد في أ،ب،د معاً.

٥-العصاة: هم المؤمنون الذين نطقوا بالشهادة ولكنهم:

أ-يخالفون أوامر الشرع. ب-يفعلون ما نهاهم الشرع عنه.

ج-يفعلون المنكرات. د-لا يحافظون على الفرائض.

هـ-جميع ما سبق.

٦- على الدعاة أن ينظروا إلى العصاة من المسلمين نظرة:

أ-مقت وبغض. ب-ريبة وشك.

ج-إشفاق ورحمة. د-استهزاء وسخرية.

هـ جميع ما سبق

ثالثاً: أسئلة متنوعة:

١- اكتب عن أصناف المدعوّين الذين يتعامل معهم الدعاة، موضحاً موقف كل صنف من الدعوة الإسلامية مع التحليل.

٢- أذكر بالتفصيل بعض مواقف الملأ من الدعوة إلى الله تعالى من خلال عدد من القصص المذكورة في القرآن الكريم.

٣- إن القصص القرآني لم يكن الغرض الوحيد من وروده تسلية النبي ﷺ بل كانت هناك أغراض أخرى مثل: أخذ الأمة العظة والعبرة من سيرة الأمم السابقة، ومن أهم الدروس المستفادة من هذه القصص: معرفة أعداء دعوة الحق في كل زمان ومكان.

صف لنا جلسة مذاكرة بينك وبين إخوانك من الدعاة تتذاكرون فيها هذا الموضوع.

القراءات الإثرائية

المؤلف	الكتاب
د. توفيق الواعي	١ - الدعوة إلى الله
أ . محمد أحمد الراشد	٢ - المسار
د. عبد الكريم زيدان	٣ - أصول الدعوة
د. محمد أبو الفتح البيانوني	٤ - المدخل إلى علم الدعوة

النشاط التعليمي للوحدة الثالثة

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول موضوعات هذه الوحدة عليك بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

حلّلْ مواقف الملأ من دعوة الأنبياء والمرسلين.

الوحدة الرابعة

وسائل وأساليب الدعوة وأحكامها

الوحدة الرابعة

وسائل وأساليب الدعوة وأحكامها

مبررات دراسة الوحدة:

عزيزي الدارس: الدعوة تكون فعالة مؤثرة، وناجحة موفّقة، بحسب فعالية وسائلها وأساليبها وقوتها. ومعرفة قواعد مشروعية الوسائل وأحكامها من أهم ما تمس حاجة الداعية إلى ضبطه وفهمه؛ ليحقق المعاصرة في أساليبه ووسائله، ولينضبط بالشرع في أعماله الدعوية، وفى هذه الوحدة بيان ذلك كله.

الفصل الأول: وسائل الدعوة وأحكامها

الأهداف التعليمية للفصل:

عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذا الفصل أن تصبح قادرًا على أن:

١- تفرق بين مفهومي الوسيلة والأسلوب لغة واصطلاحاً.

٢- تتبين الضوابط المتصلة بمشروعية الوسائل الدعوية.

٣- تعد قائمة بالوسائل الدعوية وأهميتها وضوابط مشروعية كل وسيلة منها.

٤- تذكر -تفصيلاً- وسيلة التمثيل وتعريفها وأهميتها، وحكم استخدامها في الدعوة.

٥- تتعرف على وسيلة إقامة الجماعات والمنظمات الدعوية ودورها في نشر الدعوة.

٦- تُظهر الخصائص العامة والمشتركة جميع الوسائل الدعوية والتزام الداعية بها، ونماذج لبعض هذه الوسائل في واقعنا المعاصر..

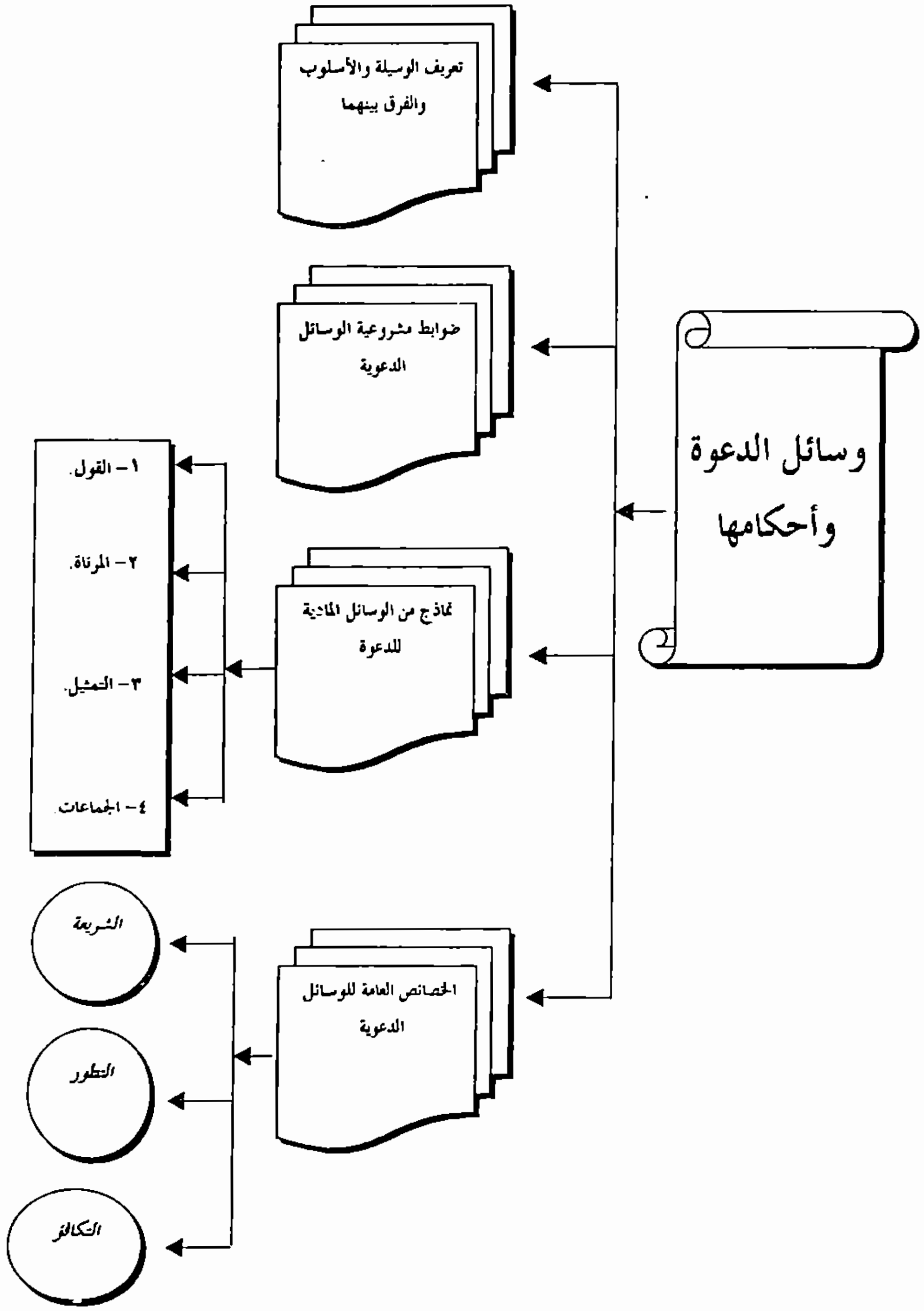
وسائل الدعوة وأحكامها
تعريف الوسيلة والأسلوب والفرق بينهما
ضوابط مشروعية الوسائل الدعوية
نماذج من الوسائل المادية للدعوة
١- القول.
٢- المرئاة.
٣- التمثيل.
٤- الجماعات.
الخصائص العامة للوسائل الدعوية
الشريعة
التطور
التكاثر

الفصل الأول: وسائل الدعوة وأحكامها(*)

تمهيد:

تعريف الوسيلة:

أ- الوسيلة لغة: ما يتقرب به إلى الغير، والجمع: الوُسُل والوسائل.

وهي في الأصل: ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به(١).

إذن الوسيلة لغة: هي ما يتوصل به إلى الشيء، ويتقرب به.

ب- الوسيلة اصطلاحًا: عرّفها كثير من العلماء: "بالقربة" نظرا لورودها في القرآن الكريم والسنة المطهرة، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾[المائدة: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

ورد في "الجامع لأحكام القرآن" قوله: "الوسيلة: القربة التي ينبغي أن يطلب بها"(٢).

وعلى هذا فالوسيلة الدعوية: ما يستعمله الداعية من إمكانات يوصل بها الدعوة إلى المدعوين، وغالبا ما تكون حسية.

وعلى هذا فالوسيلة أمر لابد منه ولا غنى عنه في الدعوة إلى الله، فهي مسألة شرعية وضرورة عقلية.

تعريف الأسلوب:

أ- الأسلوب لغة: قال ابن منظور: "ويقال للسطر من النخيل: أسلوب، وكل طريق ممتد، فهو أسلوب، قال: والأسلوب: الطريق، والوجهة، والمذهب

(*) استفيد هذا الفصل من كتاب المدخل إلى علم الدعوة، للدكتور محمد أبو الفتح البيانوني.

(١) الصحاح للجوهري مادة (وسل).

(٢) للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (١٥٩/٦).

يقال: أنتم في أسلوب سوء، ويجمع: أساليب"[1].

ب- واصطلاحا: عُرّف الأسلوب بعدد من التعريفات، منها:

١- الطريقة التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه.

٢- المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه.

٣- طابع الكلام أو فنه الذي انفرد به المتكلم[2].

ثانيا: الأساليب: جمع أسلوب وهو: الفن، فأساليب الدعوة هي فنون الدعوة، وهي الشكل الذي يتم به الأداء[3].

وعليه فأساليب الدعوة: هي الكيفيات التي يتم بها أداء الدعوة، وتبليغها من الأمور المعنوية الفنية، وأنواع المسالك التأثيرية، وهي في الغالب غير حسية.

الفرق بين الوسيلة، والأسلوب:

الوسيلة -غالبا- تكون من أشياء مادية محسوسة، والشيء الواحد قد يكون وسيلة من وجه، وأسلوبا من وجه آخر، وهذا عائد إلى أن الوسائل أوعية الأساليب وحاملة لها.

وبعبارة أخرى فإن الأسلوب طريقةٌ في العمل، بينما الوسيلة هي العمل نفسه، أو بعض ما يعين على الوصول إلى الهدف.

مثال ذلك المسجد، أو المدرسة فالمكان وأبنيته إذا استخدم في الدعوة فهو "وسيلة" من وسائلها، وأما ما يلقى فيها من الدروس والمحاضرات والندوات ونحو ذلك فهذا أسلوب من أساليب الدعوة والتربية.

مثال ثان: الداعية بشخصه وذاته يعد وسيلة من وسائل الدعوة، أما كلامه

---

(١) لسان العرب (٤٧٣/١)، مادة سلب.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، لمؤلفه محمد عبد العظيم الزرقاني (٣٠٣/٢).

(٣) مناهج الدعوة وأساليبها. للدكتور علي جريشة (١٦).

من التعليم والوعظ والمجادلة، ونحو هذا فهو أسلوب من أساليب الدعوة.

مثال ثالث: مكبر الصوت: وسيلة من وسائل الدعوة، وما يستعمل فيه من أنواع الاستعمالات الدعوية فهو أسلوب من أساليب الدعوة.

مثال رابع: الخطابة: يتم من خلالها نشر الدعوة بالكلمة أو القول: فالقول وسيلة من وسائل نشر الدعوة، لكنه قد يكون وعظا بالترغيب أو الترهيب، وقد يكون خطابة حماسية عاطفية، وقد يكون درسا علميا، وقد يكون قصصيا... إلخ. فهذه كيفيات أدى بها القول: فهي أساليب.

ويمكن استعمال الوسيلة الواحدة لأكثر من أسلوب، ولو تأملنا بعض ما كتبه المؤلفون في علوم الدعوة لوجدنا أن بعضا منهم - عند ذكر الأساليب والوسائل - يدخل شيئاً في الأساليب بينما نجده عند آخر في الوسائل، ولعل هذا عائد إلى عدم الدقة في تحديد دلالة هذين المصطلحين.

المبحث الأول: ضوابط مشروعية الوسائل الدعوية

لما كانت الدعوة الإسلامية دعوة إلى الله، وعملا أساسيا من أعمال رسول الله ﷺ وأتباعه، كان لابد أن تكون منطلقة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، منضبطة بأحكام الإسلام في مناهجها وأساليبها ووسائلها.

فإن الإسلام لا يعرف فصلا في الحكم بين المناهج والأساليب والوسائل، ولا يُقر بأن الغاية تبرر الوسيلة - كما هو الحال في بعض المناهج البشرية - بل إن للوسائل حكم الغايات، وللأساليب حكم المناهج.

وإن أي تجاهل لحكم الشريعة في جانب المناهج أو الأساليب والوسائل يُعدُّ انحرافا بالدعوة عن مسارها، وخروجا بها عن مصادرها.

ونظرا لغموض هذا الجانب عند بعض الدعاة، وظَنِّ بعضهم استثناء الوسائل من هذه الأحكام، وتصرفهم فيها دون قيود من جهة، ونظرا لاعتقاد

آخرين بتوقيفية أحكام الوسائل وإعطائها أحكام المبادئ الدعوية وأسسها التي لا دخل للاجتهاد فيها من جهة أخرى - فقد مست الحاجة إلى عقد هذا المبحث في فصل الوسائل الدعوية، وبيان حقيقة موقف الشرع الشريف في حكم الوسائل الدعوية، دفعا لهذا الغموض، وتجنبا لذلك الإفراط أو التفريط.

ويمكننا تلخيص ضوابط مشروعية الوسائل الدعوية في خمسة ضوابط:

أ - النص على مشروعية الوسيلة، أو طلبها بوجه من أوجه الطلب.

ب - النص على تحريم الوسيلة، أو النهي عنها بوجه من أوجه النهي.

ج - دخول الوسيلة في دائرة المباح.

د - خروج الوسيلة عن كونها شعارا للكفار.

هـ - استعمال بعض الوسائل الممنوعة لضرورة ونحوها.

وفيما يلي تفصيل هذه الضوابط:

أ- النص على مشروعية الوسيلة أو طلبها بوجه من أوجه الطلب:

فإن أي وسيلة نص الشارع على مشروعيتها بأن أمر بها وباستخدامها على سبيل الوجوب أو الندب، أو صرح بإباحتها وجواز استخدامها، فهي وسيلة مشروعة بحسب نوع مشروعيتها من وجوب أو ندب أو إباحة، يلتزم الداعية باستخدامها، أو يسعه التوصل بها إلى دعوته، وقد وردت نصوص شرعية كثيرة في ذلك، منها:

الأمر بوسيلة القول، والحركة، والكتابة، والتعليم، والجهاد، والصدق وما إلى ذلك من وسائل مادية ومعنوية.

قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾[البقرة: ٨٣]. وقال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ١] وقال: ﴿وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾[الأحزاب: ٧٠].

وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾

[النمل:٦٩]. وقال تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾[لقمان: ١٩].

وقال تعالى:﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[القلم:١]. وقال: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[العلق:٣-٥].

وجاء في الحديث الشريف: "اكتبوا لأبي شاه"(١) وورد "ومَنْ كتبَ عنّي غيرَ القرآن فَلْيَمْحُه"(٢).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً﴾ [الفرقان: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِياًّ﴾ [مريم: ٥٤]. وقال: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وجاء في الحديث الشريف: "إن الصدق يهدي إلى البر"(٣) وما إلى ذلك من نصوص شرعية كثيرة تنص على مشروعية بعض الوسائل صراحة أو إشارة ودلالة.

ب - النص على تحريم الوسيلة أو النهي عنها بوجه من أوجه النهي:

فإن أي وسيلة نص الشارع على النهي عنها بوجه من أوجه النهي، فهي وسيلة ممنوعة بحسب نوع النهي عنها تحريما كان أو كراهة، وعلى الداعية أن يتجنبها، ويتنـــزه عن استخدامها.

---

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب العلم: باب كتابة العلم (٢٥٩/١) (ح١١٢)، ومسلم في كتاب الحج: باب تحريم مكة وصيدها وخلاها (٩٨٨/٢٠٠٠) (ح٤٤٧)، كلاهما عن أبي هريرة، من حديث طويل.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق: باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم (٢٩٨/٤) (ح ٧٢)، عن أبي سعيد الخدري.

(٣) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الأدب: باب قول الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ" (٦١٢/١٠) (ح٦٠٩٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة: باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله (٢٠١٢/٤) (ح١٠٣)، كلاهما عن عبد الله.

وقد وردت نصوص شرعة تنهي عن بعض الوسائل المعنوية أو المادية، ومن ذلك: ما ورد من النهي عن الكذب، والكبر، والحلف، والبخل، وإخلاف الوعد، ورفع الصوت وما إلى ذلك، ومن هذه النصوص:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [النحل: ١٠٥]. وقال: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢]. وقال: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون:١].

وقال تعالى: ﴿وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١٠ - ١١]. وقال: ﴿وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨ - ١٩].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحديد: ٢٤]. وقال: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وجاء في الحديث الشريف:

"**أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن، كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**"[1] وما إلى ذلك من نصوص شرعية تنهى عن بعض الوسائل صراحة أو إشارة.

ج- دخول الوسيلة في دائرة المباح:

إنّ أي وسيلة دعوية لم ينص الشارع على مشروعيتها، ولم يأت بالنهي عنها، وإنما سكت عنها، تدخل في دائرة الإباحة بناء على أنّ الأصل في الأشياء الإباحة، فيسع الداعيةَ استخدامُها في دعوته؛ ذلك لأن النصوص الشرعية محدودة

(١) تقدم تخريجه.

مهما كثرت، والوسائل متجددة متطورة مع تعاقب الأزمان، فلا يمكن أن تستوعب النصوصُ الحديثَ عنها، كما هو الشأن في وسيلة مكبِّر الصوت، والمذياع وغيرهما من المخترعات الحديثة.

فالأصل في هذا النوع من الوسائل الإباحة ما لم يعرض له عارض يخرجه عن ذلك الأصل.

ويمكن أن يتفرع عن هذا الضابط نوعان من الوسائل يحسن بحثهما في هذا المقام، وهما:

أ- الوسيلة المختلف في حكمها بين العلماء بين الإباحة والتحريم.

ب- الوسيلة المشوبة التي اختلط فيها الحلال والحرام.

أولاً: الوسيلة المختلف في حكمها بين الإباحة والتحريم:

هناك وسائل اختلف العلماء في حكمها بين محرِّم ومبيح لسبب من أسباب الخلاف أو أكثر، ولم يتضح للداعية رجحان قول فيها على قول، فلا يصح وصفها عنده بإباحة أو تحريم، وإنما هي من المختلف فيه.

وقد تعددت مواقف الناس من مثل هذه الوسائل المختلف في حكمها، فمنهم من عاملها معاملة الحرام تورعا واحتياطا؛ فتجنبها وأنكر على من استخدمها، ومنهم من ترخص فيها وتوسع في استخدامها دون تحرج وكأنها من الحلال البين، وذلك مثل: وسيلة التصوير الفوتوغرافي، أو وسيلة التمثيل المسرحي، أو الغناء وبعض آلاته كالدف؛ وما إلى ذلك.

وكلا الموقفين لا يخرج عن الإفراط أو التفريط، ويمكننا أن نلخص ضوابط الوسيلة المختلف في حكمها في أربعة أمور، هي:

١- الترخص ولتوسع في استخدامها حيث الضروراتُ والحاجاتُ الملحة، والمصالح الدعوية العامة؛ وذلك لأنه إذا كانت الضرورات والحاجات الملحة تبيح

المحظورات القطعية التي لا خلاف في حرمتها -كما هو مقرر في القواعد الفقهية- فإن إباحتها للأمر المختلف فيه من باب أولى؛ لأنه متردد بين الحرمة والإباحة؛ ولأن الحرمة عند من يراها فيها ظنية أيضا.

٢- التورع عن استخدامها حيث الأمور العادية، والمصالح الشخصية؛ وذلك لأن التورع عن الشبهات مطلوب، ولابد أن يترك الخلاف العلمي مهما ضعفت في الموضوع الشبهة، وقد جاء في الحديث الشريف: "**فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام**"(١).

٣- لطالب العلم أن يبحث في المسألة المختلف فيها، ويرجح أحد الأقوال بدليله؛ إذ ليس قول أحد بحجة على آخر، ما دامت المسألة اجتهادية.

٤- ليس لمن ترجح له أحد الأقوال تحريما أو إباحة الإنكار على من خالفه في الترجيح أو العمل؛ إذ من المسلم به في قواعد الحسبة: عدم الإنكار في المختلف فيه، وإنما يحق لمن ترجح له قول من الأقوال أن يدعو إليه بلطف مبينا دليله مع احترام القول الآخر، وقديما قال سفيان الثوري -رحمه الله تعالى-: "إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذي قد اختُلف فيه، وأنت ترى غيره، فلا تَنْهه"(٢). وقال: "ما اختلف فيه الفقهاء، فلا أنهى أحدا عنه من إخواني أن يأخذ به"(٣).

وهذه الضوابط الأربعة في الوسائل الدعوية المختلف فيها، لو طبقها المسلمون على جميع المسائل التي وقع الخلاف فيها بين العلماء، لاندفعت سلبيات الخلاف عن حياتهم، وعاش المختلفون فيما بينهم متآلفين متحابين كما كان أسلافهم.

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الإيمان: باب فضل من استبرأ لدينه (١٥٧/١) (ح٥٢)، ومسلم في كتاب المساقاة: باب أخذ الحلال وترك الشبهات (١٢١٩/٣)(ح١٠٧)، كلاهما عن النعمان بن بشير.

(٢) انظر (حلية الأولياء) لأبي نعيم (٣٦٨/٦).

(٣) انظر (الفقيه والمتفقه) (٦٩/٢).

ثانياً: الوسيلة المشوبة التي اختلط فيها الحلال بالحرام:

وُجدت في عصرنا وسائل دعوية: اختلط فيها الحلال والحرام تبعا لغفلة المسلمين، وضعف التزامهم بدينهم، مما يجعل الداعية حائرا تجاهها، يشعر بحاجته إليها، ويمنعه منها ما شابها من حرام.

وقد اختلفت مواقف الدعاة والعلماء منها سابقا وحاضرا، فكان منهم من يقاطعها ويتجنبها تجنبه للحرام الخالص، وكان منهم من يستخدمها ويشارك فيها ترجيحا لجانب على جانب.

ولعل أبرز ما يمثل هذا النوع في زماننا وسيلة النوادي الاجتماعية والرياضية، ووسيلة الإذاعة، ووسيلة المِرناة -أي: التلفاز-، فقد حوت هذه الوسائل جوانب من الخير مع جوانب من الشر، واختلط في كثير منها الحلال والحرام، وانتشرت في حياة الناس انتشارا كبيرا قل أن يسلم منه المسلمون.

كما جرّب تجاهها العلماءُ موقفين: موقف المقاطعة لها، وموقف المشاركة فيها، فلم يفيدا في ذلك شيئا، إذ لم يصل المشاركون فيها إلى إصلاح واقعها، ولا المقاطعون لها إلى معالجتها والسلامة من شرها.

لذا رأينا أن نجعل الضابط فيها ملخصا في حالتين:

أ- حالة إمكان معالجتها وتنقيتها مما شابها.

ب- حالة عدم إمكان معالجتها وتنقيتها مما شابها.

- أما الحالة الأولى: حالة إمكان معالجتها وتنقيتها مما شابها:

لابد للداعية تجاه هذه الحالة من معالجتها وتَعْرِيتها عما شابها من حرام، واستخدامها في سبيل دعوته. وذلك كما فعل ﷺ مع وسيلة "النذير العُريان" فقد كانت عادة العرب في الجاهلية إذا أرادوا الدعوة إلى أمر هام، أو الإنذار بأمر خطير يفعلون عدة أمور:

١- يصعدون إلى مكان عالٍ كجبل أو أي مكان مرتفع.

٢- ينادون بأعلى صوتهم: واصباحاه، وما إلى ذلك من ألفاظ النداء.

٣- يتعرون عن ثيابهم، ليشعروا الناظر إليهم بخطر الأمر الذي ينادون من أجله، وكأن العدو قد عرّاهم من ثيابهم، فيسرع الناس إليهم.

فلم يترك الرسول ﷺ هذه الوسيلة المشوبة بالعري، وإنما عمل على تعريتها عما شابها واستخدمها، بل قال عن نفسه "أنا النذير العُريان"[(١)] معبرا عن خطر الأمر الذي جاء به.

فقد جاء في الحديث الشريف أنه ﷺ لما نــزلت آية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. خرج حتى صعد الصفا فهتف: "يا صباحاه"[(٢)].

- أما في الحالة الثانية: حالة عدم إمكان معالجتها وتنقيتها مما شابها:

فلابد للداعية من أحد موقفين:

أ - المقاطعة لها بضوابط.

ب - أو المشاركة فيها بضوابط.

ومن ضوابط المقاطعة:

١- أن تكون المقاطعة جماعية، بحيث يتفق عليها معظم العلماء والدعاة، فلا تختلف مواقفهم منها؛ ليعلم الناس جميعا هجر العلماء والدعاة لها، فيتابعوهم في ذلك.

٢- أن تكون المقاطعة كاملة نظريا وعمليا، فلا مشاركة فيها، ولا إدخال

---

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الرقاق: باب الانتهاء عن المعاصي (٣٧٠/١١)(ح٦٤٨٢)، ومسلم في كتاب الفضائل: باب شفقته ﷺ على أمته (١٧٨٨/٤)(ح١٦)، كلاهما عن أبي موسى، من حديث طويل.

(٢) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب التفسير: باب سورة تبت يدا أبي لهب (٩٠٨/٨)(ح ٤٩٧١)، ومسلم في كتاب الإيمان: باب في قوله تعالى: وأنذر عشيرتك الأقربين (١٩٣/١)(ح٣٥٥)، كلاهما عن ابن عباس.

لها إلى بيوت المسلمين، وتجنبها تجنبا كاملاً لإحكام المقاطعة من جهة، والسلامة من شرها من جهة أخرى.

٣- أن يُسعى إلى إيجاد بديل صالح عنها، يعوّض الناس عن جانب الخير الذي فيها، ويشغلهم ويصرفهم عن جانب الشر فيها. إلى غير ذلك من ضوابط يراها العلماء والدعاة.

ومن ضوابط المشاركة:

١- أن تكون جماعية، بحيث يقدم على المشاركة فيها معظم العلماء والدعاة، فلا تختلف مواقفهم منها؛ وذلك لتكثير جانب الخير فيها وتغليبه على جانب الشر.

٢- أن لا تكون المشاركة في جزء محرم منها، كالبرامج الداعية إلى الفساد، وبرامج الموسيقى والغناء المحرم.

٣- أن تكون المشاركة على مستوى مكافئ شكلا ومضمونا، حتى لا يظهر صوت الخير ضعيفا أمام صوت الباطل، فيزهد الناس فيه، ويجرهم الباطل إليه.

٤- اختيار الوقت المناسب للمشاركة، والتحكم في بداية البرنامج وخاتمته، فلا يبدأ أو يختم بمحرم أو باطل.

٥- أن يُسعى لإصلاحها وتنقيتها باستمرار. وذلك عن طريق المشاركة الصالحة الفعّالة، ومراجعة المسؤولين عنها وتذكيرهم بضرورة ذلك، وعدم اليأس والسكوت.

٦- أن يُسعى لإيجاد بديل صالح غير مشوب يكون قدوة في ذلك من جهة، وبديلا عن المشوب من جهة أخرى. إلى غير ذلك من ضوابط يراها العلماء المشاركون، والدعاة العاملون.

د- خروج الوسيلة عن كونها شعارا للكفار:

فقد ثبت نهي رسول الله ﷺ عن التشبه بالكفار، وأمره بمخالفتهم ولاسيما فيما كان شعارا لهم يُعرفون به، فقد جاء في الحديث الشريف:

"من تشبه بقوم فهو منهم"[1] وجاء أيضا: "ليس منا من تشبه بغيرنا"[2] كما جاء عنه ﷺ أنه قال:

"خالفوا المشركين، ووفروا اللحى، وأحفوا الشوارب"[3] وجاء عنه ﷺ قوله: "إن اليهود والنصارى لا يصبغون، فخالفوهم"[4].

فعلى الداعية أن يتجنب في دعوته أي وسيلة تعد شعارًا للكفار، مهما كان نوعها، كما فعل ﷺ لما عُرِضت عليه مثل هذه الوسائل للدعوة إلى الصلاة.

ففي الحديث عن ابن عمر ﷺ أنه قال: "كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة، وليس ينادي بها أحد، فتكلموا يوما في ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: قرنا مثل قرن اليهود، فقال عمر: أولا تبعثون رجلا ينادي بالصلاة؟ قال رسول الله ﷺ: "يا بلال قُمْ فناد بالصلاة"[5].

ومن هنا: جعلنا من ضوابط مشروعية الوسيلة أن لا تكون شعارا للكفار، وعبرنا عنها بقولنا: "خروج الوسيلة عن كونها شعارا للكفار" ليشمل اللفظ حكم

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب اللباس: باب في لبس الشهرة (٤٣/٤)(ح٤٠٣١)، وأحمد (٥٠/٢)، كلاهما عن ابن عمر، وهو حديث حسن.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الاستئذان والآداب: باب ما جاء في كراهية إشارة اليد بالسلام (٣١٩/٤) (ح ٢٧٠)، وقال: هذا حديث إسناده ضعيف، عن ابن عمرو، قلت: إلا أنه يرتفع إلى درجة الحسن لغيره بالشاهد الذي سبق.

(٣) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب اللباس: باب تقليم الأظفار (٤٢١/١٠)(ح٥٨٩٢)، ومسلم في كتاب الطهارة: باب خصال الفطرة (٢٣٢/١)(ح٥٢- ٥٤)، كلاهما عن ابن عمر.

(٤) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب اللباس: باب الخضاب (٤٢٧/١٠)(ح٥٨٩٩)، ومسلم في كتاب اللباس: باب في مخالفة اليهود في الصبغ (١٦٦٣/٣)(ح٨٠)، كلاهما عن أبي هريرة.

(٥) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الأذان: باب بدء الأذان (١٠١/٢)(ح٦٠٤)، ومسلم في كتاب الصلاة: باب بدء الأذان (٢٨٥/١) (ح١).

جواز استعمال الوسيلة التي كانت شعارا للكفار، ثم خرجت عن هذا الوصف؛ لأنها لم تعد شعارا لهم، كما بين هذا عدد من العلماء في مواطن متعددة[1].

هـ - الترخيص في استعمال بعض الوسائل الممنوعة في بعض الأحوال:

لما كان الدين الإسلامي دينا عمليا يصلح للتطبيق في كل زمان ومكان، جاء فيه الترخيص باستعمال الممنوع دفعا للحرج وتحقيقا للضروريات والحاجيات.

وكان هذا الترخيص على نوعين أساسيين، هما:

١- الترخيص ببعض الوسائل الخاصة في بعض الأحوال تغليبا لجانب درء المفاسد على تحقيق المصالح، أو موازنة بين المفاسد إذا اجتمعت، وتقديم أخف المفسدتين، كما جرى في الترخيص بالكذب في عدة مواطن، فقد جاء في الحديث الشريف: "ليس الكذاب الذي يُصلح بين الناس، فَيَنْمِي خيرا، أو يقول خيرا"[2]، وزاد مسلم في رواية: "ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث- تعني: الحربَ، والإصلاحَ بين الناس، وحديثَ الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها"، وقد قعّد العلماء من هذا الحديث وأمثاله قاعدة في أحوال جواز الكذب، وجعلوا منها: إذا لم يتمكن المرء من الوصول إلى حقه الثابت له، إلا بالكذب، فيباح له استخدام الكذب للوصول إلى حقه[3]. فإن في هذا ترجيحا لمصلحة حفظ الحقوق وتفويت مقاصد الظلمة على مفسدة الكذب.

٢- الترخيص بفعل المحظورات بسبب الضرورات الملجئة أو الحاجات

---

(١) انظر (فتح الباري) (١٠/٢٧٥و٣٠٧)، وراجع في أصل الموضوع كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم) لابن تيمية.

(٢) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الصلح: باب ليس الكاذب الذي يُصلح بين الناس (٥/ ٣٦٦) (ح٢٦٩٢)، مسلم في كتاب البر والصلة: باب تحريم الكذب وبيان المباح منه (٤/٢٠١١)(ح ١٠١)، كلاهما عن أم كلثوم بنت عقبة.

(٣) راجع (الأذكار) للنووي (ص: ٣٢٥ - ٣٢٦)، و(إحياء علوم الدين) للغزالي (٣/١٣٤ - ١٣٦).

الملحة: وقد قعّد العلماء في هذا قاعدتين:

أ- الضرورات تبيح المحظورات.

ب- الضرورات تقدر بقدرها.

ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣].

فيجوز للداعية في حالات الاضطرار وما شابهها أن يستخدم الوسيلة المحرمة بالقدر الذي تدفع فيه تلك الضرورة الملجئة، والحاجة الملحة.

ويختلف هذا الضابط الأخير عن المبدأ القائل "الغاية تبرر الوسيلة" من عدة وجوه منها:

١- أن المحرِّم والمبيح في الإسلام هو الشارع نفسه توسعة على عباده، أما التبرير عند غير المسلمين فمتروك لاجتهاداهم وأهوائهم التي لا تنضبط.

٢- أن الغاية التي أبيحت من أجلها بعض الوسائل الممنوعة، محمودة دائما في نظر الشارع، وليست مجرد مصلحة يراها المرء محمودة كانت أو مذمومة كما هي عند الآخرين.

٣- أن الترخيص في الإسلام مقيد بحال الضرورة الملجئة أو الحاجة الملحة، كما أن الضرورات تقدر بقدرها، وليس الأمر مطلقا كما هو عند غير المسلمين. والله أعلم.

المبحث الثاني: نماذج من الوسائل المادية

أ- وسيلة القول:

- تعريفها: القول هو: كل لفظ مُفْهِم نَطَقَ به اللسان، ويقابله الصمت والسكوت. ووسيلة القول وسيلة مادية فطرية. قال تعالى: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ عَلَّمَهُ

البَيَانَ﴾ [الرحمن: ٣ - ٤].

وأشكال القول والبيان كثيرة، منها: الحديث الفردي، والجماعي، والقراءة، والدروس، والمواعظ والمحاضرات، والخطب.

- أهميتها:

تبرز أهمية وسيلة القول من عدة وجوه، منها:

١- من حيث إنها وسيلة فطرية متوفرة لدى جميع الناس إلا القليل بسبب خَرَس أو نحوه.

٢- اهتمام القرآن الكريم بها، فقد ورد لفظ (قُلْ) في القرآن الكريم في أكثر من ثلاثمائة آية، كما جاءت مشتقاته وتصريفاته في القرآن في أكثر من أَلْفَيْ آية.

٣- استخدام جميع الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- لها، فما من رسول إلا وقد قال لقومه شيئا وبيّن لهم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[إبراهيم: ٤]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران:١٨٧]. وقال عن عدد من الرسل الكرام: ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

د- كثرة أقواله ﷺ التي جمعت في كتب السنة، والتي تمثل السنة القولية الشريفة.

من ضوابطها:

لابد لوسيلة القول من ضوابط تضبطها لتؤدي وظيفتها الدعوية، ويمكننا إجمال بعض ضوابطها فيما يأتي:

١- أن يكون القول مشروعا صادقا، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾[النحل:١١٦]. وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾ [الأحزاب: ٧٠].

٢- أن يكون القول لطيفا حسنا، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وقال: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ

حُسْناً﴾ [البقرة:٨٣]. وقال: ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه:٤٤].

٣- أن يُطابق القول العمل ولا يخالفه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾[الصف:٢-٣]. وقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[البقرة:٨-٩]. وقال: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨].

٤- أن يكون القول بينا واضحًا، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]. وجاء في الحديث الشريف: "كان كلام رسول الله ﷺ كلاما فصلا -أيْ بينا ظاهرا- يفهمه كل من يسمعه"(١). وجاء أيضا: "أن النبي ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تُفهم عنه..."(١).

٥- أن يكون القول بعيدا عن التقعير بالتشدق وتكلُّف الفصاحة، واستعمال وحشي اللغة ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم(٢) فقد جاء في الحديث: "إن الله يُبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة"(٣) وجاء أيضا: "إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقا، وإن

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب: باب الهدي في الكلام (٢٦٢/٤)(ح٤٨٣٩)، وأحمد (١٣٨/٦)، كلاهما عن عائشة، وهو حديث حسن، صحيح الجامع للألباني (ح٤٨٢٦).

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب العلم: باب من أعاد الحديث ثلاثًا ليُفهم عنه (٢٣٨/١) (ح٩٥- ٩٤)، عن أنس.

(٢) رياض الصالحين، حديث رقم (٩٤ و٩٥) وفتح الباري (١٨٨/١).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب: باب ما جاء في المتشدّق في الكلام (٣٠٣/٤)(ح٥٠٠٥)، والترمذي في كتاب الأدب: باب ما جاء في الفصاحة والبيان (٣٨٨/٤)(ح٢٨٦٢)، وقال: هذا حديث حسن، وأحمد (٦٥/٢)، كلهم عن ابن عمرو.

أبغضكم إلي، وأبعدكم مني يوم القيامة: الثرثارون، والمتشدقون، والمتفيهقون"(١)

وقد فسر الإمام النووي في "رياض الصالحين" هذه الأوصاف بقوله:

"الثرثار: هو كثير الكلام تكلفا، والمتشدق: المتطاول على الناس بكلامه، ويتكلم بملء فيه تفاصحا وتعظيما لكلامه، والمتفيهق: أصله من الفَهْق، وهو الامتلاء، وهو الذي يملأ فمه بالكلام ويتوسع فيه، ويُغرِب به تكبرا وارتفاعا، وإظهارا للفضيلة على غيره..."(٢).

إلى غير ذلك من مظاهر الحكمة في القول، وآداب البيان والموعظة التي لا تخفى على الداعية الحكيم، فقد جاء عن رسول الله ﷺ: **"إن طول صلاة الرجل، وقصر خطبته مَئِنّة من فقهه، فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة"(٣)**.

وجاء أيضا عن موعظة رسول الله ﷺ:

"كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا"(٤).

- تنبيه:

إنه مع أهمية وسيلة القول والأمر بها، فقد نبهنا الشارع إلى أهمية التحفظ منها والتريث في الكلام ومراقبته، فقد جاء في الحديث الشريف:

"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرا أو ليصمت"(٥). وجاء

---

(١) أخرجه الترمذي في كتب البر والصلة: باب ما جاء في معالي الأخلاق (٣/٤٠٩) (ح٢٠٢٥)، وقال: هذا حديث حسن، وأحمد (٢/٣٦٩)، كلاهما عن جابر.

(٢) رياض الصالحين ص: (٢٨٩ - ٢٩٠).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة: باب تخفيف الصلاة والخطبة: (٢/٥٩٤)(ح٤٧)، عن عمار.

(٤) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب العلم: باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا (١/٢٠٣) (ح٦٨)، ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم: باب الاقتصاد في الموعظة (٤/١٧٢)(ح٨٢)، كلاهما عن عبد الله.

(٥) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الأدب: باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه (١٠/٦٤٣)(ح٦١٣٦)، ومسلم في كتاب الإيمان: باب الحث على إكرام الجار والضيف (١/٦٨)(ح٧٥)، كلاهما عن أبي هريرة.

أيضا: "**وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى، لا يُلقي لها بالا يهوي بها في جهنم**"[(١)].

وجاء في حديث معاذ رضي الله عنه بعد أن بين له رسول الله ﷺ أبواب الخير:

"**ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟** قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه قال: **كُف عليك** هذا، قلت: يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: **ثكلتك أمك، وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم؟**"[(٢)].

فلا يصح للداعية أن يشغله فضل القول عن خطره، ويكفي المؤمن تحذيرا من فتنة القول، قوله تعالى: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ [ق: ١٨].

ب- وسيلة المِرناة – أيْ: "التلفاز":

- تعريفها:

المِرناة هو: اصطلاح مولد عرفه واضعو المعجم الوسيط بأنه "جهاز نقل الصور والأصوات بوساطة الأمواج الكهربية" واجتهد بعضهم في تسميته بـــ: (الرائي)[(٣)].

وهو من الوسائل العلمية والفنية التي جمعت بين خصائص الوسائل السمعية والبصرية، وقد انتشرت في العصر الحديث بعد اختراعها انتشارا كبيرا، حتى لا يكاد يخلو من المِرناة بيت من بيوت الناس.

- أهميتها:

تبرز أهمية هذه الوسيلة الحديثة من عدة وجوه، منها:

١- اجتماع أهم خصائص الوسائل السمعية والبصرية فيها، وذلك مثل:

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الرقاق: باب حفظ اللسان (٣٦٤/١١)(ح٦٤٧٨)، عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان: باب ما جاء في حرمة الصلاة (٢٨٠/٤)(ح٢٦٢٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجة في كتاب الفتن: باب كفّ اللسان في الفتنة (١٣١٤/٢) (ح٣٩٧٣).

(٣) انظر (المعجم الوسيط) مادة (تلف) (٨٦/١).

أ- الامتــداد الزماني والمكاني، حيث تســتغرق هذه الوسيــلة الزمان في البث، وقد لا تخلو ساعة من بث هوائي من بلد من البلدان، كما تخترق الحواجز الجغرافية، فلا يقف أمامها بُعْدٌ أو قرب، ولاسيما بعد اختراع الأقمار الصناعي.

ب- تنوع موضوعاتها التي تبث فيها بحيث تلامس حاجات الناس ورغباتهم المتعددة.

ج- سهولة الاستماع إليها والمشاهدة لها، فلا تكلف جهدا كبيرا، ولا تتطلب وقتا خاصا، فيسمعها السامع قائما وقاعدا، وعلى الطعام وأثناء الكلام، وعند التمدد للنوم... وهكذا.

٢- شدة جاذبيتها للناس، حيث ترتكز على حاسة السمع والبصر معا، ومن هنا نجد المشاهدين لها والمتابعين للبث فيها أكثر بكثير من المتابعين للإذاعة وحدها أو للصحف. وقد برزت جاذبيتها بما تطورت إليه من بث ملون جذاب.

٣- كثرة توفرها ورخص ثمنها حيث تسابقت الشركات العالمية في صناعتها وتصديرها وتقليل ثمنها.

٤- تنوع المشاهدين لها والمتابعين لبرامجها من الكبار والصغار، والرجال والنساء، والمثقفين وغيرهم، وما إلى ذلك من خصائص تجعلها من أخطر الوسائل الحديثة انتشارا[(١)].

- واقعها:

المِرناة وسيلة مادية تصلح لأن تستعمل للخير أو الشر، إلا أنها بحكم الدول التي اخترعتها، والأيدي التي تتولى عليها - غالبا - ما تستخدم للشر؛ إما رغبة

---

(١) راجع في هذا كتاب (المسرح الإسلامي روافده ومناهجه) لأحمد شوقي قاسم ص (٤٠٠ - ٤٠١)، وكتاب: (وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة) لمحمد موفق الغلاييني، و(التمثيلية التلفازية واستخدامها في مجال الدعوة) للباحث: محمد حسن هادي، المقدم لنيل درجة الماجستير في قسم الإعلام بالمعهد العالي للدعوة في المدينة عام ١٤٠٥هـ.

في إشاعة الأفكار السيئة، والعادات القبيحة عن قصد وتخطيط، وإما إشباعا لرغبات الناس المتنوعة، وجذبا لهم دون مراعاة للضوابط الشرعية والخلقية عن إهمال وغفلة، وإما مَلْـئًا للفراغ مع قلة البرامج الخيرة وندرتها، رغبة في الإكثار من ساعات البث... وما إلى ذلك من أسباب ودوافع تختلف من بلد إلى آخر.

وقد قصر الدعاة كثيرا في معالجة هذه الوسيلة، واختلفت مواقفهم منها، فمنهم من قاطعها وهجرها وابتعد عنها، ومنهم من شارك فيها مشاركة فردية أو ارتجالية لم تُجد في إصلاح واقعها، ومنهم من حارب وجودها، وكسّر أجهزتها، أو حرم دخولها إلى بيته... وهكذا.

وعلى الرغم من تنوُّع هذه المواقف تجاهها، لم يحصل تغيير يذكر في واقعها، وإنما كثر شيوعها وانتشارها، وعظم تأثيرها في الكبار والصغار، وأقبل الناس عليها مستسلمين لواقعها، مستقبلين ما تبثه عليهم من خير أو شر، وإن غالب ما تبثه مشوب اختلط فيه الحلال بالحرام، وإن كان يختلف قلة وكثرة من بلد إلى آخر.

واشتد خوف الدعاة المصلحين مما تطور إليه البث الهوائي، وما وصل إليه من استقبال البث المباشر عن طريق القمر الصناعي الذي يبث فيه من أنحاء الدنيا ما تريد الدول بثه من برامج، وما تدعو إليه من دعوات.

حتى فكر بعضهم بالمعالجات السلبية من تشويش على بعض القنوات، ومنع من استيراد بعض الأجهزة الحديثة المعينة على استقبال البث المباشر... وغير ذلك.

حكمها:

لقد اشتملت وسيلة "المرناة" نظرا لما يُعرض فيها على ثلاثة أنواع من أنواع الوسائل من حيث حكمها، وهي:

أ - "الوسيلة المباحة: نظرا لما يبث فيها من خير أو مباح.

ب - الوسيلة المشوبة: نظرا للبرامج المشوبة الكثيرة التي اختلط فيها الخير بالشر، والحلال بالحرام.

ج - الوسيلة المختلف في حكمها: نظرا لما تقوم عليه من أنواع التصوير الذي اختلف العلماء في حكمه وهذا التنوع جعل الحكم عليها صعبا ومعقدا، كما جعل عملية علاجها عسيرة وشاقة. فلا يستطيع المسلم أن يحكم بتحريمها مطلقا لمجرد غلبة الشر عليها؛ إذ أن هذه لغلبة تتفاوت من مكان إلى آخر، ومن قناة إلى أخرى، بل من برنامج إلى برنامج، كما لا يستطيع أن يحكم بحلها مع ما خالط برامجها من محرمات ومفاسد، ولا يستطيع أن يعاملها معاملة المختلف فيه من كل وجه؛ لأن كثيرا من المحرمات والمفاسد التي تعرض فيها ليست من المختلف فيه.

لذا، فالأولى التفصيل في حكمها تبعا لحال السائل والمستفتي: فيقال مثلا:

"يحرم استعمالها على من عرف من نفسه عدم القدرة على ضبطها والتحكم فيها في نفسه وأسرته، ويجوز استعمالها لمن عرف من نفسه القدرة على ضبطها والتحكم فيها في نفسه وأسرته".

إلا أن هذا التحكم فيها والضبط لها لابد له من تربية عملية دقيقة يشرف عليها الآباء والمربون، ومن ضوابط شرعية واضحة يتقيد بها المسلمون، يعرفون بها الحلال والحرام، وما تجوز مشاهدته وما لا تجوز مشاهدته.

وبغير هذين الأمرين: التربية والإشراف، ووضع الضوابط الشرعية، يصعب أن تتصور السلامة من استخدام هذه لأجهزة بوجه من الوجوه، كما هو واقع في كثير من البيوت المسلمة التي دخلتها المرناة، والتي لم تدخلها.

فإن الطفل المسلم الذي يُدَرَّبُ على أسلوب التحكم في هذه الأجهزة من صغره، أقدر من غيره عند الكبر على التحكم فيها، والانضباط بالضوابط

الشرعية في استخدامها، ومن السهل أن يُنَشّأ الطفل على التحكم والانتقاء في بيت منضبط يحرص على ذلك،كما هو الشأن في تعامل البيوت مع الأجهزة المنـــزلية الخطيرة الأخرى، كالأفران الغازية أو الكهربائية وما إليها.

أما الطفل الذي يحجز عن هذه الأجهزة حجزا كاملا توقيا لخطرها، كثيرا ما يكون أول ضحية لها ولأسلوب استخدامها عندما تحين فرصة لاستخدامها، أو تدفعه رغبة إليها. فليحرص الآباء والمربون على تقديم هذه التجربة لأبنائهم وأسرهم، قبل أن تغزوهم في عقر دارهم مستقبلا، وتتحكم فيهم مستفيدة من عقدة الحرمان، ومستغلة الغرائز والشهوات، وليذكروا دائما مسئوليتهم في التربية والتعليم، وليستجيبوا لنداء الله ﷻ لهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]. وقوله: ﴿قُلْ إِنَّ الخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ المُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥].

ومما هو جدير بالذكر أن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية قد أفتت فيما يتعلق بمشاهدة "المرناة" بما يأتي:

"الجلوس أمام التليفزيون جائز إن كان المسموع غير محرم، كتلاوة القرآن والنشرات التجارية والأخبار السياسية، وممنوع إن كان المسموع محرما كالأغنيات الخليعة والكلمات الماجنة وأصوات المغنيات ولو بأغنيات غير ماجنة، وأغاني الرجال الذين يتكسرون في غنائهم أو يتخنثون فيها، وبالجملة فالجلوس والاستماع تابعان لحكم المسموع حلاً وحرمة، وقد يمنع ما كان جائزا من السماع والجلوس من أجل الإفراط فيه، وتضييعه لفراغ قد يكون الإنسان في أمس الحاجة إلى شغله بما يعود عليه وعلى أسرته والأمة بالنفع العميم والخير الكثير، والأحوط في ذلك تركه؛ لأنه قد يكون وسيلة إلى سماع ورؤية ما يحرم سماعه ورؤيته"[١].

---

(١) فتاوى إسلامية لمجموعة من العلماء، (ص ٤٦٠).

فأي غضاضة في هذا المنطق السديد والفهم الرشيد الذي تدعمه فتاوى الفقهاء ولجان الإفتاء المتخصصة.

ج- وسيلة التمثيل:

تعريفها:

التمثيل لغة: التشبيه، يقال: مثّل الشيء بالشيء تمثيلا وتمثالا: شبّهه به، وقدّره على قدره[1].

ومثّل له تمثيلا: صوره له بكتابة أو غيرها حتى كأنه ينظر إليه[2]، قال تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِياًّ﴾ [مريم: ١٧].

والتمثيل في الاصطلاح: عرفه بعضهم بقوله:

"عرض حيٌّ لقصة وأصحابها، واقعة أو متخيلة"[3]. وعرفه آخرون بقولهم: "تجسيد الحادثة التاريخية أو الواقعة الاجتماعية أو الموقف السياسي، أو الفكرة التوجيهية بشخصيات بشرية، أو صور مادية وحسية"[4].

والتمثيل فن قديم عُرِف عند اليونان وغيرهم، و لم يدخل حياة المسلمين في عصورهم الأولى، وعَرَف المسلمون أنواعا مبسطة منه في العصور المتقدمة عرفت بـــ"خيال الظل" وتمثيل الوعاظ والمعلمين، ثم أصبح في عصرنا هذا فنًّا مستقلا له رواده ومدارسه وأشكاله[5].

- أهميتها:

تظهر أهمية التمثيل كوسيلة من الوسائل في هذا العصر، من وجوه عدة، منها:

---

(١) انظر (المعجم الوسيط) مادة (مثل) (٨٥٣/٢).

(٢) انظر (تاج العروس) للزبيدي مادة (مثل) (١١١/٨).

(٣) انظر بحث (التمثيل: حقيقة وحكما) لبكر بن عبد الله أبو زيد (ص ٦).

(٤) انظر (حكم الإسلام في وسائل الإعلام) لدكتور عبد الله علوان (ص٤٠ و ٤١).

(٥) انظر بحث (التمثيل: حقيقة وحكما) ص: (٧ - ٩).

١- جمعها بين خصائص الوسائل اليدوية والسمعية والبصرية في وقت واحد، مما زاد في جاذبيتها وإقبال الناس عليها.

- تنوع أشكالها وموضوعاتها، فمنها: المأساة، والملهاة، والقصة الشعبية، والهزلية، ومنها: المُسَلْسَلَة والسِلْسلةَ وغيرها[١].

"وبهذا أصبحت التمثيلية أكثر البرامج التلفازية جذبًا للمشاهدين، وتعد أنجح أسلوب في عصرنا لربط الجماهير الغفيرة بعملية المتابعة بتلهف وشغف، فهي تجتذب المشاهدين وتملك عليهم عقولهم، وتأسر أفئدتهم"[٢].

- حكمها:

اختلف العلماء اليوم في حكم التمثيل اختلافا واسعًا، كما رويت عن بعض العلماء السابقين أقوال بمنع بعض الأشكال التي عرفت في زمانهم، حتى روي عن بعضهم تكفير من تشبه بالمذكرين والوعاظ والمعلمين، فسألوا المسائل وهم يضحكون ويستهزئون، كما روي عن بعضهم عدم التكفير به[٣].

وقد شدد في حكمه بعض المحدثين حتى كاد أن يصل فيه إلى التحريم القطعي المعلوم من الدين بالضرورة وجَعْله من أكبر الكبائر[٤].

وفرق آخرون بين نوع وآخر، فحرم هذا وأباح هذا، وكره ذاك،[٥] كما أباحه آخرون بشروط وضوابط[٦].

(١) بحث (التمثيلية التلفازية واستخدامها في مجال الدعوة) ص: (٥٦ - ٧٠).

(٢) راجع بحث (التمثيلية التلفازية) لمحمد حسن هادي ص: (٢٦) وما بعدها.

(٣) انظر ما نقله بكر بن عبد الله أبو زيد عن الإمام النووي وابن حجر الهيثمي في بحثه (التمثيل: حقيقة وحكمًا) ص: (١٣).

(٤) كما فعل الشيخ أحمد الغماري في كتابه (إقامة الدليل على حرمة التمثيل) ص: (٥ - ٦).

(٥) انظر كتاب (البيان المفيد عن حكم التمثيل والأناشيد) لعبد الله بن عبد الرحمن السليماني؛ ففيه نماذج لهذه الأقوال والفتاوى. وممن ذهب إلى الكراهة: الشيخ صالح اللحيدان، انظر ص: (٤٦ و٤٧) من هذا الكتاب.

(٦) راجع كتاب (حكم الإسلام في وسائل الإعلام) للدكتور عبد الله علوان ص: (٤٠) وما بعدها، وكتاب (حكم التمثيل في الدعوة إلى الله) للشيخ أبي عبد الرحمن عبد الله بن محمد آل هادي.

ونظرا لدقة البحث في حكم التمثيل وكثرة الاختلاف فيه من جهة، ولأن المسألة بحاجة إلى مزيد من المتابعة والبحث العلمي من جهة أخرى، نرى أن نعاملها اليوم معاملة الوسائل المختلف في حكمها، وقد سبق في المبحث الأول من هذا الفصل ضوابط ذلك.

ويمكن إجمال الأقوال فيه وأدلتها بما يأتي:

١- ذهب قوم إلى تحريمه تحريما قاطعا، وجَعْله من أكبر الكبائر، كما فعل الشيخ أحمد الغماري، واستدل على ذلك بأدلة كثيرة عامة، ولعل أقوى ما استدل به على قوله: أن التمثيل نوع من اللهو الباطل، ونوع من الكذب، والتشبه بالكفار، وما دام الكذب محرما قطعا، فيكون التمثيل كذلك.[١]

٢- وذهب بعضهم إلى تحريمه معتمدا في ذلك على ترك الرسول ﷺ له في عهده، كما فعل الدكتور عمارة نجيب في كتابه "فقه الدعوة والإعلام"[٢] وما إلى ذلك من أدلة.

٣- وذهب آخرون إلى تحريمه أيضا معتمدين في ذلك على أن التمثيل أول ما نشأ كان شعارا تعبديا للكفار، وقد نُهي المسلمون عن تقليدهم والتشبه بهم، هذا عن التمثيل في مجال العادات واللعب، أما التمثيل الديني: فهو في نظرهم ما جاء على سبيل التعبد، والعبادات موقوفة على النص ومورده، فيكون حراما؛ لأنه مُحْدَث وسموه "بالتمثيل البدعي"[٣]، وممن ذهب إلى هذا الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد في بحثه المقدم لمجمع الفقه الإسلامي في منظمة المؤتمر الإسلامي، والشيخ حمود بن عبد الله التويجري،[٤] وغيرهم.

---

(١) راجع كتاب (إقامة الدليل على حرمة التمثيل) ص: (٦ - ٣٥).

(٢) انظر كتاب (فقه الدعوة والإعلام) ص: (٢١٥، ٢١٦).

(٣) انظر بحث (التمثيل حقيقة وحكمًا) ص: (١١ و٢٣).

(٤) انظر كتاب (البيان المفيد): ص (٤١).

٤- وذهب آخرون إلى إباحته :بشروط وضوابط، وتحريم أنواع خاصة منه، كتمثيل الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- أو الصحابة الكرام، وما إلى ذلك، وممن ذهب إلى هذا الشيخ صالح الفوزان(١)، والشيخ صالح بن محمد اللحيدان(٢)، والشيخ محمد بن صالح العثيمين(٣)، والشيخ عبد الله علوان(٤)، والشيخ مصطفى الزرقا وعدد من العلماء والباحثين المعاصرين(٥).

وقد سبق للمعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة أن وجّه أسئلة واستفتاءات علمية حول بعض الوسائل الحديثة التي يحتاج إليها قسم الإعلام فيه إلى بعض العلماء والمؤسسات العا مية، وكان من هذه الوسائل التصوير الفوتغرافي والتلفازي، والتمثيل فوصل إليه عدد من الإجابات من بعض الهيئات والعلماء، ينص معظمها على حكم الإباحة بشروط(٦).

واستدل معظم من قال بالإباحة، بأنها الأصل في هذه الأمور، واكتفوْا بمناقشة أدلة المحرمين وتضعيف دلالتها على التحريم(٧)، وتوسع بعضهم في الاستدلال عليها ببعض النصوص الشرعية العامة التي احتوت نوعا من أنواع

---

(١) انظر كتاب (البيان المفيد) (ص: ٥١).

(٢) انظر المصدر السابق: (ص ٤٦ - ٤٧).

(٣) انظر المصدر السابق: (ص ١٠، ١١، ١٨).

(٤) انظر كتاب حكم الإسلام في وسائل الإعلام ص: ٤٠ وما بعدها.

(٥) وانظر بحثًا عن (ظاهرة فن التمثيل) مقدم لمجمع الفقه الإسلامي للدكتور محمد عبد اللطيف فرفور، نشرته صحيفة أخبار العالم الإسلامي في ٢١/ رمضان ١٤١٠ هـ، العدد/ ١٦٦/ السنة الخامسة والعشرون.

(٦) تم ذلك عام ١٤٠٥هـ.

(٧) انظر مثلا ما فعله الشيخ محمد بن صالح العثيمين في كتاب (البيان المفيد) ص: (١١ - ١٣) حيث نفى أن يكون التمثيل من الكذب الحرام.

التمثيل والتشبيه بصور مادية، أو أشخاص بشرية[1].

ونظرا لعدم استيفاء البحث في هذه المسألة الخلافية الدقيقة، يكتفى ببعض الملاحظات والتعليقات العلمية على بعض الأقوال السابقة، مع سَوْق فتوى لبعض أهل العلم فمن ذلك:

١- لا يصح الاستدلال في هذا المقام على التحريم: بأن التمثيل كان شعارا للكفار قديما، لأن العلماء أوضحوا بأن الأمر الذي كان شعارًا لكفر إذا خرج عن كونه شعارا لهم جاز فعله[2]، ولا يخفى أن التمثيل اليوم عمّ بوجه لم يعد فيه شعارا لقوم دون غيرهم.

٢- لا يصح القول "بأن الدعوة إلى الله توقيفية في وسيلتها وغايتها، والوسيلة لا تبررها الغاية، وهذه الوسيلة تعبدية محدثة فسبيلها الرد ابتداء"[3]؛ وذلك لأن الوسائل الدعوية كغيرها من الوسائل التي يستخدمها المسلمون في حياتهم، متطورة من عصر إلى عصر، ويكفي فيها أن تكون محكومة بالضوابط الشرعية التي ذُكرت في المبحث الأول من هذا الفصل، والفرق واضح بين كون الشيء تعبديا توقيفيا وكونه محكوما بالحكم الشرعي.

٣- ولا يصح أيضا القول بأن "التمثيل الديني" اليوم يعني "التعبدي"[4]، فالتعبدي: ما كان على سبيل التعبد والتقرب إلى الله به، والديني في الاصطلاح: هو ما كان مضمونه دينيا، سواء كان قصة دينية، أو تمثيلا لغزوة من الغزوات،

---

(١) انظر مثلا ما فعله الشيخ عبد الله علوان في كتابه (حكم الإسلام في وسائل الإعلام) ص: (٤٠-٤٩)، وما فعله كل من: الشيخ صالح الفوزان، والشيخ ابن عثيمين، والشيخ مناع القطان في مقابلات أجراها معهم الباحث محمد حسن هادي في بحثه (التمثيلية التلفازية) ص: (١٨٠، ١٩٠).

(٢) انظر (فتح الباري) (١٠/٢٧٥، ٣٠٧) الطبعة السلفية.

(٣) انظر قول بكر بن عبد الله أبو زيد في بحثه (التمثيل حقيقة وحُكمًا) ص: (٢٠).

(٤) انظر قول بكر بن عبد الله أبو زيد في بحثه (التمثيل حقيقة وحُكمًا) ص: (١١).

أو تجسيدا لـــخُلُق إسلامي كريم... وهكذا.

٤- ولا يصح الاستدلال بترك الرسول ﷺ للفعل على تحريمه هكذا بإطلاق، كما فعل الدكتور "عمارة نجيب"[(١)]، وإنما لابد من تقييد الترك بثبوت وجود المقتضي للفعل في زمنه قطعا، وهذا يصعب إثباته في معظم ما تركه ﷺ أو تركه السلف الصالح، ومن هنا لم يُدْخِل أحد من علماء السلف في تعريف السنة تركه ﷺ للشيء، وإنما عرفوها بأنها ما صدر عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، وقد استقر منهج الخلفاء الراشدين -رضوان الله عليهم- على أن الأمر الجديد الذي لم يفعله رسول الله ﷺ ينظر فيه من حيث ذاته، فإن كان خيرا يفعل، وإلا تُرِكَ، كما تمّ بعد المناقشة في ذلك بين الخليفتين الراشدين أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- في مسألة "جمع القرآن"، حيث استدل أبو بكر رضي الله عنه أولا بقوله: "كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟" وأجابه عمر رضي الله عنه بقوله: "والله إنه خير" ثم قال أبو بكر: "فلم يزل عمر يراجعني، حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر". وبمثل هذا الجواب أجاب الخليفتان -رضي الله عنهما- زيد بن ثابت رضي الله عنه لما استشكل الإشكال نفسه فقالا: والله إنه خير ...[(٢)]" فكانت هذه سنة راشدة ثابتة، والله أعلم.

وقد سئل فضيلة الشيخ عطية صقر، رئيس لجنة الفتوى بالأزهر عن حكم دراسة فن التمثيل واحترافه فأجاب بما نصه:

"التمثيل هو تقليد أو حكاية لشخصيات ذات أحداث وقعت، أو أحداث متخيلة في الماضي أو الحاضر أو المستقبل. وهو أسلوب للتثقيف والترفيه، وليس هو الوسيلة الوحيدة لذلك حتى يتجاوز عما فيه من بعض السلبيات. فهناك

---

(١) انظر كتاب (فقه الدعوة والإعلام) ص: (٢١٥، ٢١٦، ٢١٧).

(٢) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب التفسير: باب من سورة براءة (٤٢٦/٨)(ح٤٦٧٩).

القراءة والرحلات وغيرها.

وقد يكون التمثيل لشخصيات تاريخية يصور حياتها بالقول والفعل -أي: بالكلمة والحركة- فإن كان صادقا شكلا وموضوعا، ويستهدف غرضا شريفا أُعطي حكم الخبر الصادق، وهو الجواز، وإن كان غير صادق في شكله كَيفًا أو كَمًّا، أو في موضوعه قولا أو فعلا أعطى حكم الخبر الكاذب وهو المنع، ولا يستباح هذا الكذب حتى لو كان الغرض صحيحا، فهو ليس من الضرورات التي تباح من أجلها المحظورات.

وإن كانت الشخصيات اختراعية، كما هو الشأن في القصص الذي لا تعني شخصا معينا، وقد يكون على لسان بعض الحيوانات كما في كتاب "كليلة ودمنة" فإن كان الهدف صحيحا، والمادة لا تحوي أمرا محظورا، والأداء نفسه يكون ملتزما بالآداب الإسلامية، ولم يؤد تعلمه أو احترافه إلى تقصير في واجب أو ضرر بدني أو عقلي أو مالي أو خلقي أو غير ذلك من الأضرار كان التمثيل حلالا، يستعان به على إبراز المعاني بصورة محسوسة كأنها حقيقية.

هذه قيود دقيقة لضبط التمثيل المقبول من غيره، والخروج على أي واحد منها يجعله ممنوعا بقدر ما يكون عليه الخروج من حرمة أو كراهة.

فلو كان الهدف منه استهزاء بشخصية محترمة، أو دعوة إلى مبدأ مخالف للدين والخلق، أو كانت المادة محرمة ككذب أو اختلاق حديث نبوي مثلا، أو كان الأداء غير ملتزم بالآداب كالتخنث وكشف المفاتن، وتشبه المرأة بالرجل أو الرجل بالمرأة، وكالقبلات بين الجنسين وما شاكل ذلك، أو أدى الاشتغال بالتمثيل إلى تقصير في واجب ديني أو وطني مثلا، أو أدى إلى فتنة أو ضرر لا يحتمل -كان ممنوعا.

ولا يقال إن القبلات أو شرب المحرمات أو الرقص هو لتصوير حال بعض

الناس، وليس المراد من ذلك حقيقة ما يعمل، بل هو تمثيل. لا يقال ذلك؛ لأن الغاية لا تبرر الوسيلة، والغاية يمكن التوصل إليها بطرق مشروعة، كحكاية الخبر بالأسلوب المقروء أو المسموع، كما في الكتب المشحونة بالقصص وحكاية أحوال السابقين بكل ما فيها.

كما لا يقال إن هذه الأمور هي من وسائل الإيضاح، فوسائل الإيضاح المباحة موجودة، وليس ذلك ضرورة كما قلنا، فحياة المسلمين بالذات قامت في أزهى عصورها على الثقافة الأصيلة والترفيه الحلال، و لم تعرف تمثيلا رخيصا أو هابطا كما يشاهد في هذه الأيام"(١).

د- وسيلة إقامة الجماعات والمنظمات الدعوية:

- تعريفها:

تطلق الجماعات والمنظمات الإسلامية غالبًا على المؤسسات الدعوية ذات الأهداف العامة، كما تطلق "الجمعيات" و"الهيئات" على المؤسسات الدعوية ذات الأهداف الخاصة، فيقال: جماعة دعوية ومنظمة دعوية، كما يقال: هيئة خيرية، أو جمعية خيرية.

ويمكننا أن نعرّف الجماعات والمنظمات الإسلامية بأنها:

"مجموعة من الناس، التقت على هدف واحد، ضمن إطار تنظيمي واحد".

أنواعها:

ويمكن أن نُقسم الجماعات والمنظمات الإسلامية إلى نوعين أساسيين:

- المنظمات الرسمية.
- المنظمات الشعبية.

ونريد بالمنظمات الرسمية: ما كان له طابع رسمي كالدولة، أو كان منبثقا

(١) أحسن الكلام في الفتاوى والأحكام، (٢/٣٠٢).

عن الدولة، أو معترفا به من جهة الدولة، وذلك مثل: رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، والرئاسة العامة للبحوث العلمية والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، والندوة العالمية للشباب فيها. وما إلى ذلك.

ونريد بالمنظمات الشعبية: ما ليس له طابع رسمي، وأنشأه أفراد، ولم تعترف بها الدولة، وذلك مثل:

جماعة الإخوان المسلمين في بعض الدول الإسلامية، والجماعة الإسلامية في باكستان والهند في بعض أحوالها، وجماعة التبليغ في الهند، وما إلى ذلك من جماعات إسلامية شعبية كثيرة.

كما يمكن أن تقسم المنظمات والجماعات تقسيمات أخرى بحسب أهدافها وأعمالها، أو بحسب انفتاحها وانغلاقها، وما إلى ذلك من اختلافات جوهرية في أهدافها أو طبيعتها.

– نشأتها:

أول من أنشأ جماعة إسلامية بالمعنى العام في تاريخ الإسلام والمسلمين هو سيدنا الرسول ﷺ، حيث كون جماعة مسلمة شعبية في مكة المكرمة، ثم تحولت إلى جماعة رسمية في المدينة المنورة، حيث صار للمسلمين دولة تضمهم وتنظم أمورهم.

واستمرت هذه الجماعة بعده ﷺ يرعاها الخلفاء من بعده، تقوى أحيانا وتضعف أحيانا حتى سقوط الخلافة الإسلامية.

وانبثقت عن هذه الجماعة الدعوية –الدولة المسلمة– جميع المؤسسات الدعوية، والمنظمات على مر العصور الإسلامية؛ لأن الدولة المسلمة تعدّ في حقيقتها أكبر المؤسسات الدعوية، التي قامت على أساس الإسلام، ومن أجل الحفاظ عليه وتطبيق حدوده وأحكام الله في الأرض، ومن ثم نشره في العالم كله.

أما المؤسسات الشعبية والجماعات الإسلامية الأخرى، فقد نشأت الحاجة

إليها في العصر الحديث، ولاسيما بعد سقوط الخلافة، وفَقْد المسلمين الدولة المسلمة في كثير من أوطانهم، حيث رأى بعض الدعاة والمصلحين ضرورة تكوين جماعة إسلامية تعوض ذلك الفقد من جهة، وتمارس بين أفرادها نظام السمع والطاعة، وتربيهم على النظام والانضباط، وتعمل على إعادة الدولة المسلمة بأيِّ شكل من أشكالها، أملاً في إعادة الخلافة الإسلامية الكبرى.

وأكدت الحاجة إلى وجود هذه الجماعات والمنظمات غفلة كثير من علماء الأمة وأهل الحل والعقد فيها عن واجبهم بعد سقوط الخلافة، الذي يعد من أولوياته: جمع كلمة أهل الحل والعقد من علماء الأمة وعقلائها وأصحاب الحل والعقد فيها، على كلمة واحدة، وأمير واحد يسمعون له ويطيعون، ويتعاونون معه على سد تلك الثغرة الكبرى في حياة الأمة التي يكوّنها غياب الإمام المسلم بمعناه الكامل[1].

فظهرت اجتهادات عديدة في ذلك، وأخذت في بعض الأحيان طابعًا فرديًّا، وأحيانا طابعا جماعيا تنظيميا، كما فعل كثير من علماء الأمة، وعدد من دعاتها الكبار، ولا تزال تظهر أمثال هذه الاجتهادات والمنظمات بتعددها في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، فكان منها القوي والضعيف، والمصيب والمخطئ.

ولعل بهذا البيان المجمل لنشأة الجماعات الدعوية والمنظمات -تندفع شبهة القائلين ببدعية ظهور هذه الجماعات، وتحريم الانتماء إليها، وتشبيهها بالفرق الضالة المنتسبة للإسلام، والمتفرقة فيه، أو بالأحزاب السياسية غير الإسلامية المنتشرة في هذا العصر.

أهميتها وخصائصها:

تبرز أهمية الجماعات والمنظمات الإسلامية، وخصائصها من عدة حيثيات، هي:

(١) راجع مثل هذه الأحكام في كتاب (الغياثي) لإمام الحرمين الجويني. ص: (٣٨٧ - ٣٩٣).

أ- من حيث الشكل.

ب- من حيث اهدف.

ج- من حيث المضمون.

أما من حيث الشكل: فهي عمل جماعي وليس عملا فرديا، وفضل العمل الجماعي على العمل الفردي ثابت في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. وجاء في الحديث الشريف: "عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد. من أراد بحبوحة الجنة، فليلزم الجماعة"(١) وجاء في الحديث: "يد الله مع الجماعة"(٢).

أما من حيث الهدف: فإن الجماعات الإسلامية عموما تهدف إلى التعاون على تحقيق مرضاة الله ﷻ، سواء على جميع المستويات ومختلف الميادين، أو على بعض المستويات والميادين، وتحقيق مرضاة الله ﷻ هو أسمى أنواع البر الذي يُتعاون عليه، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

أما من حيث المضمون: فإن مضمون العمل الجماعي يقوم على ثلاثة أسس هامة، هي:

التخطيط والتنظيم، والتطبيق والتنفيذ، والمتابعة لذلك كله؛ وذلك لأن العمل الجماعي أقدر على الوصول إلى التخطيط الكامل، وعلى التطبيق الصحيح للخطط، وعلى المتابعة لكل من التخطيط والتطبيق، من العمل الفردي الذي يقصر تخطيطه غالبا، ويصعب على الفرد تطبيقه، ويضعف صاحبه عن متابعته.

تعددها ومشروعيتها:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن: باب ما جاء في لزوم الجماعة (٦٨/٤)(ح٢١٧٣)، عن ابن عمر، وهو حديث صحيح، انظر صحيح الجامع للألباني: (ح٢٥٤٦).

تعـــددت الجماعات الإســـلامية تبعا لتعدد اجتهادات أصحابها ومؤسسيها -كما بينا سابقا في نشأتها- حيث اختلفت اجتهادات الدعاة والعلماء في المناهج الدعوية والأساليب والوسائل، كما اختلفت اجتهادات الفقهاء في الأحكام الشرعية، وذلك لأسباب مشابهة.

ومن هنا: كان التعدد في الجماعات الإسلامية ظاهرة طبيعية لا تضر بشكل من الأشكال ما دام الاتفاق قائما على المبادئ والمناهج الربانية.

وقد سبق الإمام ابن تيمية -رحمه الله- إلى تشبيه تعدد مناهج العلماء والدعاة بتعدد شرائع ومناهج الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- من بعض الوجوه، فقال:

"فالمذاهب والطرائق والسياسات للعلماء والمشايخ والأمراء، إذا قصدوا بها وجه الله تعالى دون الأهواء؛ ليكونوا مستمسكين بالملة والدين الجامع الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له، واتبعوا ما أنـــزل إليهم من ربهم من الكتاب والسنة بحسب الإمكان من الاجتهاد التام: هي لهم من بعض الوجوه بمنـــزلة الشرع والمناهج للأنبياء، وهم مثابون على ابتغائهم وجه الله وعبادته وحده لا شريك له، وهو الدين الأصلي الجامع، كما يثاب الأنبياء على عبادتهم الله وحده لا شريك له..."(١).

ومع إقرارنا لظاهرة التعدد في العمل الإسلامي، والجماعات الإسلامية نؤكد على وجود بعض السلبيات لهذا التعدد، يجب على الدعاة الصادقين علاجها. ونسوق طائفة من فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية تفيد مشروعية هذه التجمعات وعدم بدعيتها ومنع إلحاقها بالفرق، وفاضلت بينها بحسب قربها وبعدها عن الدليل، ونبهت إلى

(١) انظر: مجموعة الفتاوى (١٩/ ١٢٦ - ١٢٨).

مناصحتها، وطلبت من أربابها التعاون فيما بينها على البر والتقوى، وهذه نصوص الأسئلة والإجابات.

- السؤال الأول من الفتوى رقم ٦٢٥٠ من فتاوى اللجنة الدائمة:

س: في العالم الإسلامي اليوم عدة فرق وطرق الصوفية -مثلا- هناك جماعة التبليغ والإخوان المسلمين، السنيين، الشيعة. فما هي الجماعة التي تطبق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؟

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه، وبعد:

ج: أقرب الجماعات الإسلامية إلى الحق وأحرصها على تطبيقه أهل السنة، وهم أهل الحديث وجماعة أنصار السنة ثم الإخوان المسلمون، وبالجملة فكل فرقة من هؤلاء فيها خطأ وصواب فعليك بالتعاون معها فيما عندها من الصواب واجتناب ما وقعت فيه من أخطاء مع التناصح والتعاون على البر والتقوى.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

- السؤال الأول من الفتوى رقم ٧١٢٢ من فتاوى اللجنة:

س: في هذا الزمان عديد من الجماعات والتفريعات وكل منها يدّعي الانضواء تحت الفرقة الناجية ولا ندري أيها على حق فنتبعه، ونرجو من سيادتكم أن تدلُّونا على أفضل هذه الجماعات وأخيَـرِها فنتبّع الحق فيها مع إبراز الأدلة.

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه، وبعد:

ج: كل من هذه الجماعات تدخل في الفرقة الناجية إلا من أتى منهم بمكفّر يُخرج عن أصل الإيمان، لكنهم تتفاوت درجاتهم قوة وضعفا؛ بقدر إصابتهم للحق وعملهم به وخطئهم في فهم الأدلة والعمل، فأهداهم أسعدهم بالدليل فَهْمًا وعملا، فاعرف وجهات نظرهم، وكن مع أَتْبَعِهِمْ للحق وألزمهم

له، ولا تبخس الآخرين أخوتهم في الإسلام فترد عليهم ما أصابوا فيه من الحق، بل اتبع الحق حيثما كان ولو ظهر على لسان من يخالفك في بعض المسائل؛ فالحق رائد المؤمن، وقوة الدليل من الكتاب والسنة هي الفيصل بين الحق والباطل.

- فتوى رقم ١٦٧٤ من فتاوى اللجنة:

س: في الجامعة هناك جماعتان: اتحاد الطلبة المسلمين، وجماعة التبليغ، فلابد أنك تعرف هؤلاء الجماعتين، فأيتهما الجماعة التي يريدها الإسلام، هذا مع العلم بأني أرى شباب جماعة التبليغ أنشط بالدعوة إلى الله، وكذلك هم يتبعون السنة، وعندهم الإكرام، وطلبة الاتحاد على العكس من ذلك، الطالب المسلم البعيد عن الدين يحتقرونه، فيزداد بعدًا، هذا مع تقصيرهم في أعمال الإسلام؟

الجواب: العصمة من الخطأ ومن الانحراف عن الصواب إنما هي لكتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ الثابتة عنه، أو لإجماع الأمة، أما كل فرد من أفراد الأمة، أو كل جماعة على حدتها من جماعات الأمة: كجماعة التبليغ، أو جماعة اتحاد الطلبة المسلمين، أو جماعة الإخوان المسلمين، أو جماعة الشبان المسلمين، أو جماعة أنصار السنة المحمدية، أو الجمعية الشرعية لإحياء الكتاب والسنة المحمدية... إلخ، فكلٌ منها ليست معصومة؛ بل تخطئ وتصيب، ولها محاسن ومساوئ في الأحكام التي تدعو إليها أو تنشرها في طريقة دعوتها إلى ما تعتقده وتعمل به وتتبنى إرشاد الناس إليه وحملهم عليه.

وعلى كل جماعة من الجماعات الإسلامية أن تتعاون مع الأخرى فيما اتفقوا عليه من الحق وأن تتفاهم معها فيما اختلفوا؛ عسى الله أن يهدي الجميع إلى سواء السبيل، وعلى كل طائفة من هذه الجماعات أن تنصح للأخرى، فتثني عليها بما فيها من خير، وترشدها إلى ما فيها من خطأ في الأحكام أو انحراف: في العقيدة أو الأخلاق، أو تقصير في العلم أو البلاغ قصدًا للإصلاح وطلبًا

لاستدراك ما فات لا ذماً لها وتعييرا، عسى أن تستجيب لما دُعيت إليه فتستكمل نقصها، وتصلح شأنها، وتجتمع القلوب على الحق وتنهض بنصرته.

وعلى هذا يمكن أن نبين لك باعتبارك مع جماعة التبليغ أو مرجحا لجانبها على ما يبدو من سؤالك: أن جماعة التبليغ فيها نشاط للعمل بما تعتقد، ووداعة في الأخلاق، وعدم احتقار الناس، وفيها مسالمة لغيرها فلا تشتبك مع فرد ولا جماعة في جدل؛ ولا مع حكومة في خصومة أو نـــزاع، ولكنها غلَتْ في المسالمة والسلبية والإجمال في الدعوة حتى تركت الكلام في تفاصيل عقيدة التوحيد، وهو أصل الإسلام، وهو الذي بدأت به الرسل -عليهم الصلاة والسلام- دعوتهم، وصارحوا به أممهم، حتى قامت الخصومات والحروب بين الفريقين، وكان الجهاد في سبيل الله نصرة لدينه، وإعلاء لكلمته، و لم يُعرف عنهم مجرد الخروج والدعوة إليه، الذي هو من المبادئ والأصول المعروفة عند جماعة التبليغ، و لم يعرف عنهم مجرد المسالمة؛ بل كانوا يصدعون بالحق كما يحرصون على العمل به، لا يخشوْن في ذلك لومة لائم، ولا غَضْبة وجيه، أو حكومة ولو ترتب على ذلك اضطهاد وهجرة وحرب وقتل نفوس، و لم يعرف عن جماعة التبليغ أنهم وقفوا مواقف الرسل -عليهم الصلاة والسلام- في الدعوة إلى تفاصيل الشريعة: أصولها وفروعها، إنما لديهم مجرد خروج وإجمال في الدعوة، لا يصل بمن يخرج معهم إلى وعي إسلامي، أو معرفة بتفاصيل دينه، وليس في هذا اتباع لسنة الرسل -عليهم الصلاة والسلام.

وما ذكر فهو على سبيل المثال نصح لجماعة التبليغ عند هذه المناسبة، وعليهم أن يتصفحوا عملهم وطريقتهم في الدعوة، ويعرضوا ذلك على نصوص الشريعة، وما بيّنتْه من طرق العمل والدعوة، وتقارن بينه وبين ما هي عليه فما وجدتْه موافقا لزمته وحمدت الله على التوفيق، وما وجدته مخالفا أقلعت عنه، وتخلصت منه، واعتصمت بكتاب الله تعالى وهدي رسوله ﷺ.

أما الجماعات الأخرى فسوف ننصح لها إن شاء الله في المناسبات كما نصحنا، وننصح لكم، ونسأل الله التوفيق للجميع.

اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء

الرئيس	نائب الرئيس
عبد العزيز بن باز	عبد الرزاق عفيفي
عضو	عضو
عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان

المبحث الثالث: الخصائص العامة للوسائل الدعوية

سبق أن تحدثنا عن خصائص خاصة ببعض الوسائل الدعوية التي تكلمنا عنها، وإن هناك خصائص ومزايا لكل وسيلة من الوسائل تبرز من خلالها أهمية تلك الوسيلة وحاجة الدعاة إليها.

كما أن هناك خصائص عامة مشتركة لجميع أنواع الوسائل المعنوية منها أو المادية، ونعرض في هذا المبحث أهمها، فمن ذلك:

أ- خصيصة الشريعة:

ونعني بها: انضباط جميع الوسائل الدعوية بحكم الشرع، فلا يجوز للداعية الخروج على أحكام الشرع في مناهجه وأساليبه ووسائله؛ لأن الدعوة في حقيقتها: طريقة تطبيق الشريعة ومنهجها الذي رسمه الله لها، فلا يصح الخروج عليه في أيّ جانب من جوانبه.

وقد تحدثنا في ضوابط مشروعية الوسائل عن أن الغاية في الإسلام لا تبرر الوسيلة.

إلا أنه مما ينبغي التنبيه عليه في هذا المقام ما التبس على بعضهم في التعبير عن هذه الخصيصة الشرعية، فعبر عنها: (بالتوقيفية)، وبنى على ذلك أحكاما غريبة تمنع من بعض الوسائــل المستجدة في حياة الناس - كما أشرنا إلى ذلك

في وسيلة التمثيل؛ وذلك بناء على أن الخصيصة التوقيفية تعني: التوقف وعدم الاجتهاد في الأمر. وهذا يصح في مناهج العبادة وأساليبها وبعض وسائلها دون بعض، فإن من الوسائل العبادية ما يتطور ويتجدد، كبعض وسائل الطهارة، وأشكال إعمار المساجد، لا في أصل الطهارة، وأحكام المسجد.

ولذلك فإن تطور الوسائل الأخرى وعدم التوقيف فيها من باب أولى كما سيأتي في الخصيصة الثانية.

ب- خصيصة التطور:

الأصل في الوسائل والأساليب: التطور والتجدد، تبعًا لتطور عادات الناس وأعرافهم، ولتقدم العلوم والفنون، كما أن الأصل في المبادئ والأهداف والمناهج الربانية: الثبات وعدم التحول، تبعا لكمال الله وعصمة شرائعه، وإحاطة علمه، فإن لكل عصر أساليبه ووسائله في جميع نواحي الحياة، وإن هذه الوسائل المعاصرة قد تشترك مع وسائل عصر سابق، وقد تختلف عنها، فالداعية الحكيم هو الذي يختار لكل عصر وسائله المناسبة له، والموجودة فيه.

ولما فقدت بعض العصور وسيلة الكتابة والطباعة، كانت الوسيلة المتبعة لدى الدعاة من الأنبياء والمرسلين: المشافهة والقول، وعندما ظهرت الكتابة في حياة الناس، استخدمها الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، ونـزلت بعض الكتب والصحف السماوية مكتوبة.

فكان منهج الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- في جانب الوسائل استخدام الوسائل المتوفرة في عصرهم، ما دامت لا تخالف شرعا ولا خلقا، ومن هنا استخدم ﷺ وسيلة المأدبة -الدعوة إلى الطعام- من أجل جمع الناس على أمر يبلغهم عن طريقه دعوته[1].

(١) انظر منهج الدعوة إلى الله (ص: ٥٩).

كما استخدم تجمعات الأسواق وغيرها من أجل إيصال دعوته إلى الناس، وعَرْضها عليهم؛ لأنها كانت تستخدم للشعر والأدب، كما تستخدم للبيع والشراء.

وفي هذا يقول الشيخ أمين أحمد إصلاحي في كتابه "منهج الدعوة إلى الله":

"فلابد أن يراعي الداعي الحق الطرقَ المعروفة في زمانهم، حتى تكون دعوته أكثر وقعا وتأثيرا في النفوس والقلوب، فليجتمع بالناس كما يجتمعون، وليتحدث إليهم كما يحبون، وليلاحظ في التعرض لهم من الطرق ما يتفق وأوضاعهم وطبيعتهم وأسلوب حياتهم، فلو وطئ اليوم أحد بلاد أوربا وأمريكا ينشر فيها الدعوة، لوجب عليه أن يختار من وسائل الاتصال بالناس والاستئناس بهم وبثّ آرائه وأفكاره فيهم، ما يكون قد راج في حياتهم الاجتماعية والمدنية، فإن تنكر لهذه الوسائل وألــحّ على رفضها، فسوف تذهب جهوده سدى، ويكون سعيه نفخا في رماد أو صوتا في واد.

وكل ما يحتاج إليه الداعي إلى الله في هذا الصدد، هو أن يتحاشى من الوسائل المتبعة المفضلة لدى الناس –ما يؤدي إلى الفساد الخلقي..."إلى أن قال: "وعلى الداعي أن يتفادى من وسائل استقطاب الناس ما يحطُّ من شأن الدعوة، أو ينال من شخصيته ومكانته"[(١)].

ج– خصيصة التكافؤ:

ونريد بها: التماثل والموازاة بين الوسيلة والغاية التي تستعمل من أجلها، فالوسيلة القاصرة عن الغاية، والضعيفة، لا يمكن أن توصل إلى الغاية في الوقت المناسب، ولا بالكيفية المطلوبة.

وتكافؤ كل وسيلة بحسبها، وبحسب الغاية المستخدمة من أجلها، فالإعداد

(١) راجع كتاب (منهج الدعوة إلى الله) ص: (٥٧ – ٦٣) ففيه فوائد عديدة حول هذه الخصيصة.

للعدو، والعمل على اكتساب القوة المادية والمعنوية لمقاومته مطلوبٌ، ولا يكفي فيه مجرد إعداد، وإنما يجب فيه بذل الوسع والطاقة لتكون القوة مُرهبة للعدو مخيفة له، ولا تكون الوسيلة مرهبة للعدو إذا لم تكن مكافئة لما عنده من وسائل، بل متفوقة عليه، ومن هنا جاء أمر الله ﷻ عباده بالإعداد موضحا فيه هذا المعنى، فقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

ومن هنا: عمدت الدول اليوم إلى ما يسمى "بسباق التسلح" لترهب كل واحدة منها الأخرى، فعلى الدعاة واجب كبير في هذا المجال، وهو سهل على من يسره الله عليه، إذا فهم هذه الخصيصة، ووضع لها خطتها، وتوكل على الله، ولعل واجب الدعاة في هذا الجانب يتوزع على الفرد وعلى الجماعة، كما يتوزع على الشعوب المسلمة والدول المسلمة.

فالمسؤولية عامة مشتركة، وكل يطالب في حدود إمكاناته وقدراته، ويحاسب بحسب تقصيره في ذلك فما يمكن أن يقدمه الفرد الداعية غير ما يمكن أن تقدمه الجماعة والمنظمة، وما يمكن أن تقوم به الدولة المسلمة غير ما يمكن أن تقوم به الشعوب. والله المعين والموفق.

خلاصة الفصل الأول

- الوسيلة الدعوية: هي ما يستعمله الداعية من إمكانات يُوصِل بها الدعوةَ إلى المدعوين، وغالبا ما تكون حسية.

- أساليب الدعوة: هي الكيفيات التي يتم بها أداء الدعوة، وتبليغها من الأمور المعنوية الفنية، وأنواع المسالك التأثيرية، وهي في الغالب غير حسية.

- الفرق بين الوسيلة والأسلوب: أن الأسلوب طريقة في العمل، بينما الوسيلة هي العمل نفسه، أو بعض ما يعين على الوصول إلى الهدف.

- يمكن تلخيص ضوابط مشروعية الوسائل الدعوية في خمسة ضوابط، هي:

أ - النص على مشروعية الوسيلة، أو طلبها بوجه من أوجه الطلب.

ب - النص على تحريم الوسيلة، أو النهي عنها بوجه من أوجه النهي.

ج - دخول الوسيلة في دائرة المباح.

ويتفرع عن هذا الضابط نوعان من الوسائل، هما:

أ - الوسيلة المختلف في حكمها بين العلماء بين الإباحة والتحريم:

١- الترخص فيها حيث الضروراتُ والحاجاتُ الملحة، والمصالح الدعوية العامة.

٢- التورع عن استخدامها حيث الأمور العادية، والمصالح الشخصية.

٣- لطالب العلم أن يبحث في المسألة المختلف فيها، ويرجّح أحد الأقوال بدليله.

٤- ليس لمن ترجح له أحد الأقوال تحريما أو إباحة الإنكار على من خالفه في الترجيح أو العمل.

ب- الوسيلة المشوبة التي اختلط فيها الحلال والحرام: وهي لا تخلو من حالتين:

١- عند إمكان معالجتها وتنقيتها مما شابها.

يجب تنقيتها من الحرام ويجوز استعمالها عندئذ.

٢- عند عدم إمكان معالجتها وتنقيتها مما شابها: فلابد للدعاة من أحد موقفين:

أ- المقاطعة لها بضوابط. ب- المشاركة فيها بضوابط.

ج- خروج الوسيلة عن كونها شعارًا للكفار.

د- استعمال بعض الوسائل الممنوعة لضرورة ونحوها وضَبَطَ العلماءُ هذا الترخص بقاعدتين، هما:

١- الضرورات تبيح المحظورات. ٢- والضرورة تقدر بقدرها.

- من وسائل الدعوة المادية:

أ- وسيلة القول، وهو: كل لفظ مُفْهِم نطق به اللسان، ويقابله الصمت والسكوت.

- ولوسيلة القول أهمية تبرز من:

١ - كونها فطرية.

٢ - اهتمام القرآن الكريم بها.

٣ - واستخدمها جميع الأنبياء والمرسلين.

٤ - كثرة استخدامه ﷺ لها.

- ومن ضوابط استخدام هذه الوسيلة في الدعوة: أن يكون القول مشروعا، وأن يكون لطيفا حسنا، وأن يطابق العمل، وأن يكون واضحا بيّـنًا بعيدًا عن التقعُّر والتشدق.

- ولابد أن ننتبه لضرورة التحفظ والتريث عند استخدام هذه الوسيلة.

ب- من وسائل الدعوة المادية: المرناة، والمرناة كلمة مولدة تعني جهاز نقل الصور والأصوات بوساطة الأمواج الكهربية.

- تبرز أهمية المرناة من عدة وجوه مثل: جمع خصائص الوسائل السمعية والبصرية، شدة جاذبيتها، توفرها ورخص ثمنها، تنوّع المشاهدين لها.

- المرناة وسيلة تصلح للاستعمال في الخير أو الشر، واشتملت المرناة على ثلاثة أنواع من الوسائل:

أ- المباحة. ب- المشوبة بالحرام. ٣- المختلف في حكمها.

- الأولى في الحكم على استعمال المرناة التفصيل، تبعا لحال السائل المستفتي.
- مع أخذ الضوابط الشرعية -فيما يُشاهد- بعين الاعتبار.

ج - من وسائل الدعوة المادية: وسيلة التمثيل.

- التمثيل فن يوناني قديم، ودخل للمسلمين في العصور المتأخرة، وهو عرض حي لقصة واقعية أو متخيلة.

- أهمية وسيلة التمثيل تظهر في جمعها لخصائص الوسائل اليدوية والسمعية والبصرية، بتنوع أشكالها.

- اختلف العلماء اليوم في حكم التمثيل اختلافا واسعًا، ويمكن إجمال الأقوال فيه وأدلتها بما يأتي:

١- ذهب قوم إلى تحريمه تحريما قاطعا، وجعله من أكبر الكبائر.

٢- وذهب بعضهم إلى تحريمه؛ معتمدا في ذلك على ترك الرسول ﷺ له في عهده ﷺ.

٣- وذهب آخرون إلى تحريمه أيضا معتمدين في ذلك على أن التمثيل أول ما نشأ كان شعارا تعبُّديا للكفار.

٤- وذهب آخرون إلى إباحته بشروط وضوابط، وتحريم أنواع خاصة منه.

- الضوابط التي ذكرها الشيخ عطية صقر في فتواه عن التمثيل:

١- الصدق شكلاً وموضوعاً.

٢- أن يكون الغرض والهدف شرعيين.

٣- ألا تحتوي المادة على أمر محظور.

٤- التزام الأداء بالآداب الإسلامية.

٥- ألا يؤدي احترافه إلى تقصير في واجب.

د- من وسائل الدعوة المادية: وسيلة إقامة الجماعات والمنظمات الدعوية:

- الجماعات والمنظمات الإسلامية: مجموعة من الناس التقت على هدف واحد، ضمن إطار تنظيمي واحد.

- تنقسم الجماعات والمنظمات الإسلامية إلى: رسمية، وشعبية.

- أول ما نشأت الجماعات والمنظمات الإسلامية نشأت على يد النبي ﷺ في مكة ثم في المدينة، واستمرت بعده.

- الدولة الإسلامية أكبر المؤسسات الدعوية التي قامت على أساس الإسلام.

- المؤسسات الشعبية والجماعات الإسلامية نشأت في العصر الحديث للحاجة لها بعد سقوط الخلافة.

- تبرز أهمية الجماعات والمنظمات الإسلامية من عدة وجوه، فأهميتها من حيث الشكل: تحقيق فضيلة العمل الجماعي، وأهميتها من حيث الهدف: التعاون لتحقيق مرضاة الله في جميع المستويات، ومن حيث المضمون: الوصول للتخطيط الكامل والتطبيق الصحيح والمتابعة لهما.

- تعدد الجماعات والمنظمات الإسلامية ظاهرة طبيعية لا تضر ما دام الاتفاق قائمًا على المبادئ والمناهج الربانية ولكن في الواقع هناك بعض السلبيات.

- هناك خصائص عامة مشتركة لجميع أنواع الوسائل الدعوية،المعنوية منها أو المادية، فمن أهمها:

أ - خصيصة الشرعية: وهي انضباط جميع الوسائل الدعوية بحكم الشرع.

ب - خصيصة التطور: فالأصل في الوسائل والأساليب التطور والتجدد، تبعا لتطور عادات الناس وأعرافهم، ولتقدم العلوم والفنون.

ج - خصيصة التكافؤ: ونريد بها: التماثل والموازاة بين الوسيلة والغاية التي تستعمل من أجلها، فالوسيلة القاصرة عن الغاية، والضعيفة، لا يمكن أن توصل إلى الغاية في الوقت المناسب، ولا بالكيفية المطلوبة.

اختبار الفصل الأول

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١- الوسيلة لغة ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به.

٢- أساليب الدعوة ليست هي فنون الدعوة.

٣- لا فرق بين الوسيلة والأسلوب في الدعوة؛ إذ أن مدلولهما واحد.

٤- هناك خمسة ضوابط لمشروعية الوسائل الدعوية.

٥- القول لا يعد وسيلة من الوسائل الدعوية.

٦- وسيلة "المرناة" من وسائل الدعوة، ويعنى بها: الأقمار الصناعية.

٧- التمثيل يمكن استخدامه كوسيلة للدعوة في هذا العصر بشروط وضوابط.

٨- من الأهمية بمكان إقامة الجماعات والمنظمات الدعوية لنشر الدعوة.

٩- من الخصائص العامة للوسائل الدعوية خصيصة الشرعية والتطور.

١٠- التكافؤ لا يعد من بين خصائص الوسائل الدعوية.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

٢- يُفرق بين الوسيلة والأسلوب بأن الوسيلة هي العمل نفسه، بينما الأسلوب هو:

أ- طريقة في العمل. ب- تقليد السابقين.

ج- الابتكار والتجديد. د- لا شيء مما سبق.

٣- وسيلة القول تعد من نماذج الوسائل:

أ- المعنوية للدعوة. ب- المرئية للدعوة.

ج- المادية للدعوة. د- المطبوعة للدعوة.

٤- وسيلة المرناة من بين الوسائل المادية للدعوة، ويراد بها:

أ- التلفاز. ب- الراديو.

ج- الإنترنت. د- الفيديو.

٥- تبرز أهمية وخصائص الجماعات والمنظمات الإسلامية من حيث:

أ- الشكل. ب- الهدف.

ج- المضمون. د- جميع ما سبق.

٦- خصيصة الشرعية من بين الخصائص العامة للوسائل الدعوية، ويراد بها:

أ- انضباط جميع الوسائل الدعوية بحكم الشرع.

ب- خروج بعض الوسائل الدعوية عن حكم الشرع.

ج- عزل أحكام الشرع عن الوسيلة الدعوية حتى لا تعرقل الدعوة.

د- لا شيء مما سبق.

ثالثاً: أسئلة متنوعة:

١- تواصلْتَ وصديق لك عن طريق شبكة الإنترنت، وحكى لك عن قيامه ببعض الأعمال الدعوية، ولكنك استوقفك أنه اعتمد على بعض الإمكانيات التي لم يتعرف على حكم استخدامها، قبل استخدامها فتناقشْت معه في الضوابط الحاكمة لاستخدم الإمكانيات الدعوية. اذكر لنا مضمون هذا الحوار.

٢- ذات مرة وأنت في إحدى الطرقات شاهدْت أحد كبار الدعاة يتحدث عبر جهاز التلفاز، وكان في نفسك شيء من استخدام هذا الجهاز في الدعوة إلى الله، فتواعدْت مع الداعية الكبير في محاولة منك لمناقشته في شأن استخدامه لجهاز لتلفاز في الدعوة إلى الله فاتسع صدره وناقشك في الأمر. اجعلنا طرفا مستمعًا لهذا النقاش.

٣- جاءك أحد الدعاة يشتكي إليك من طلب ابنه منه الاشتراك في أحد النوادي الرياضية للقيام بجهد دعوي فيه، وكان سبب شكواه ما تشتمل عليه هذه الأندية من اختلاط محرم. فطلبت منه أن يحضر ولده لتتناقشوا وتتذاكروا الأمر معًا. صف لنا كيف دارت هذه المناقشة، مع عرض لوجهة نظر ابن هذا الداعية وما استدللت به على رأيك.

٤- اذكر الخصائص العامة للوسائل الدعوية.

٥- اكتب مذكرات مختصرة عن الخصائص العامة للأساليب الدعوية؟

الفصل الثاني: أساليب الدعوة

الأهداف التعليمية للفصل:

عزيزي الطالب: يُرجى بعد دراستك لهذا الفصل أن تصبح قادراً على أن:

١ - تقف على أهمية أسلوب الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى.

٢ - تذكر خصائص أسلوب الحكمة كأحد أساليب الدعوة الإسلامية.

٣ - تبين مدى أهمية وفضل وخصائص أسلوب الموعظة الحسنة من خلال أمر القرآن الكريم باستخدامه في الدعوة دون سواه.

٤- توضح رأى العلماء في الجدل وتقسيمه واستخدامه في الدعوة، ومدى ارتباط أسلوب الجدل بالدعوة إلى الله تعالى، ومدى أصالته، وفضله في نشر الدعوة.

٥- تستنتج بعض من جوانب القدوة الحسنة في حياة النبي ﷺ والصحابة والتابعين.

٦ - تذكر أقسام القدوة الحسنة في الإسلام مع أهمية هذا الأسلوب وخصائصه.

٧ - تقرر الخصائص المرتبطة بالأساليب الدعوية واللازمة لاستخدامها ونفعها واستمرار إفادتها للدعوة.

٨ - تشارك في الإعداد لندوة تتناول الأساليب والوسائل المستخدمة في الدعوة والخصائص العامة للأساليب الدعوية.

الفصل الثاني: أساليب الدعوة

مقدمة بين يديْ أساليب الدعوة:

سبق أن عرّفنا أساليب الدعوة في الاصطلاح بقولنا:

"الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته" أو "كيفيات تطبيق مناهج الدعوة". وقلنا:

إن مناهج الدعوة تظهر في مجموعة الأساليب المستخدمة، التي معها نظام واحد، فإن مجموعة الأساليب التي تحرّك الشعور والوجدان تمثل المنهج العاطفي، ومجموعة الأساليب التي تدعو الإنسان إلى التفكر والتدبر والاعتبار تمثل المنهج العقلي، ومجموعة الأساليب التي تعتمد على الحسّ والتجارب الإنسانية تمثل المنهج الحسي.

ومن هنا: كان حصر الأساليب صعبا؛ نظرا لتنوعها وكثرتها، وقد نص القرآن الكريم على بعضها نصًّا صريحا مباشرًا، كما أشار إلى بعضها إشارة، إلا أننا نجد لجميع الأساليب الدعوية تقريبا استخدامات في القرآن الكريم والسنة النبوية، ولا يكاد يخلو منها نص قرآني، أو حديث نبوي.

وسنتناول في هذا الفصل أمهات الأساليب الدعوية، سواء التي نص عليها القرآن الكريم نصًّا صريحا، أو التي تفهم من مجموع نصوصه، ومن واقع التطبيق الدعوي في السنّة النبوية، وسنقتصر على أربعة منها، ترجع إليها غيرها، وسأجعل كل أسلوب في مبحث خاص، أبـيّن فيه: تعريفه، ومظاهره، وخصائصه، وبعض المسائل المتعلقة به.

قال تعالى مبينا أمهات الأساليب الأساسية:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ

إلاّ باللّه وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ إِنّ اللّهَ مَعَ الّذِينَ اتّقَوا وَالّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٥ - ١٢٨].

المبحث الأول: أسلوب الحكمة:

تعريفه:

تطلق الحكمة في اللغة على معان عديدة، منها:

العدل، والعلم، والحلم، والنبوة، والقرآن، والإنجيل، والسنة وما إلى ذلك من إطلاقات، كما تطلق على العلة: يقال: حكمة التشريع، وما الحكمة من ذلك؟، وعلى الكلام الذي يقل لفظه ويَجِلّ معناه، ويقال للرجل: حكيم: إذا أحكمتْه التجارب، وأحكم الأمر: أتقنه...[(١)].

وقد عرفها العلماء في الاصطلاح بتعريفات كثيرة مأخوذة من المعنى اللغوي، من ذلك:

الحكمة: إصابة الحق بالعلم والعقل، فالحكمة من الله تعالى: معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان: معرفة الموجودات، وفعل الخيرات[(٢)].

ومنها: الحكمة: عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم[(٣)].

ومن جملة هذه التعريفات يصبح تعريف أسلوب الحكمة بأنه الأسلوب الذي يضع الشيء موضعه، فيكون أسلوب الحكمة شاملا لجميع الأساليب الدعوية من هذا الوجه.

أهميته وفضله:

تظهر أهمية أسلوب الحكمة ويتجلى فضلها من عدة أمور، منها:

(١) انظر (لسان العرب) مادة (حكم) (١٢/ ١٤٠ - ١٤٣)، و(المعجم الوسيط) (١/١٨٩).

(٢) انظر (مفردات القرآن) للراغب ص: (١٢٧).

(٣) انظر (النهاية في غريب الحديث) (١/٤١٩).

أ- معنى الحكمة الذي يجمع الحكمة النظرية والعملية، فلا يسمى الرجل حكيما إلا باجتماع النوعين معا(١).

ب- اختيار الله ﷻ لنفسه اسم "الحكيم"، وتكرراه في القرآن الكريم ما يقارب ثمانين مرة.

ج- ملء قلب رسول الله ﷺ بالحكمة، فقد جاء في الحديث الشريف: "فُرِجَ سقفُ بيتي -وأنا بمكة- فنـزل جبريل، ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطسْت من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا، فأفرغه في صدري، ثم أطبقه"(٢).

هـ- جعل تعليم الحكمة من أبرز أعماله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ١٢٩].

و- أمر الله بالدعوة بها، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

٦- جعل من أوتيها أُوتِي خيرًا كثيرًا، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ [البقرة: ٢٦٩].

مظاهر الحكمة في جانب الأساليب الدعوية:

أ- اختيار المنهج المناسب لتطبيقه في الموقف المناسب والحالة المناسبة؛ فقد يصلح لحالة من الأحوال، أو لمعالجة موقف من المواقف -منهجٌ لا يصلح غيره، فلابد من اختيار المنهج العاطفي للموقف العاطفي، والمنهج العقلي للموقف الجدلي، والمنهج الحسي للموقف التجريبي. ومن هنا استخدم ﷺ كلا من المنهج العاطفي والمنهج العقلي معا مع الشاب الذي جاء يستأذنه بالزنا، فقد أخرج الإمام أحمد في

---

(١) انظر (غرائب القرآن) للنيسابوري (٤١٣/١)، و(تفسير الرازي) (٧٣/٤) و(٧٢/٧).

(٢) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الحج: باب ما جاء في زمزم (٦٠٠/٣)(ح١٦٣٦)، ومسلم في كتاب الإيمان: باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات (١٤٨/١)(ح ٢٦٣)، كلاهما عن أنس بن مالك.

مسنده عن أبي أمامة ﷺ، قال: إن فتىً شابًّا أتى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مَهْ مَهْ، فقال: "**ادنه**" فدنا منه قريبا فجلس، قال: "**أتحبه لأمك؟**" قال: لا والله -جعلني الله فداءك-، قال: "**ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**"، قال: "**أفتحبه لابنتك؟**" قال: لا والله يا رسول الله، -جعلني الله فداءك- قال: "**ولا الناس يحبونه لبناتهم**". قال: "**أفتحبه لأختك؟**"قال: لا والله، -جعلني الله فداءك- قال: "**ولا الناس يحبونه لأخواتهم**". قال: "**أفتحبه لعمتك؟**" قال: لا والله، -جعلني الله فداءك- قال: "**ولا الناس يحبونه لعماتهم**"، قال: "**أفتحبه لخالتك؟**" قال: لا والله، -جعلني الله فداءك-، قال: "**ولا الناس يحبونه لخالاتهم**"، قال: فوضع يده عليه، وقال: "**اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه**" فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء(١).

فقوله ﷺ للشاب "ادنه" وتقريبه منه، ووضْع يده عليه، ودعاؤه له، كل ذلك من أساليب المنهج العاطفي الذي يحرك الشعور والوجدان، ويأسر القلوب، ومناقشته ﷺ للشاب باستخدام ما سمي بعد ذلك القياس المساوي، ومجادلته له بالحسنى من أساليب المنهج العقلي. فاستخدام هذين المنهجين معا في هذا الموقف مظهر من مظاهر حكمته البالغة ﷺ في الأساليب؛ ذلك لأن مجيء الشاب المسلم إلى رسول الله ﷺ مستأذنا بالزنا، يدل على أنه شاب ضعيف، اختل توازنه، واضطربت شخصيته، ودفعته غريزته إلى الزنا، فكان إيمانه حاجزا له، ودافعا له على الاستئذان بالزنا، والاستئذان بالزنا دليلٌ ناطق بالحالة المرضية فيه من جهة، وبجانب الخير فيه من جهة أخرى، وإلا لذهب وزنا كما يزني غيره، فاقتضى هذا التشخيص الدقيق منه ﷺ لحالته النفسية استيعابه كل الاستيعاب، واستخدام كلا المنهجين معه، حتى أنقذه مما هو فيه، وأعاده إلى التوازن والصواب.

(١) مسند أحمد. (٢٥٧/٥) وقال الهيثمي في "المجمع" (١٢٩/١): "ورجاله رجال الصحيح".

ب- اختيار الشكل المناسب من أشكال المنهج المختار:

فإن أشكال الأساليب الدعوية للمنهج الواحد متعددة، والحكمة تقتضي اختيار الشكل المناسب لكل موقف، فما يقال في الأفراح يختلف عما يقال في الأتراح، وما يقال في الشدة غير ما يقال في الرخاء، وللترغيب موطن يغاير موطن الترهيب، فمن غلب عليه الخوف مثلا يستخدم معه أسلوب الترغيب والرجاء، ومن غلب عليه الرجاء والأمل، يستخدم معه أسلوب الترهيب والتحذير.

ومن هنا: اختلف أسلوب رسول الله ﷺ مع الأعرابي الذي جاء مسترخصا سائلا عن الواجبات والفرائض ثم قال: "والله لا أزيد على هذا ولا أنقص"[1] عن موقفه مع فقراء المسلمين الذين جاءوا يستزيدون من الخير فقالوا: "ذهب أهل الدثور بالأجور..."[2].

كما اختلف أسلوبه ﷺ في الجهر بالدعوة عن أسلوبه حال الاختفاء في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وموقفه في غزواته عن موقفه يوم صلح الحديبية، وانظر أسلوب معالجته ﷺ للغيرة بين نسائه[3]، وما إلى ذلك من أساليب متنوعة[4].

ج- اعتماد مراتب الاحتساب:

ومراتب الحسبة هي: التعريف، ثم الوعظ، ثم التعنيف، ثم استعمال اليد، ثم

---

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الإيمان: باب الزكاة من الإسلام (١٣٢/١)(ح٤٦)، ومسلم في كتاب الإيمان: باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام (٤٠/١)(ح٨)، كلاهما عن طلحة بن عبيد الله.

(٢) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الأذان: باب الذكر بعد الصلاة (٣٩٧/٢) (ح٨٤٣)، ومسلم في كتاب الزكاة: باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (٦٩٧/٢) (ح٥٣).

(٣) انظر صحيح البخاري (٤٩٢٧) في قصة الصحفة.

(٤) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الأذان: باب الذكر بعد الصلاة (٣٩٧/٢)(ح٨٤٣)، ومسلم في كتاب الزكاة: باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (٦٩٧/٢) (ح٥٣).

التهديد، ثم الضرب...[1] قال تعالى: ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾[النساء: ٣٤]، وجاء في الحديث الشريف: "**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**"[2].

فقد أشارت الآية الكريمة إلى مراتب الاحتساب وتغيير المنكر، كما صرّح الحديث الشريف بدرجات تغييره، فبدأ بأقوى درجات التغيير له ثم بالأدنى فالأدنى، فلا تعارض بين ملاحظة درجات التغيير، وبين اعتماد مراتبه مرتبة مرتبة، فعلى الداعية والمحتسب عند قيامهما بدرجة من درجات التغيير أن يلاحظا ترتيب المراتب، وإنّ تجاوز هذه المراتب يعد خروجا عن الحكمة في الدعوة والاحتساب[3]، انظر أسلوب معاذ بن عمرو بن الجموح ﷺ في دعوة أبيه، واحتسابه عليه، وأسلوب ابن رواحة في دعوة أبي الدرداء إلى الإسلام -رضي الله عنهم جميعا[4].

د - البحث عن الدوافع والأسباب لملاحظتها في اختيار أسلوب المعالجة:

فإن أسلوب معالجة الجاهل يختلف عن أسلوب معالجة العدو، وأسلوب معالجة الضعيف المقصر يختلف عن أسلوب معالجة المعاند المتعصب.

وهذا الاختلاف يقتضي تشخيص الداعية لكل حالة على حدة، ولابد في

---

(١) انظر صحيح البخاري (٤٩٢٧) في قصة الصحفة.

انظر مثلا "فقه الدعوة في إنكار المنكر" لعبد الحميد البلالي ص (٦٧ - ٧٤)، وراجع (إحياء علوم الدين) للغزالي (١٢٢٦/٧ - ١٢٣٣) و(نهاية الرتبة في طلب الحسبة) للشيزري (ص: ٩).

(٢) انظر -مثلاً- أسلوبه ﷺ في التعامل مع خبر نقض بني قريظة للعهد يوم الأحزاب في (سيرة ابن هشام) (٣٢/٣).

أخرجه مسلم في كتاب الإيمان: باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان (٦٩/١)(ح٧٨)، عن أبي سعيد الخدري.

(٣) راجع كتاب (الحسبة في الإسلام) لابن تيمية؛ ففيه فوائد عديدة في هذا المجال.

(٤) راجع (حياة الصحابة) (٢٣٠/١ - ٢٣٣).

هذا الحال من مراعاة ما يأتي:

أ- الأصل في تشخيص الدافع حُسْنُ الظن بالمسلم، والحذر من العدوّ.

ب- أن يخفي لداعية التشخيص في نفسه، ويخطط للمعاجة على ضوئه، ولا يواجه صاحبه به؛ لأن المواجهة به لا تخلو من سلبية سواء أكان التشخيص الذي وصل إليه صوابا أم خطأ.

ج - اختيار الأسلوب المناسب للتشخيص الذي وصل إليه.

هـــ - مراعاة اختلاف الظروف والأحوال الدعوية، الفردية والجماعية:

فإن الأساليب الدعوية تختلف من ظرف إلى ظرف ومن حال إلى حال، فأسلوب العمل الدعوي -مثلا- في دولة مسلمة أو مسالمة يختلف عن أسلوب العمل الدعوي في دولة غير مسلمة أو محاربة، فإن من الحكمة في الدولة المسمة والمسالمة أن يعمل فيها من خلال المؤسسات الرسمية القائمة فيها، والمؤسسات الشعبية التي تقرها وتعترف بها، ولا يحسن العمل فيها من خلال المؤسسات الأخرى والتنظيمات غير المعلن عنها. التي قد يصلح العمل من خلالها في الدول غير الإسلامية، أو الدول المحاربة للدعوة الإسلامية؛ وذلك لأن من واجب الدعاة تجاه الدوة المسلمة القائمة: المحافظة عليها، والعمل على إصلاحها وتقويتها مهما كانت ضعيفة، أو ظالمة أو فاسقة، أما واجبهم في حال عدم وجودها: فهو العمل على إيجادها.

والعمل السري في الدولة المسلمة مهما كان صالحا، تزيد سلبياته على إيجابياته، وقد يجر الدعاة إلى مواقف محرجة هم في غنًى عنها، ويوقع الأفراد العاملين في ازدواجية السمع والطاعة نحو قياداتهم، وتفهم دعوتهم على أنها معارضة ومقاومة للدولة المسلمة نفسها، وأنها تعمل على تحجيمها ومحاربتها، بدلا من دعمها وتقويتها.

وقد أخطأ الحكمة كثيرٌ من الدعاة في هذا الجانب، فصوّروا الدعوة

الإسلامية بالصورة المعادية للدول القائمة مهما كان شأنها، دون تفريق بين دولة وأخرى، فكثّروا بذلك من أعدائهم، وقلّلوا من أصدقائهم، واختاروا العيش بدعوتهم في الظلام، مما نفّر منها، وقلّل من آثارها في حياة الناس.

ومما يجدر التنبه إليه في هذا المقام: أن الحكم على الدولة بكفر أو إسلام، وبظلم أو فسق، وبحرب أو مسالمة، وتحديد الموقف منها، وتبني الأسلوب المناسب معها، لا يُترك للأفراد والجماعات كل يحكم بحسب اجتهاداته ومرئياته، فتختلف اجتهاداتهم، وتتعارض أساليبهم. بل يرجع فيه إلى أهل الحل والعقد في الأمة مجتمعين، فهم وحدهم الذين يقدرون للأمر قدره، ويبينون للوضع حكمه، منطلقين في ذلك من القواعد الشرعية المنضبطة، والموازنات الدعوية الدقيقة، فيرتفع بحكمهم الخلاف، وتؤمَن به الاضطرابات والفوضى في الأمور العامة، وتؤتي الدعوة ثمارها -بإذن الله.

من خصائص أسلوب الحكمة:

١- إمكان تعلمه واكتسابه؛ لأن الحكمة خُلُق حسن، وصفة كريمة يمكن اكتسابها كأي صفة من الصفات وخلق من الأخلاق، قال تعالى: ﴿**وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾ [البقرة: ١٢٩]. وفي الحديث: "**يقضي بها ويعلمها**"[(١)].

ومن طرق تعلمها واكتسابها:

أ - قراءة القرآن والسنة النبوية، والسيرة الكريمة قراءة تدبر وتفكر وتأسٍ.

ب - صحبة الحكماء والاقتباس منهم ومن سيرهم.

ج - العمل بها وتطبيقها في مجالات الدعوة، ومجاهدة النفس عليها.

د- الاستفادة من التجارب الدعوية الشخصية، وغير ذلك من التجارب

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب العلم: باب الاغتباط في العلم والحكمة (٢٠٨/١)(ح٧٣)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها: باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه (٥٥٩/١)(ح٢٦٨)، كلاهما عن ابن مسعود.

الدعوية المفيدة.

٢- عظيم آثاره في الدعوة، فالداعية الحكيم يصل إلى ما لا يصل إليه غيره، وآثار دعوته تكون أكثر نفعا للناس.

ومن هذه الآثار العظيمة التي تتحقق للداعية الحكيم ولا تتحقق لغيره:

أ- الوصول إلى الأهداف من أقرب طريق، وبأفضل النتائج، وأقل الخسائر.

ب- تقريب القلوب من الدعوة والدعاة، وإزالة الشحناء و لبغضاء.

وما إلى ذلك من آثار طيبة[1].

قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤ - ٣٥].

المبحث الثاني:أسلوب الموعظة الحسنة

- **تعريفه:**

الموعظة في اللغة: مشتقة من: وعَظَه يَعِظُه وَعْظًا، وعِظَةً: نصحه وذكّره بالعواقب، وأمره بالطاعة ووصّاه بها...[2].

والحسنة: مقابل السيئة، فالموعظة قد تكون حسنة، وقد تكون سيئة، وذلك بحسب ما يعظ به الإنسان ويأمر به، وبحسب أسلوب الواعظ.

ومن هنا جاء الأمر بها مقيدا في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ﴾[النحل: ١٢٥]، فإذا أطلقت الموعظة في مقام الأمر بها، انصرفت إلى الحسنة، قال تعالى: ﴿فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤].

---

(١) راجع كتاب (الحكمة وأثرها في الدعوة إلى الله) بحث مكمل لدرجة الماجستير في قسم الدعوة في المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة للباحث علي أحمد مشاعل وكتاب: (رُؤىً على طريق الدعوة) للدكتور عبد القادر طاش، و(هكذا علمتني الحياة) للسباعي، ومذكرات للدعاة بوجه عام.

(٢) انظر (لسان العرب) مادة (وعظ) (٤٦٦/٧)، و(المعجم الوسيط) (١٠٥٥/٢).

والموعظة الحسنة في الاصطلاح الدعوي ترادف النصيحة، ولها أشكال عديدة، فمن أشكالها:

أ- القول الصريح اللطيف اللين، قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ١٨].

ب - الإشارة اللطيفة المفهومة.

ج- التعريض، والكناية المؤدية، والتورية.

د- القصة، والخطابة المؤثرة، والفكاهة.

هـ- التذكير بالنعم المستوجبة للشكر.

و- المدح والذم.

ز- الترغيب والترهيب.

ح- الوعد بالنصر والتمكين.

ط- التحمل والصبر.

أهميته وفضله:

تظهر أهمية أسلوب الموعظة الحسنة من أمور عديدة، منها:

أ- أمر الله الصريح باستعماله قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]. وقال: ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤]. وقال: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ [البقرة: ١٨٣]. وقال: ﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً﴾ [النساء: ٦٣].

ب- جعل رسول الله ﷺ "النصيحة" أساس الدين، فقال: "الدين النصيحة"[١]، والنصيحة مرادفة للموعظة الحسنة كما سبق.

ج- مبايعة الرسول ﷺ الصحابة عليها، ففي الحديث: "بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم"[٢].

---

(١) الحديث رواه مسلم وغيره، وتقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الإيمان: باب قول النبي ﷺ الدين النصيحة لله ولرسوله (١/١٧١)(ح ٥٧)، ومسلم في كتاب الإيمان: باب بيان أن الدين النصيحة (١/٧٥) (ح٩٧)، كلاهما عن جرير بن عبد الله.

د- استخدام جميع الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- لها، فقد أخبر الله تعالى عن نوح عليه السلام أنه قال: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٢]، وعن هود عليه السلام قوله: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨].

من خصائص أسلوب الموعظة الحسنة:

لأسلوب الموعظة الحسنة خصائص ومزايا كثيرة، منها:

أ - لطف عباراته وألفاظه، ومناسبتها للمقام، فلابد للموعظة الحسنة من عبارة لطيفة مناسبة، ومقام مناسب لها تكون فيه أكثر نفعاً وتأثيراً في المدعوين، فقد كان رسول الله ﷺ يتخول الصحابة -رضوان الله عليهم- بالنصيحة.

ب - تنوع أشكاله وكثرتها، فيتمكن الداعية من اختيار الشكل الأنسب لكل حال وموقف.

ج - عِظَم آثاره في نفوس المدعوين، ويظهر هذا فيما يأتي:

أ - قبول الموعظة، وسرعة الاستجابة إليها غالبا.

ب - غرس المحبة والمودة في قلوب المدعوّين.

ج - محاصرة المنكرات والقضاء على انتشارها، بحيث يخجل الناس -إذا لم يستجيبوا- ممن يعظهم موعظة حسنة، فلا يجاهرون بمنكراتهم على الأقل.

وما إلى ذلك من آثار لا تخفى على الداعية، ولقد كان الأنموذج الأكمل الذي تمثلت فيه الدعوة بأسلوب الموعظة الحسنة النبي ﷺ ومن أمثلة دعوته بالموعظة الحسنة التي كان لها عظيم الأثر في نفوس المدعوين:

- استخدامه ﷺ لهذا الأسلوب مع الأعرابي الذي بال في المسجد، ففي الحديث الشريف: عن أنس رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ، إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مَهْ، قال ﷺ: "لا تزجروه، دعُوه"، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: "إن

هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله ﷻ والصلاة وقراءة القرآن"، أو كما قال رسول الله ﷺ، قال: فأمر رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه(1).

٢ - موقفه ﷺ يوم حنين، حين قسم الغنائم فوجد الأنصارُ في أنفسهم شيئا، فقام فيهم خطيبا، وذكّرهم بنعمة الله عليهم، ووعظهم موعظة حسنة، فبكوا حتى بللوا لِحاهم(2).

المبحث الثالث: أسلوب المجادلة

تعريفه:

يُقال في اللغة: جادَلَه مُجادلةً وجِدَالاً: ناقشَهُ وخاصمَهُ، والجدل: اللّدد في الخصومة والقدرة عليها، وهو شدة الخصومة، وفي الحديث: "ما أوتي الجدل قوم إلا ضلوا"(3)؛ والجدل: مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة(4).

والجدل في الاصطلاح عرّفه العلماء تعريفات متشابهة، منها قولهم: "عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة"(5)، ومنها: "مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها"(6).

---

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الوضوء: باب يهريق الماء على البول (١/٤٠٥)(ح٢٢١)، ومسلم في كتاب الطهارة: باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد (١/ ٢٣٦)(ح١٠٠)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة: باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبّر من قوى إيمانه (٢/ ٧٣٥)(ح١٣٥)، عن أنس بن مالك.

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير: باب ومن سورة الزخرف (٥/١٧٠)(ح٣٢٦٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجة في المقدمة: باب اجتناب البدع والجدل (١/١٩)(ح٤٨)، وأحمد (٥/٢٥٢- ٢٥٦)، كلهم عن أبي أمامة.

(٤) انظر لسان العرب مادة (جدل) (١١/١٠٥)، و(المعجم الوسيط) (١/١١١).

(٥) انظر (الكليات) لأبي البقاء ص: (١٤٥).

(٦) انظر (التعريفات) للجرجاني ص: (٦٦).

وقد تكون المجادلة بالحسنى، وقد تكون بالباطل، قال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[النحل:١٢٥]، وقال: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [غافر: ٥].

ومن هنا قسّم العلماء الجدل إلى ممدوح ومذموم، وذلك بحسب الغاية منه، وبحسب أسلوبه، وبحسب ما يؤدي إليه، فالجدل الذي يهدف إلى إحقاق الحق ونصرته، ويكون بأسلوب صحيح مناسب، ويؤدي إلى خير، فهو "الجدل الممدوح".

والجدل الذي لا يهدف إلى ذلك، ولم يسلم أسلوبه، ولا يؤدي إلى خير، فهو "الجدل المذموم"؛ ولذا جاء الأمر بالجدل في القرآن مقيدا بالتي هي أحسن[(١)]، وكانت المجادلة بالحسنى أسلوبا من أساليب الدعوة إلى الله، نص عليه القرآن الكريم وأمر به، ويعد من أبرز أساليب المنهج العقلي -كما سبق-.

ويمكن أن يعبر عنه (بالمناقشة، والمناظرة، والمحاورة)، وما إلى ذلك من مصطلحات متعددة تتفق في كثير من المواطن في دلالاتها.

ويرى بعض العلماء أن (الجدل) لا يعدّ أسلوبا دعويا أصليًا، وإنما قد يُحتاج إليه، فيكون من باب: (دفع الصائل)[(٢)]؛ وذلك نظرًا لأصل معناه وحقيقته، واستئناسًا بأسلوب الآية الآمرة بالجدل، حيث عطف الله ﷻ المجادلة على الدعوة، ولم يعطفها على الموعظة الحسنة، فقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

ولا يترتب على هذا الخلاف أثر عملي، فمن حكمة الداعية أن يستخدم كل أسلوب في موضعه المناسب له، فلا يستخدم أسلوب الجدل إلا مع المجادل الذي ينفع معه الجدل، أما من يستجيب للموعظة الحسنة، فلا سبيل إلى مجادلته أصلا، وكم من

(١) انظر (الفقيه والمتفقه) (٢٣٣/١ - ٢٣٥).

(٢) قف على رأي الإمام ابن تيمية -رحمه الله في هذا في كتابه (الرد على المنطقيين) ص (٦٤٧ - ٦٤٨)، ومجموع الفتاوى (٤٥/٢).

جدل يخلو من المخاصمة، ولا يمكن اعتباره من باب دفع الصائل، والله أعلم.

- أهميته:

تظهر أهمية أسلوب الجدل في الدعوة إلى الله في عدة أمور، منها:

أ- (الجدل) أمر فطري، جُبل عليه الإنسان، يصدر من الصالح والطالح، والكبير والصغير، والرجل والمرأة، قال تعالى: ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ [الكهف: ٥٤]. وقال عن المؤمنين معاتبا: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ [الأنفال: ٦]، وال: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾[المجادلة:١]. والأمور الفطرية لابد للداعية من ملاحظتها ومراعاتها في دعوته.

ب- طلب الله استخدامه، فقال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

ج - استخدام الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- للجدل في دعوتهم، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ [هود: ٣٢]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وقال: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ﴾ [الأنعام: ٢٥].

د- اهتمام الدعاة به من زمن الصحابة -رضوان الله عليهم- إلى يومنا هذا، وما نقل عن بعض السلف من ذم الجدل، فهو محمول على الجدال المذموم، أو الجدال في القرآن الكريم وآياته البينات[1].

من آداب الجدل والمناظرة:

لأسلوب الجدل آداب عديدة منها: ما يتعلق بدوافعه وأسبابه، ومنها ما يتعلق بأسلوبه وكيفيته، ومنها ما يتعلق بآثاره ونتائجه.

وقد تعددت أساليب العلماء في ذكر هذه الآداب والتنبيه إليها، فمنهم من

(١) راجع في هذا (الفقيه والمتفقه): (١/ ٢٣٠ - ٢٣٥)، و(جامع بيان العلم وفضله): (٢/ ٩٢ - ١٠٨).

يجمل، ومنهم من يفصّل، وجميع الآداب التي ذكرها العلماء تتضافر على تحقيق ثلاث أمور أساسية، وهي:

أ - تصحيح الهدف والغاية من الجدال.

ب - تصحيح الأسلوب والشكل.

ج - تصحيح النتيجة، وسلامة الأثر.

من خصائص أسلوب الجدل:

لأسلوب الجدل خصائص ومزايا عديدة، منها:

أ - اعتماده على العلم والمعرفة:

فلا يصح الجدال من غير علم، وقد أنكر القرآن على الذين يجادلون بغير علم، فقال:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإنجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ [آل عمران: ٦٥ - ٦٦].

ب - إقامة الحجة على الخصم وإفحامه:

فالأصل في أسلوب الجدل أن يقيم الحجة واضحة، ولا يترك للمجادل حجة يتمسك بها، أو شبهة يستدل بها على باطله، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. وفي هذا المعنى يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: "فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم، لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفّى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولا

أفاد كلامه العلم واليقين..."[1].

ج- تنوع بواعثه ودوافعه تنوعًا كبيرًا، فمنها:

١- بواعث نفسية: كالقناعة الشديدة بفكرة ما، أو التعجب والاستغراب من أمر ما: كما حدث من جدال الملائكة لله ﷻ في خلق آدم وجعله خليفة[2]، وتعجب المشركين من الدعوة إلى التوحيد، وغير ذلك من بواعث نفسية: كالكبر والاستعلاء والحسد، كما حدث لإبليس[3]، أو الاستهزاء والسخرية بالحق وأهله[4]، أو الخوف من الشيء وكراهيته،كما حدث لبعض المؤمنين يوم بدر[5]، أو الرغبة في تشويه الحقائق[6]، ونحو ذلك.

٢- بواعث علمية: كالاستفادة والسؤال عما يُجْهل، ومناقشة الأدلة والترجيح بينها، أو دفع الشبهات المثارة حول موضوع من الموضوعات.

٣- بواعث اجتماعية: كالتحمس والتعصب لقول أو رأي أو مذهب، أو للتمسك بما كان عليه الآباء والأجداد، ونحو ذلك من البواعث.

وهذا التنوع في البواعث يجعل من مهمة الداعية التعرف عليها، ليعلم كيف يتعامل مع أصحابها. وقد سبق أن أشرنا إلى هذا في مظاهر الحكمة في الأساليب الدعوية.

وإن القرآن الكريم والسنة النبوية مليئان بنماذج عديدة للجدل سواء منها جدل المؤمنين فيما بينهم، أو جدل الكافرين مع المؤمنين، يمكن للداعية الوقوف عليها وأخْذ الدروس والعبر منها.[7]

---

(١) (درء تعارض العقل والنقل): (١/ ٣٥٧).

(٢) انظر الآيات ٣٠ - ٣٣ من سورة البقرة.

(٣) انظر الآيات (٥٦) من سورة غافر، و (٧١ - ٧٦) من سورة ص.

(٤) انظر الآيات (٦٤ - ٦٥) من سورة التوبة.

(٥) الآيات (٥ - ٦) من سورة التوبة.

(٦) الآيات (٥) من سورة غافر، و(٥٦) من سورة الكهف.

(٧) راجع في ذلك كتاب (استخراج الجدل في القرآن الكريم) لابن الحنبلي، وكتاب (مناهج الجدل في القرآن الكريم) للدكتور: زاهر عواض الألمعي.

المبحث الرابع: أسلوب القدوة الحسنة

تعريفه: القدوة في اللغة: الأسوة، يقال: فلان قدوة يُقتدى به. والقِدَةُ: المثال الذي يتشبه به غيره، فيعمل مثل ما يعمل[1].

وقيدت القدوة هنا (بالحسنة) لتخرج القدوة السيئة، فقد يكون الشخص أسوة حسنة أو أسوة سيئة، وقد جاء في الحديث الشريف:

"مَنْ سَنَّ في الإسلام سُنةً حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن يَنْقُصَ من أجورهم شيء، ومن سَنَّ في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن يَنْقُصَ من أوزارهم شيء"[2]

والقدوة الحسنة في الإسلام تنقسم إلى قسمين:

أ – قدوة حسنة مطلقة – أي: معصومة من الخطأ والزلل – كما هي في الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[الأحزاب: ٢١]. وقال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ إلى أن قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾[الممتحنة:٤-٦]. وقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[الأنعام: ٩٠].

ب – وقدوة حسنة مقيدة – أيْ: بما شرعه الله ﷻ؛ لأنها غير معصومة، كما هي في الصالحين والأتقياء من عباد الله من غير الرسل والأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- فغير الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- قد يُقتدى بهم في أمور دون أخرى؛ وذلك لاحتمال صدور تصرفاتهم عن ضعف بشري، أو خطأ احتهادي؛ لذا كان الاقتداء بهم مقيدا بموافقة شرع الله.

---

(١) انظر (لسان العرب) مادة (قدو) (١٧١/١٥) و(المعجم الوسيط) (٧٢٧/٢).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة: باب الحثّ على الصدقة ولو بشق تمرة (٧٠٤/٢)(ح٦٩)، عن جرير بن عبد الله، من حديث طويل.

وبهذا يكون أسلوب القدوة الحسنة أسلوبًا عاما يشملُ التأسي بكل من عمل عملا صالحا حسنا، سواء أكان نبيا رسولا، أم كان تابعا للرسل الكرام ناهجا نهجهم في عمله.

- أهميته:

تبرز أهمية أسلوب (القدوة الحسنة) من عدة أمور، منها:

أ - جَعْلُ الله ﷻ لعباده أسوة عملية في الرسل والصالحين من عباده، وعدم اكتفائه بإنـــزال الكتب عليهم، فأرسل الرسل، وقصَّ على المؤمنين قصصهم وعرض سيرتهم، ثم أمر باتباعهم، والاقتداء بهم، فقال: ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾[الأنعام: ٩٠].

ب- أن من طبيعة البشر وفطرتهم التي فطرهم الله عليها أن يتأثروا بالمحاكاة والقدوة، أكثر من تأثرهم بالقراءة والسماع، ولاسيما في الأمور العملية، ومواقف الشدة وغيرها، وهذا التأثر فطري لا شعوري في كثير من الأحيان.

ج- أن أثر القدوة -عامة- يشمل جميع الناس على مختلف مستوياتهم، حتى الأمِّيّ منهم، فبإمكان كل امرئ أن يحاكي فعل غيره، ويقلّده ولو لم يفهمه.

ومن هنا: كان فضل الصحبة للصحابة الكرام -رضوان الله عليهم لا يَعْدِله شيء، وكان إنكار الله عظيما على من يخالف قوله عمله لما في ذلك من قدوة سيئة للآخرين.

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ**﴾[الصف:٢-٣].

من خصائص أسلوب القدوة:

لأسلوب القدوة خصائص ومزايا عديدة، منها:

أ- سهولته، وسرعة انتقال الخير من المُقْتَدَى به إلى المُقْتَدِي؛ لأن الأخْذ بالشيء عمليا والتمسك به أكثر إقناعا للمدعوين من الحديث عنه والثناء عليه،

فبمجرد العمل بالخير وتطبيقه تحصل قناعة عند الآخرين بصلاحية هذا الخير والفعل للتطبيق، وأنه ليس أمرا مثاليا مجردا وهذا واقع مشاهد في حياة الناس.

ب- سلامة الأخذ وضمان الصحة، ولاسيما في الأمور الدقيقة العملية، ومن هنا أكد عليه ﷺ في تعليمه أمته بعض أركان الإسلام كالصلاة والحج، فقال في الصلاة: "... **وصلوا كما رأيتموني أصلي...**"(١) وقال في الحج: "**خذوا عني مناسككم**"(٢). بل إن جبريل عليه السلام جاء إلى رسول الله ﷺ صبيحة ليلة الإسراء ليعلمه كيفية الصلاة عمليا، فاقتدى به ﷺ، واقتدى الصحابة الكرام برسول الله(٣).

ج - عمق التأثير في النفس البشرية، وسرعة استجابتها للأمور العملية أكثر من استجابتها للأمور النظرية، ومن هنا أشارت أم سلمة -رضي الله عنها- على رسول الله ﷺ بالمبادرة إلى الحلــق والتحلل؛ ليقتدي به الناس عمليا، وكان كما قالت -رضي الله عنها-(٤).

وكان بعض الصحابة -رضوان الله عليهم- يصلي بالناس، وهو لا يريد إلا أن يُعلِّمهَم صلاة النبي ﷺ وسنته(٥).

ودعا رسول الله ﷺ يوم الفتح بإناء من لبن أو ماء، فشرب أمام الناس وأفطر، فقال المفطرون -لما رأوْه- للصوام: "أفطروا"(٦).

---

(١) أخرجــه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الأذان: باب الأذان للمسافرين إذا كان جماعة والإقامة (٢/١٣٩) (ح٦٣١)، عن مالك.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج: باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبًا (٢/٩٤٣)(ح٣١٠)، عن جابر.

(٣) والحديث في ذلك أخرجه لترمذي في كتاب الصلاة: باب ما جاء في مواقيت الصلاة (١/٢٠٠)(ح١٤٩)، وقال: حديث حسن صحيح، وأبو داود في أول كتاب الصلاة (١/١٠٥) (ح٣٩٣)، كلاهما عن ابن عباس.

(٤) انظر صحيح البخاري. رقم (٢٥٨١).

(٥) انظر صحيح البخاري رقم (٦٤٥).

(٦) انظر صحيح البخاري رقم (٤٠٢٨).

المبحث الخامس: الخصائص العامة للأساليب الدعوية:

إن الأساليب الدعوية لها خصائص عامة تتصف بها وتنظم استخدامها أيضاً.

من هذه الخصائص العامة للأساليب: الانضباط بالشرع، والتدرج في التطبيق للاستمرار، ويمكن أن نضيف إليها ما يأتي:

١- الفطرية:

ونعني بهذه الخصيصة: انسجام الأساليب الدعوية مع الفطرة الإنسانية؛ وذلك لأن الأساليب السابقة بأشكالها المتنوعة منها ما يلامس قلب المدعو ويحرك عواطفه، وهذا يعد ركيزةً من ركائز المنهج العاطفي: كأسلوب الموعظة الحسنة بجميع أشكالها.

ومنها ما يلامس عقلَ المدعو، ويحرِّك فكره، ويدعوه إلى التدبر والاعتبار، ويعد ركيزة من ركائز المنهج العقلي: كأسلوب المجادلة بالحسنى.

ومنها ما يلامس الحِسّ البشري، ويدعو إلى المحاكاة والمشابهة، ويعد ركيزة من ركائز المنهج الحسي: كأسلوب القدوة الحسنة.

فالداعية الحكيم هو الذي يختار الشكل المناسب من أشكال الأساليب المتنوعة للمناهج المتعددة، فيلبي في دعوته متطلبات الفطرة الإنسانية من جميع جوانبها، كما فعل القرآن الكريم، والرسول العظيم ﷺ.

٢- التنوع:

ونعني بها: تعدد أشكال الأساليب الدعوية وتنوعها تنوعا يغطي حاجات الدعوة، ويلبي متطلبات الفطرة.

وقد سبق معنا الحديث عن عدد من أشكال هذه الأساليب، كنماذج من الأساليب الدعوية الكثيرة، التي يمكن أن تندرج تحت أسلوب من الأساليب التي تكلمْنا عنها.

فالدعوة قد تحتاج إلى أسلوب القوة كما تحتاج إلى أسلوب اللين، وقد

تحتاج إلى أسلوب المواجهة بالخطأ وتعيينه، كما تحتاج إلى أسلوب التعميم وعدم المواجهة، فقد كان رسول الله ﷺ يقول أحيانًا عند الإنكار: **"ما بال أقوام يقولون كذا، أو يفعلون كذا"**[(١)]، وما إلى ذلك.

وكان يواجه أحيانا صاحب الخطأ فيقول: **"ما بال مقالة بلغتني عنكم؟"**... وما إلى ذلك[(٢)].

والداعية الحكيم هو الذي يحسن استخدام الأسلوب المناسب في الموقف المناسب، فدائرة الاختيار بين الأساليب واسعة جدا لا تخفى على المتتبع لها.

٣- التطور:

ونعني بها: عدم ثباتها على شكل واحد، فإن الأساليب الدعوية تختلف من وقت إلى آخر، ومن حال إلى حال، وذلك بحسب المقتضيات والأزمان.

فقد يصلح أسلوب دعوي مع شخص معين في حال معينة أو عمر معين، فإذا استمر المدعوّ على واقعه، ولم يفده ذلك الأسلوب، كان على الداعية أن يغير من أسلوبه بما يتناسب مع حال المدعو، ويطوره إلى ما يراه أصلح له.

فقد يتطور الأسلوب الواحد من ترغيب إلى ترهيب، أو من موعظة حسنة إلى هجر، ومن هجر إلى ضرب أحيانا كما أشارت إلى ذلك الآية الكريمة: ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤].

وقد يتطور الموقف مع العدو من أسلوب المهادنة والصلح إلى أسلوب المواجهة والقتال، وقد يتطور تطورا عكسيا من القتال إلى المهادنة، وذلك بحسب أحوال الدعاة والمدعوين.

كما قد يتطور أسلوب تطبيق الشورى من شكل إلى شكل، فمن شورى فردية، إلى شورى جماعية، ومن شورى مُعْلِمة إلى شورى مُلزِمَة، وهكذا بحسب الأحوال.

---

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب النكاح: باب الترغيب في النكاح (١٢٦/٩) (ح٥٠٦٣)، ومسلم في كتاب النكاح: باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة (١٠٢٠/٢)(ح٥)، كلاهما عن أنس، واللفظ لمسلم.

(٢) تقدم تخريجه.

هذا كله مثل تطور أساليب التجارة والبيع والشركات من عصر إلى عصر، فيقبل أيُّ شكل جديد منها، ما دام مندرجاً تحت الأحكام الشرعية الثابتة، ولا يصادم مقصدًا شرعيا، ولا يؤدي إلى مفسدة.

والأصل في الأساليب الدعوية -ما عدا أساليب العبادات- أنها اجتهادية متطورة، يمكن للدعاة أن يُحَسّنوا منها، ويطوروها بحسب مقتضيات عصرهم، ويكفي دليلا على ذلك عملُ الخلفاء الراشدين، والصحابة الكرام، والسلف الصالح في تطوير أساليب حفظ القرآن الكريم والسنة النبوية.

فقد تطور أسلوب حفظ القرآن من حفظه في الصدور وعلى السطور مُوزّعًا، إلى جمعه كاملا في زمن أبي بكر ﷺ ثم إلى توحيد المصاحف زمن عثمان ﷺ، ثم إلى تنقيطه وشكله فيما بعد.

كما تطور حفظ السنة من أسلوب حفظها وكتابتها من قِبَل بعض الصحابة -رضوان الله عليهم- إلى الاهتمام بتدوينها وجمعها كاملة، وتمييز صحيحها من سقيمها، والتدقيق في أحوال رواتها.

والعجب ممن يقف على منهج السلف الصالح في تطوير أساليب حفظ القرآن والسنة، ثم يقف جامدًا على أساليب دعوية أخرى في الحركة والدعوة، لا يفكر في تطويرها، ويتحرج من تغييرها وكأنها ثوابت شرعية في نظره، وذلك في الوقت الذي طوّر فيه الأعداء من أساليبهم، وتفننوا في تنويعها وتشكيلها، واستوعبوا حياة الناس بها، ولو عرف هؤلاء حقيقة دينهم، وخصائص دعوتهم، لكانوا أسبق الناس إلى تحقيق الأصالة والمعاصرة في حياتهم[1].

---

(١) راجع بحث (الأصالة والمعاصرة خصيصتان من خصائص الدعوة الإسلامية) د/ محمد أبو الفتح البيانوني، نشر في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - العدد الأول عام ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م، وراجع كتاب (منهج الدعوة إلى الله) لأمين أحسن إصلاحي ص: (٥٧ - ٦١).

خلاصة الفصل الثاني

- المنهج الدعوي يظهر في مجموعة الأساليب التي يستخدمها نظام واحد مثل المنهج العاطفي، والعقلي، والحسي.

- حصر الأساليب الدعوية صعب نظرًا لتنوعها وكثرتها.

- أسلوب الحكمة هو الأسلوب الذي يضع الشيء موضعه، فيكون أسلوب احكمة شاملا لجميع الأساليب الدعوية من هذا الوجه.

- أهمية أسوب الحكمة تتجلى في جـــمع معناه للحكمة النظرية والعملية، واختياره -سبحانه- لنفسه اسم "الحكيم"، وملء قلب النبيِّ ﷺ بالحكمة وقيامه ﷺ بتعليم الحكمة، والأمر بالدعوة بها، وجعلها من أفضل ما يعطى العبد.

- ومظاهرها كثيرة، منها: اختيار المنهج المناسب واختيار الشكل المناسب، واعتماد مراتب الاحتساب، البحث عن الدوافع والأسباب لاختيار أسلوب المعالجة، ومراعاة اختلاف الظروف والأحوال.

-من خصائص أسلوب الحكمة:

١- إمكان تعلمه واكتسابه

٢- عظيم آثاره في الدعوة، والتي منها:

أ- الوصول إلى الأهداف من أقرب طريق، وبأفضل النتائج، وأقلّ الخسائر.

ب- تقريب القلوب من الدعوة والدعاة، وإزالة الشحناء والبغضاء.

- "الموعظة الحسنة" أسلوب من أساليب الدعوة، وهي في الاصطلاح تُرادف النصيحة.

- من أشكال الموعظة الحسنة: القول الصريح اللطيف، والإشارة اللطيفة المفهومة، والتعريض والكناية المؤدية، والقصة والخطابة المؤثرة، والتذكير بالنعم، والمدح والذم، والترغيب والترهيب، والتوعد بالنصر والتمكين، والتحمل والصبر.

- وأهميتها تظهر من أمور مثل: أن الله أمر باستعمالها وجَعَلَهَا الرسول ﷺ أساس الدين، ومبايعة الصحابة عليها، استخدام جميع الأنبياء والمرسلين لها.

- ومن خصائصها: لُطْف عبارتها ومناسبتها للمقام، وتنوع أشكالها، وعظم آثارها في نفوس المدعوّين.

- أسلوب المجادلة هو دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة.

- قسم العلماء الجدل إلى ممدوح ومذموم.

- وأهمية أسلوب المجادلة تظهر من عدة أمور منها: كونه فطريا، وطلب الله استخدامه، واستخدام الأنبياء والمرسلين له، واهتمام الدعاة من زمن الصحابة به.

- آداب الجدل والمناظرة تحقق ثلاثة أمور:

١- تصحيح الغاية والهدف من الجدل.

٢- تصحيح الشكل والأسلوب.

٣- تصحيح النتيجة والأثر.

- من خصائص أسلوب الجدل:

أ - اعتماده على العلم والمعرفة.

ب - إقامة الحجة على الخصم وإفحامه:

ج - تنوع بواعثه ودوافعه تنوعًا كبيرًا.

- أسلوب القدوة الحسنة أسلوب عامٌّ يشمل التأسي بكل من عمل عملا صالحا حسنا، سواء أكان نبيًّا رسولا، أم كان تابعا للرسل الكرام، ناهجا نهجهم في عمله.

- تبرز أهمية أسلوب القدوة الحسنة من عدة أمور، منها:

أ- جَعْلُ الله ﷻ لعباده أسوة عملية في الرسل والصالحين من عباده، وعدم اكتفائه بإنزال الكتب عليهم.

ب- أن من طبيعة البشر وفطرتهم التي فطرهم الله عليها أن يتأثروا بالمحاكاة والقدوة، أكثر من تأثرهم بالقراءة والسماع، ولاسيما في الأمور العملية، ومواقف الشدة وغيرها، وهذا التأثر فطري لا شعوري في كثير من الأحيان.

ج- أن أثر القدوة -عامة- يشمل جميع الناس على مختلف مستوياتهم، حتى الأميّ.

- ومن خصائص أسلوب "القدوة":

أ- سهولته، وسرعة انتقال الخير من المُقْتدَى به إلى المُقْتَدِي.

ب- سلامة الأخذ وضمان الصحة.

ج- عمق التأثير في النفس البشرية.

- الخصائص العامة للأساليب الدعوية: الانضباط بالشرع، والتدرُّج في التطبيق ويضاف إليها:

١- الفطرية: وهي انسجام الأساليب الدعوية مع الفطرة الإنسانية.

٢ - التنوع: وهو تعدد أشكال الأساليب الدعوية وتنوعها تنوعا يغطي حاجات الدعوة، ويلبي متطلبات الفطرة.

٣- التطور: وهو عدم ثباتها على شكل واحد، فإن الأساليب الدعوية تختلف من وقت إلى آخر، ومن حال إلى حال، وذلك بحسب المقتضيات والأزمان.

اختبار الفصل الثاني

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (✗) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١- الحكمة في اللغة تعني الذكاء والنبوغ فقط.

٢- الحكماء لا يحتاجون إلى العلم إنما يستخدمون العقل وحده.

٣- ينقسم الجدل إلى نوعين ممدوح ومذموم.

٤- أسلوب الجدل يعتمد على العلم والمعرفة وإقامة الحجة على الخصم وإفحامه.

٥- للأساليب الدعوية خصائص، منها: الفطرية والتنوع والتوقيف.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

١- يمكن تعريف أساليب الدعوة اصطلاحًا بأنها:

أ- الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته.

ب- كيفيات تطبيق مناهج الدعوة.

ج- استخدام الكتب المطبوعة لنشر الدعوة.

د- الاعتماد على وسائل الإعلام وحدها في الدعوة.

هـ- كل من أ، ب.

٢- جميع النقاط التالية تعبر عن أشكال الموعظة الحسنة ما عدا:

أ- التهديد والتعنيف واستعمال اليد.

ب- الإشارة اللطيفة المفهومة.

ج- التعريض، والكناية المؤدية، والتورية.

د- التذكير بالنعم المستوجبة للشكر.

هـ- الترغيب والترهيب.

٣- من الأمور التي تبين أهمية أسلوب الجدل أن الجدل:

أ- أمر فطريٌّ جُبل عليه الإنسان.

ب- أمر الله -سبحانه- باستخدامه.

ج- استخدمه الأنبياء جميعاً في دعوتهم إلى الله تعالى.

د- موضع اهتمام الدعاة من زمن الصحابة إلى يومنا هذا.

هـ- جميع ما سق.

٤- من بين خصائص أسلوب الجدل في الدعوة:

أ- اعتماده على العلم والمعرفة.

ب- يقوم على المجادلة العقلية دون الاعتبار بالعلم.

ح- إقامة الحجة على الخصم وإفحامه.

د- تنوع بواعثه ودوافعه تنوعاً كبيراً.

هـ- ما ورد في أ، ج، د.

٥- خصيصة الفطرية من الخصائص العامة للأساليب الدعوية، وتعني:

أ- انسجام الأساليب الدعوية مع الفطرة الإنسانية.

ب- تعارض لأساليب الدعوية مع ثقافة المدعوين.

ج- إهمال الجوانب الاجتماعية للمدعوين.

د- استخدام التليفزيون كوسيلة أساسية للدعوة.

الوحدة الخامسة

مشكلات وقضايا معاصرة في ضوء فقه الدعوة

مبررات دراسة الوحدة:

الدعوة إلى الله اليوم تمر بمنعطفات كثيرة وخطيرة، وتموج ساحة العمل الإسلامي بتحديات عملية متنوعة، ولقد اختلفت وجهات النظر العلمية كما افترقت المسالك العميلة حول هذه القضايا، ودراسة علم فقه الدعوة مما يمهد السبيل لرأب الصدع، وتحقيق العدل، وضبط مسيرة العمل الإسلامي المعاصر في ضوء من الفقه الراشد والتطبيق المنضبط، فإلى جملة من مشكلات الدعوة وقضاياها المعاصرة بين التسديد والترشيد.

قضايا ومشكلات معاصرة في ضوء فقه الدعوة

الفصل الأول: فقه الاختلاف.

الفصل الثاني: الاشتغال بالعمل السياسي.

الفصل الثالث: فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الفصل الرابع: فقه الأولويات في مسيرة الدعوة.

ثالثاً: أسئلة متنوعة:

١- من الأفكار التي سرت من عامة الناس إلى بعض الدعاة: أن الإسلام يُنَفِّر من النقاش الذي يدفع فيه كل مناقش رأي خصمه مبينًا ما فيه من الفساد بالحجة والدليل. وقد تيسر لك أن تلتقي ببعض الدعاة الذين سرت إليهم هذه الفكرة فتناقشت معهم في أهمية هذا الأسلوب وخصائصه وآدابه في مجال الدعوة إلى الله. اعرض لنا وجهة نظر التاركين لهذا الأسلوب، ثم ناقش وجهة نظرهم بالأدلة والحوار.

٢- يهتم كثير من الدعاة بالتصنيف العلمي في أمور الدعوة إلى الله، كما يهتمون بإقامة الندوات والدورات التدريبية في مجال الدعوة إلى الله، وفي خضمّ هذه الأعباء والأعمال لا يجدون وقتًا للقيام بواجب التربية لأنفسهم، فيقع خلل بين ما ينظِّرُونَه من أفكار وما يقومون به من أعمال، وبهذا تخرج أعمالهم منفِّرة ومانعة للناس من الاستجابة لدعوتهم إلى الله. وفي لفتة طيبة منك أردْتَ أن تنصح لهؤلاء الدعاة، فدعوتهم لندوة يتناقشون فيها حول أهمية الأسوة الحسنة في مجال الدعوة إلى الله، وتناقش الجميع وتناقشْت معهم، وعرف هؤلاء الدعاة موطن الخلل في دعوتهم، وشكروا لك. اعرض لنا ما دار من نقاش في هذه الندوة.

٣- تحدث بتفصيل مناسب عن أساليب الدعوة.

٤- اكتب مذكرات مختصرة عن الخصائص العامة للأساليب الدعوية.

القراءات الإثرائية

المؤلف	الكتاب
د. أحمد محمد العدناني	١- طريق الدعوة الإسلامية
د. عمارة نجيب	٢- فقه الدعوة والإعلام
د. محمد موفق الغلاييني	٣- وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة
د. توفيق الواعي	٤- الدعوة إلى الله
د. عبد القادر طاش	٥- رؤى على طريق الدعوة
د. صلاح الصاوي	٦- مدى شرعية الانتماء

النشاط التعليمي للوحدة الرابعة

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول موضوعات هذه الوحدة عليك بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

ادرس وسائل الدعوة المستجدة وبيّن أحكامها في بحث، مستعينًا بالشبكة العنكبوتية.

الوحدة الخامسة

مشكلات وقضايا معاصرة في ضوء فقه الدعوة

الفصل الأول: فقه الاختلاف

الأهداف التعليمية للفصل:

عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذا الفصل أن تصبح قادراً على أن:

١- تقف على حقيقة الخلاف في الفروع والمسائل الاجتهادية والمحمود والمذموم من هذا الخلاف.

٢- تذكر القرار الذي اتخذه المجمع الفقهي بشأن الخلاف الفقهي بين المذاهب والتعصب المذهبي من بعض أتباعها.

٣- تستنبط حقيقة الخلاف في الأصول والمذاهب الاعتقادية، ومنشأ هذا الاختلاف، ونهْي النبي ﷺ عن هذا الاختلاف وعاقبة أهل هذا الاختلاف.

٤- توضح منهج أهل الحق في التعامل مع الخلاف في الأصول والمذاهب الاعتقادية، مع ذكر ما أُثر عن أهل العلم في ذلك.

٥-تشرح الاختلاف في الحروب والآراء ومجالات الشورى، ودائرة هذا الاختلاف، وأثر هذا الاختلاف على الدعوة في واقعنا المعاصر.

٦- تحضر أو تشارك في ندوة تتاول موضوع فقه الاختلاف وما يرتبط به مسائل.

الفصل الأول: فقه الاختلاف(*)

إن من أخطر مشكلات العمل الإسلامي المعاصر -إن لم يكن أخطرها على الإطلاق- ما يغشى مسيرته من تشرذم وتمارج واختلاف، ولا يكاد يختلف اثنان من المشتغلين بهموم الدعوة في هذا العصر في أن هذه العلة على رأس العلل التي عوقت مسيرة الحركة الإسلامية، وحالت بينها وبين ما تصبو إليه من الاستخلاف في الأرض والتمكين للدين، وأنه يجب أن تستنفر لدفعها الجهود ببصيرة المؤمنين، وجلادة المجاهدين.

وإن من يتدبر نصوص الشريعة المطهرة، ويعتبر بمسيرة التاريخ ليدرك أن التنازع قرين الخذلان والفشل، وأن تفرق الكلمة وتقطع الأمر نذير التصدع والانهيار، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهذا التفريق الذي حصل من الأمة: علمائها ومشايخها، وأمرائها وكبرائها، هو الذي أوجب تسلُّط الأعداء عليها، وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورسوله. فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة والبغضاء، وإذا تفرق القوم فَسَدُوا وهلكوا، وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا؛ فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب"(١).

ولا يخفى أن تعدد الاجتهادات وتفاوت الآراء في فروع الشريعة علمية كانت أو عملية -لا يمثل بذاته الأمر المحذور الذي يفضي إلى كل هذه الشنائع. بل لا يبعد القول بأن نسبة من هذا التفاوت مقصودة للشارع ابتداء؛ نظرا لما جبل الله عليه عباده من تفاوت الأنظار والمدارك، ولو شاء ربك أن ينـــزل القرآن على نحو لا يحتمل في الفهم إلا

(*) استفيد هذا البحث من كتاب مدخل إلى ترشيد العمل الإسلامي، للدكتور صلاح الصاوي.

(١) مجموع الفتاوى (٣/٤١٩ - ٤٢١).

وجها واحدا ما أعجزه ذلك، ولكن الله أنـــزل القرآن وجعل من آياته ما يحتمل في الفهم وجوها متعددة، وجعل في سنة نبيه ﷺ ما يحتمل في الفهم وجوها متعددة كذلك؛ ليدل على أن تفاوت الأنظار في مجاري الاجتهاد ليس هو المحذور ابتداء، ولكن المحذور ما قد يفضي إليه ذلك لدى بعض الناس من التعصب والتفرق والاختصام.

وهذه النظرة هي التي تحدد ابتداء منهج التعامل مع هذه الفتنة، وترسي أسس معالجتها في إطار من الشرعية والواقعية، فالمقصود في الفتنة الفروعية: ليس هو السعي في جمع الكلمة حول اجتهاد واحد -ولو تحقق ذلك لكان خيرًا وبركة- ولكن السعي في إحياء أدب الاختلاف في هذه المسائل، وإرساء منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع المخالف في هذه القضايا، وبيان أن الاعتصام بالجماعة والائتلاف -من أصول الدين، وأنه لا ينبغي أن يقدح في الأصل بحفظ الفرع.

فالمقصود أن يتعلم الناس كيف يختلفون في هذه المسائل، وكيف يحافظون على الألفة والجماعة، رغم اختلافهم فيها على النحو الذي كان عليه خير القرون أصحاب رسول الله ﷺ، ثم من جاء بعدهم من التابعين وتابعي التابعين.

وفي هذه المعالجة السريعة محاولة لتجلية بعض القواعد الضابطة لقضية الاختلاف بين الدعاة، سواء ما كان منه في الفروع والمسائل الاجتهادية، أو ما كان في الأصول والقواعد الكلية.

وينقسم الخلاف بحسب موضوعه إلى ثلاثة أقسام:

أ- خلاف في الفروع والمسائل الاجتهادية.

ب- خلاف في الأصول والمذاهب الاعتقادية.

ج- خلاف في الآراء والسياسة ومجالات الشورى.

ومن هذه الأنواع ما هو مذموم بإطلاق، ومنها ما يذم بعضه ويقبل بعضه على ما يرد تفصيله في المباحث الآتية:

المبحث الأول: الخلاف في الفروع والمسائل الاجتهادية

لقد قضى الله بحكمته أن تكون فروع هذه الملة قابلة للأنظار، ومجالا لتفاوت الاجتهادات، فلم ينصب على جميع الأحكام الشرعية أدلة قاطعة، بل جعلها ظنية قصدا للتوسعة على المكلفين، والظنيات عريقة في إمكان الاختلاف فيها، ولو شاء ربك لجعل النصوص الشرعية كافة على نحو لا تحتمل معه في الفهم إلا وجهًا واحدًا، ولو أراد ذلك ما أعجزه، ولكنه جعلها على نحو يحتمل بعضها في الفهم وجوها متعددة؛ لئلا ينحصر الناس في مذهب واحد رحمة منه بعباده وتوسعة عليهم، فإذا ضاق بالأمة مذهب أحد الأئمة الفقهاء في وقت من الأوقات أو في أمر من الأمور وجدت في المذهب الآخر سعة، ورفقا ويسرا، في ضوء الأدلة الشرعية: ولهذا كان بعض العلماء يقول: "**إجماعهم حجة قاطعة، واختلافهم رحمة واسعة**".

وللخلاف في الفروع عدد من الخصائص، نوجز بيانها فيما يلي:

خصائص الخلاف في الفروع:

أ- أنه واقع لا محالة ولا سبيل إلى حسمه بالكلية:

وذلك لاختلاف المدارك والأفهام من ناحية، ولطبيعة النصوص الواردة في هذا المجال، وكونها حمالة ذات أوجه من ناحية أخرى.

يقول الشاطبي -رحمه الله-: "فإن الله تعالى حكم بحكمته أن تكون فروع هذه الملة قابلة للأنظار ومجالا للظنون؛ وقد ثبت عند النظار أن النظريات لا يمكن الاتفاق فيها عادة، فالظنيات عريقة في إمكان الاختلاف، لكن في الفروع دون الأصول، وفي الجزئيات دون الكليات، فلذلك لا يضر هـــذا الاختلاف"[١].

---

(١) الاعتصام للشاطبي (١٨٦/٢).

ب – أنه توسعة ورحمة:

فإذا ضاق الأمر بالأمة في مذهب من المذاهب التمست السعة في مذهب آخر، ومن تبين له صحة أحد القولين تبعه، ومن قلّد أهل القول الآخر فلا إنكار عليه، ولقد صنف رجل كتابا في الاختلاف فقال له الإمام أحمد لا تسمه كتاب الاختلاف ولكن سمه كتاب السعة، وقال بعض أهل العلم: إجماعهم حجة قاطعة، واختـــلافهم رحمة واسعة[١].

وقال عمر بن عبد العزيز: " ما يسرني أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا؛ لأنهم إذا اجتمعوا على قول فخالفهم رجل كان ضالاً، وإذا اختلفوا فأخذ رجل بقول هذا، ورجل بقول هذا كان في الأمر سعة"[٢].

يقول الشاطبي –رحمه الله– في بيان معنى هذه التوسعة: "ومعنى هذا أنهم فتحوا للناس باب الاجتهاد وجواز الاختلاف فيه؛ لأنهم لو لم يفتحوه لكان المجتهدون في ضيق؛ لأن مجال الاجتهاد ومجالات الظنون لا تتفق عادة – كما تقدم– فيصير أهل الاجتهاد مع تكليفهم باتباع ما غلب على ظنونهم مكلفين باتباع خلافهم، وهو نوع من تكليف ما لا يطاق، وذلك من أعظم الضيق، فوسّع الله على الأمة بوجود الخلاف الفروعي فيهم، فكان فتح باب للأمة للدخول في هذه الرحمة، فكيف لا يدخلون في قسم من رحم ربك! فاختلافهم في الفروع كـــاتفاقهم فيها، والحمد لله"[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٠/ ٧٩).

(٢) المرجع السابق (٣٠/ ٨٠).

(٣) جامع بيان العلم، لابن عبد البر: (٢/٢٨).

ج- عدم توجه إرادة السلف عبر التاريخ إلى حسم هذا الخلاف على مستوى الأمة أو إلزامها فيه بموقف واحد:

فقد طلب ثلاثة من خلفاء بني العباس[1] من الإمام مالك -رحمه الله- أن يحملوا الأمة على ما في "الموطأ"، وأن يجمعوا كلمتها حوله، فلم يجبهم إلى ذلك، وكان ذلك كما يقول ابن كثير من تمام علمه واتصافه بالإنصاف[2].

ولا يعرف للإمام مالك -رحمه الله- في عصره من أهل العلم من نازعه في رده ما دعاه إليه هؤلاء الخلفاء، فلقد سأل أبو جعفر المنصور الإمام مالك -رحمه الله- أن يحمل الناس على كتابه الموطأ كما ذكر ذلك ابن عساكر وابن عبد البر رحمهما الله تعالى، فقال مالك -كما في رواية ابن عساكر: "لا تفعل هذا فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل، وسمعوا أحاديث وروايات، وأخذ كل قوم منهم بما سبق إليهم، وعملوا به، ودانوا به من اختلاف الناس وغيرهم، وإن ردهم عما اعتقدوه شديد، فدع الناس وما هم عليه، وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم، فقال: لعمري لو طاوعني على ذلك لأمرت به"[3].

د - عدم تأثيم المخالف في هذه المسائل:

فالمعروف في مذهب أهل السنة أنه لا إثم على المجتهد في هذه المسائل وإن أخطأ، وأن من اجتهد فيها فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد، ومن أدلتهم على ذلك:

- عموم قوله ﷺ: **"إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا**

(١) وهؤلاء الخلفاء هم: الخليفة أبو جعفر المنصور، وابنه المهدي، وحفيده هارون الرشيد.

(٢) الباعث الحثيث: (٣٠)

(٣) كشف الغطاء لابن عساكر: (٤٧). والانتقاء لابن عبد البر: (٤١).

حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر"[1].

وما صح من أن النبي ﷺ قال يوم الأحزاب: **"لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة"**، فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم لا نصلي حتى نأتيهم، وقال بعضهم: بل نصلي. لم يُرد منا ذلك، فذُكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنّف أحدا منهم[2].

قال الحافظ ابن حجر: **"وقد استدل به الجمهور على عدم تأثيم من اجتهد؛ لأنه ﷺ لم يعنف أحدًا من الطائفتين، فلو كان هناك إثم لعنف من أثم"**[3].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: **"ومذهب أهل السنة والجماعة أنه لا إثم على من اجتهد وإن أخطأ"**[4].

هـ - لا إنكار في المسائل الاجتهادية:

وهذا مما يتصل بالمسألة السابقة؛ لأنه إذا تمهد عدم تأثيم المخالف في هذه المسائل فقد تمهد عدم الإنكار عليه أيضا؛ لأنه لا إنكار إلا في مواضع الإثم البين.

روى أبو نعيم في الحلية بإسناده عن سفيان بن سعيد الثوري قوله: "إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذي قد اختُلف فيه وأنت ترى غيره فلا تنهه"[5].

وروى الخطيب البغدادي عنه قوله: "ما اختلف فيه الفقهاء فلا أنهى أحدا

---

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (٣٨٦/١٣) (ح٧٣٥٢)، ومسلم في كتاب الأقضية: باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (١٣٤٣/٣) (ح١٥)، كلاهما عن ابن عمرو.

(٢) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب صلاة الخوف: باب صلاة الطالب والمطلوب راكبًا وإيماءً (٥٣١/٢) (ح٩٤٦)، عن ابن عمر.

(٣) فتح الباري: (٧/ ٤١٠).

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية: (١٩/ ١٢٣).

(٥) حلية الأولياء لأبي نعيم: (٣٦٨/٦).

من إخواني أن يأخذ به"(١).

ويجعل السيوطي في كتابه الأشباه والنظائر هذا المعنى قاعدة من قواعد الفقه الكلية فيقول: "لا ينكر المختلف فيه وإنما ينكر المجمع عليه"(٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقد اتفق الصحابة في مسائل تنازعوا فيها؛ على إقرار كل فريق للفريق الآخر على العمل باجتهادهم، كمسائل في العبادات والمناكح، والمواريث والعطاء، والسياسة، وغير ذلك، وحكم عمر في أول عام في الفريضة الحمارية بعدم التشريك، وفي العام الثاني بالتشريك في واقعة مثل الأولى، ولما سئل عن ذلك قال: تلك على ما قضينا وهذه على ما نقضي. وهم الأئمة الذين ثبت بالنصوص أنهم لا يجتمعون على باطل ولا ضلالة، ودلّ الكتاب والسنة على وجوب متابعتهم"(٣).

تنبيهان يتعلقان بهذه المسألة:

التنبيه الأول: في حقيقة المراد بالمسائل الاجتهادية، وعدم الخلط بينها وبين المسائل الخلافية:

المسائل الاجتهادية: كل أمر لم يرد فيه دليل قاطع - أي: نص صحيح، أو إجماع صريح.

ويعرفها الشاطبي بقوله: "محال الاجتهاد المعتبر: هي ما ترددت بين طرفين وضح في كل منهما قصد الشارع في الإثبات في أحدهما والنفي في الآخر، فلم تنصرف البتة إلى طرف النفي، ولا إلى طرف الإثبات"(٤).

---

(١) الفقيه والمتفقه: (٢/ ٦٩).

(٢) انظر الأشباه والنظائر، (ص١٥٨).

(٣) مجموعة فتاوى ابن تيمية: (١٩/ ١٢٢ - ١٢٣).

(٤) مجموعة فتاوى ابن تيمية: (١٩/١٢٢ - ١٢٣).

ويذكر من أمثلتها: زكاة الحلي، فقد أجمع أهل العلم على عدم الزكاة في العروض، وعلى وجوب الزكاة في النقدين؛ لكونهما معدين للتعامل والثمنية بخلقتهما، فصار الحلي المباح دائرا بين الطرفين؛ لأنه أخذ وصفا واحدا من النقدين وهو كونه من الذهب والفضة، وباستعماله للزينة لا للثمنية فَقَدَ الوصف الآخر، وشارك العروض في عدم قصده بالثمنية فجاء فيه الخلاف.

أما المسائل الخلافية فهي أعم من ذلك فهي تشمل كل ما وقع فيه الخلاف، وإن كان الخلاف ضعيفًا أو شاذًا، أو مما اعتبر من زلات العلماء؛ ولهذا فإن كل ما كان من مسائل الاجتهاد فهو من مسائل الخلاف، وليس العكس.

ومن أجل هذا استثنى العلماء من عدم الإنكار على المخالف في المسائل الخلافية ما ضعف فيه الخلاف وكان شاذا، أو اعتبر من زلات العلماء.

التنبيه الثاني: مفهوم الإنكار المنفي في هذه المسألة:

الإنكار المنفي في هذه المسائل هو الإنكار باليد، أو التشنيع على المخالف والقدح في دينه وعدالته وهجره من أجلها، ولا يتنافى هذا مع بيان الراجح من الرأيين، أو ذكر أوجه ضعف ما ذهب إليه المخالف ونحوه، كما لا يتنافى مع ندب المخالف للعمل بالأحوط والخروج من الخلاف كما ذكر ذلك النووي –رحمه الله.

فهذا هو الميزان الذي يضبط به أمر هذه القاعدة، ويجمع به بين ما أثر فيها من مقالات متعارضة عن بعض أهل العلم.

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن والٍ لا يرى جواز شركة الأبدان فهل له أن يمنع الناس من ذلك؟ فأجاب: "ليس له منع الناس من مثل ذلك ولا من نظائره مما يسوغ فيه الاجتهاد "، إلى أن قال: "ولهذا قال العلماء المصنفون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أصحاب الشافعي وغيره: إن مثل هذه المسائل الاجتهادية لا تنكر باليد، وليس لأحد أن يلزم الناس باتباعه فيها، ولكن

يتكلم فيها بالحجج العلمية، فمن تبين له صحة أحد القولين تبعه، ومن قلد أهل القول الآخر فلا إنكار عليه"(1).

و- جواز العمل بالمرجوح والمفضول في هذه المسائل رعاية لمصلحة شرعية معتبرة:

وهذه من الدقائق التي غاب فقهها عن كثير من الناس رغم مسيس الحاجة إليها في واقعنا المعاصر؛ ذلك لأن مبنى الشريعة تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، فإذا تعارضت كان تحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، ودفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما -هو المشروع، وعلى هذا فإذا تعارضت مصلحة الائتلاف والاعتصام بالجماعة مع بعض هذه الفروع، واقتضت ترك مستحب أو مسنون وفعل مرجوح أو مفضول كانت مصلحة التأليف والاجتماع أولى بالاعتبار.

وقد استفاضت مقالات أهل العلم في التأكيد على هذا المعنى، ومارسوه عمليا فيما لا يحصى من الوقائع.

فقد استحب أحمد -رحمه الله- فيما ينقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية لمن صلى بقوم لا يقنتون بالوتر، وأرادوا من الإمام أن لا يقنت لتأليفهم، فقد استحب ترك الأفضل لتأليفهم(2).

يقول -رحمه الله: "ولذلك استحب الأئمة -أحمد وغيره- أن يدع الإمام ما هو عنده أفضل، إذا كان فيه تأليف المأمومين، مثل أن يكون عنده فصل الوتر أفضل -بأن يسلم في الشفع ثم يصلي ركعة الوتر- وهو يؤم قوما لا يرون إلا وصل الوتر، فإذا لم يمكنه أن يتقدم إلى الأفضل كانت المصلحة الحاصلة بموافقته لهم بوصل الوتر أرجح من مصلحة فصله، مع كراهتهم للصلاة خلفه، وكذلك

(1) مجموع فتاوى ابن تيمية: (٣٠/ ٨٠).

(2) مجموع الفتاوى: (٢٢/ ٣٤٤ - ٣٤٥).

لو كان ممن يرى المخافتة بالبسملة أفضل، أو الجهر بها، وكان المأمومون على خلاف رأيه، ففعل المفضول عنده لمصلحة الموافقة والتأليف التي هي راجحة على مصلحة تلك الفضيلة كان جائزًا حسنًا"(١).

ز- أن هذا الخلاف لا يقدح في بقاء الألفة والمودة، ولا يخرق سياج الموالاة الإيمانية:

لعل من نافلة القول أن نقرر أن الخلاف الفروعي لا يخدش مودة ولا ألفة ولا يضعف ولاء ولا نصرة "وقد كان العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله تعالى في قوله: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: ٥٩]. كانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية، مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين"(٢).

يقول الشافعي رحمه الله: "مالك بن أنس معلمي، وعنه أخذْت العلم وإذا ذكر العلماء فمالك النجم، وما من أحد أمنّ عليَّ من مالك بن أنس"(٣).

ونقل عن الشافعي أنه قال: "سئل مالك يوما عن عثمان البتي فقال: كان رجلا مقاربا، قيل: فأبو حنيفة: قال: لو جاء إلى أساطينكم هذه -يعني سواري المسجد- فقايسكم على أنها خشب، لظننتم أنها خشب"(٤). إشارة إلى براعته في القياس، أما الإمام الشافعي فما أكثر ما روي عنه قوله: "... الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة"(٥).

(١) المرجع السابق: (٢٤/ ١٩٥ - ١٩٦).

(٢) المرجع السابق: (٢٤/ ١٧٢).

(٣) الانتقاء لابن عبد البر: (٢٣).

(٤) المرجع السابق: (١٤٧).

(٥) المرجع السابق: (١٣٦).

وعن عبد الله بن الإمام أحمد قال: قلت لأبي: "أي رجل كان الشافعي، فإني أسمعك تكثر الدعاء له؟ فقال: يا بني كان الشافعي -رحمه الله- كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فانظر هل لهذين من خلف أو عوض؟"

المحمود والمذموم من هذا الاختلاف:

لقد سبق أن الخلاف في الفروع والمسائل الاجتهادية واقع لا محالة، وأنه لا يقدح في دين ولا في عدالة، ولا يذهب ألفة ولا مودة، ولا يؤثّم فيه المخالف، ولا يُنكر عليه -إلا فيما ضعف مأخذه أو اعتبر من زلات العلماء- وأنه قد يعمل فيه بالمفضول والمرجوح رعاية لمصلحة شرعية راجحة.

ولا شك أن هذا الاختلاف إن بقي في هذا الإطار كان محمودا مرضيا لما يتيحه من التعرف على جميع الاحتمالات الشرعية المقبولة التي ترمي إليها الأدلة الشرعية، ولما فيه من التوسعة على الأمة والرحمة بها، فإذا ضاق الأمر عليها في مذهب التمست اليسر والسعة في مذهب آخر، ولما يتضمنه من رياضة الأذهان وتلاقح الآراء، وتقليب النظر في الأمر من مختلف وجوهه، فيتسع مجال استنباط الأحكام من النصوص، ويتجدد شباب لفقه الإسلامي، وتتسع أحكامه لكل ما يطرأ من الحوادث والأقضيات.

أما إذا خرج الاختلاف عن هذا الإطار، فدار في فلك التعصب المذموم، واخترق به سياج الأخوة الإيمانية، وشقت به صفوف الأمة، وأصبح به الناس شيعًا وأحزابًا، كلٌّ يدعو لمقالات متبوعه، ويعقد ولاءه وبراءه عليها، ويجهد في التشنيع على مخالفها، وقذفه بالتهم والمناكير، فقد صار داء وبيلاً وشرًّا مستطيرًا، وأهله خارجون عن السنة والجماعة داخلون في الفُرقة والضلالة.

وإن الأمة التي شهدت هذه الصفحات الوضيئة للسابقين من أئمة العلم والدين في التراحم والتغافر، وتبادل التقدير والتناصح، واقتداء بعضهم ببعض،

وثناء بعضهم على بعض، قد شهدت في عصور انحطاطها صحائف مقابلة هي أشد ظلمة من الليل، تشققت بها العداوات، وتفجّرت بها الخصومات، حتى بلغ الأمر مبلغ تحريم زواج الحنفي من شافعية، ثم تجويزهم إياه قياسًا على أهل الكتاب، بالإضافة إلى تصريح بعضهم ببطلان الاقتداء في الصلاة بالمخالف، مع ما صاحب ذلك من الإرجاف والشناعات.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وليس لأحد أن ينصّب للأمة شخصًا يدعو إلى طريقته، ويوالي ويعادي عليها غير النبي ﷺ، ولا ينصب لهم كلاما يوالى عليه ويعادى، غير كلام الله ورسوله وما اجتمعت عليه الأمة، بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصا أو كلاما يفرقون به بين الأمة يوالون به على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون"[(١)].

ويقول في موضع آخر: "ومن نصّب شخصًا كائنًا من كان فوالى وعادى على موافقته في القول والفعل فهو: ﴿**مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعًا**﴾"[(٢)].

ونختم هذا المبحث بالقرار الذي أصدره المجمع الفقهي في دورته العاشرة المنعقدة بمكة المكرمة في صفر، عام ١٤٠٨ هجرية، حول قضية الخلاف الفقهي بين المذاهب والتعصب المذهبي من بعض أتباعها، وهو ممهور بتوقيع اثني عشر عالما من أكابر علماء الأمة.

قرار مجلس المجمع الفقهي

في دورته العاشرة المنعقدة في سنة ١٤٠٨ هـ بشأن موضوع الخلاف الفقهي بين المذاهب والتعصب المذهبي من بعض أتباعها:

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية: (٢٠/١٦٤).

(٢) المرجع السابق: (٢٠/ ٨).

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا ونبينا محمد -صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

أما بعد:

فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في دورته العاشرة المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة من يوم السبت ٢٤ من صفر ١٤٠٨ هـ الموافق ١٧ من أكتوبر ١٩٨٧م إلى يوم الأربعاء ٢٨ من صفر ١٤٠٨ هـ الموافق ٢١ من أكتوبر ١٩٨٧م. قد نظر في موضوع الخلاف الفقهي بين المذاهب المتبعة، وفي التعصب الممقوت من بعض أتباع المذاهب لمذهبهم تعصبا يخرج عن حدود الاعتدال، ويصل بأصحابه إلى الطعن في المذاهب الأخرى وعلمائها، واستعرض المجلس المشكلات التي تقع في عقول الناشئة العصرية وتصوراتهم حول اختلاف المذهب الذي لا يعرفون مبناه ومعناه، فيوحي إليهم المضللون بأنه ما دام الشرع الإسلامي واحدًا وأصوله من القرآن العظيم والسنة النبوية الثابتة متحدة أيضا فلماذا اختلاف المذاهب؟ ولم لا توحد حتى يصبح المسلمون أمام مذهب واحد وفهم واحد لأحكام الشريعة؟ كما استعرض المجلس أيضا أمر العصبية المذهبية، والمشكلات التي تنشأ عنها، ولاسيما بين أتباع بعض الاتجاهات الحديثة اليوم في عصرنا هذا، حيث يدعو أصحابها إلى خط اجتهادي جديد، ويطعنون في المذاهب القائمة التي تلقتْها الأمة بالقبول من أقدم العصور الإسلامية، ويطعنون في أئمتها أو بعضهم ضلالا، ويوقعون الفتنة بين الناس.

وبعد المداولة في هذا الموضوع ووقائعه وملابساته ونتائجه في التضليل والفتنة: قرر المجمع الفقهي توجيه البيان التالي إلى كلا الفريقين -المضللين والمتعصبين- تنبيهًا وتبصيرًا:

أولا: حول اختلاف المذاهب:

إن اختلاف المذاهب الفكرية القائم في البلاد الإسلامية نوعان:

أ - اختلاف في المذاهب الاعتقادية.

ب - واختلاف في المذاهب الفقهية.

فأما الأول: وهو الاختلاف الاعتقادي، فهو في الواقع مصيبة جرّتْ إلى كوارث في البلاد الإسلامية، وشقّتْ صفوف المسلمين، وفرقت كلمتهم، وهي مما يؤسف له، ويجب أن لا يكون، وأن تجتمع الأمة على مذهب أهل السنة والجماعة الذي يمثل الفكر الإسلامي النقي السليم في عهد رسول الله ﷺ وعهد الخلافة الراشدة التي أعلن الرسول ﷺ أنها امتداد لسنته بقوله: "**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ**"[1].

وأما الثاني: وهو اختلاف المذاهب الفقهية في بعض المسائل فله أسباب علمية اقتضته، ولله سبحانه في ذلك حكمة بالغة، ومنها: الرحمة بعباده، وتوسيع مجال استنباط الأحكام من النصوص، ثم هي بعد ذلك نعمة وثروة فقهية تشريعية تجعل الأمة الإسلامية في سعة من أمر دينها وشريعتها، فلا تنحصر في تطبيق شرعيٍّ واحد حصرًا لا مناص لها منه إلى غيره، بل إذا ضاق بالأمة مذهب أحد الأئمة الفقهاء في وقت ما، أو في أمر ما، وجدت في المذهب الآخر سعة ورفقًا ويسرًا، سواء أكان ذلك في شئون العبادات أم في المعاملات وشؤون الأسرة والقضاء والجنايات على ضوء الأدلة الشرعية.

فهذا النوع الثاني من اختلاف المذاهب، وهو الاختلاف الفقهي، ليس

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب العلم: باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٣٠٨/٤)(ح٢٦٨٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأبو داود في كتاب السنة: بابٌ في لزوم السنة (٢٠٠/٤)(ح٤٦٠٧)، وأحمد (١٢٦/٤)، كلهم عن العرباض بن سارية، من حديث طويل.

نقيصة ولا تناقضا في ديننا، ولا يمكن أن لا يكون، فلا توجد أمة فيها نظام تشريعي كامل بفقهه واجتهاده ليس فيها هذا الاختلاف الفقهي الاجتهادي.

فالواقع أن هذا الاختلاف لا يمكن أن لا يكون؛ لأن النصوص الأصلية كثيرًا ما تحتمل أكثر من معنًى واحد، كما أن النص لا يمكن أن يستوعب جميع الوقائع المحتملة؛ لأن النصوص محدودة والوقائع غير محدودة كما قال جماعة من العلماء -رحمهم الله تعالى-، فلابد من اللجوء إلى القياس والنظر إلى علل الأحكام، وغرض الشارع والمقاصد العامة للشريعة، وتحكيمها في الوقائع والنوازل المستجدة، وفي هذا تختلف فهوم العلماء وترجيحاتهم بين الاحتمالات، فتختلف أحكامهم في الموضوع الواحد، وكل منهم يقصد الحق ويبحث عنه، فمن أصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد، ومن هنا تنشأ السعة ويزول الحرج.

فأين النقيصة في وجود هذا الاختلاف المذهبي الذي أوضحنا ما فيه من الخير والرحمة، وأنه في الواقع نعمة ورحمة من الله بعباده المؤمنين، وهو في الوقت ذاته ثروة تشريعية عظمى، وميزة جديرة بأن تتباهى بها الأمة الإسلامية، ولكنَّ المضللين من الأجانب الذين يستغلون ضعف الثقافة الإسلامية لدى بعض الشباب المسلم ولاسيما الذين يدرسون لديهم في الخارج، فيصورون لهم اختلاف المذاهب الفقهية هذا كما لو كان اختلافا اعتقاديا؛ ليوحوا إليهم ظلما وزورا بأنه يدل على تناقض الشريعة دون أن ينتبهوا إلى الفرق بين النوعين وشتّان ما بينهما.

ثانيا: وأما تلك الفئة الأخرى التي تدعو إلى نبذ المذاهب، وتريد أن تحمل الناس على خط اجتهاديٍّ جديد لها، وتطعن في المذاهب القائمة وفي أئمتها أو بعضهم، ففي بياننا الآنف عن المذاهب الفقهية ومزايا وجودها وأئمتها ما يوجب عليهم أن يكفوا عن هذا الأسلوب البغيض الذي ينتهجونه

ويضللون به الناس ويشقون صفوفهم، ويفرقون كلمتهم في وقت نحن أحوج ما نكون إلى جمع الكلمة في مواجهة التحديات الخطيرة من أعداء الإسلام، بدلا من هذه الدعوة المفرقة التي لا حاجة إليها.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين.

التوقيع	التوقيع
(نائب الرئيس)	(رئيس مجلس المجمع)
د. عبد الله نصيف	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الأعضــــاء

محمد بن جبير	د. بكر عبد الله أبو زيد
عبد الله العبد الرحمن البسام	صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
محمد بن عبد الله بن سبيل	مصطفى أحمد الزرقا
محمد محمود الصواف	أبو الحسن علي الحسيني الندوي
محمد رشيد راغب قباني	محمد الشاذلي النيفر
أبو بكر جومي	أحمد فهمي أبو سنّة
محمد الحبيب بن الخوجه	محمد سالم بن عبد الودود

د. طلال عمر بافقيه

(مقرر المجمع الفقهي الإسلامي)

المبحث الثاني: الخلاف في الأصول والمذاهب الاعتقادية

وهذا هو الخلاف الذي افترقت به الفرق المبتدعة عن جماعة المسلمين، وصار به أصحابه شيعا وأحزابا، وجر على الأمة ما جر من بلاء ومِنْ تصدُّع، وسنعرض في هذه العجالة إلى أهم ما يتميز به هذا النوع من الاختلاف، ومنهج أهل الحق في التعامل معه على مدار التاريخ.

منشأ هذا الاختلاف:

ينشأ هذا الاختلاف من التحزب على أصول أو قواعد كلية في الدين تخالف ما عليه الفرقة الناجية -أهل السنة والجماعة- أو بكثرة الجزئيات المخترعة؛ لأن ذلك يعود على كثير من الشريعة بالمعارضة.

وقد أشار الشاطبي -رحمه الله- إلى هذا المعنى بقوله: "وذلك أن هذه الفرق إنما تصير فرقا بخلافها للفرقة الناجية في معنىً كلي في الدين وقاعدة من قواعد الشريعة، لا في جزئي من الجزئيات؛ إذ الجزئي والفرع الشاذّ لا تنشأ عنه مخالفة يقع بسببها التفرق شيعًا، وإنما ينشأ التفرق عند وقوع المخالفة في الأمور الكلية؛ لأن الكليات تقتضي عددًا من الجزئيات غير قليل، وشاذّها في الغالب أن لا يختص بمحل دون محل ولا بباب دون باب.

واعتبر ذلك بمسألة التحسين العقلي، فإن المخالفة فيها أنشأت بين المخالفين خلافا في فروع لا تنحصر، ما بين فروع عقائد وفروع أعمال.

ويجري مجرى القاعدة الكلية كثرة الجزئيات، فإن المبتدع إذا أكثر من إنشاء الفروع المخترعة عاد ذلك على كثير من الشريعة بالمعارضة، كما تصير القاعدة الكلية معارضة أيضا، وأما الجزئي فبخلاف ذلك، بل يعد وقوع ذلك من المبتدع له كالزلة والفلتة"[1].

---

(١) الاعتصام للشاطبي (٢/ ٢٠٠ - ٢٠١).

وهذا الاختلاف هو الذي نشأت عنه الفرق الضالة المتوعدة على لسانه ﷺ فيما يرويه أنس بن مالك مرفوعًا: "**إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة وأن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة**"(١).

وفي رواية: "**إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة -يعني الأهواء- كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة. وإنه سيخرج في أمتي أقوام تجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله. والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم ﷺ لَغَيْرُكُمْ من الناس أحرى أن لا يقوم به**"(٢).

ولا يخفى أن الافتراق المقصود في هذه الأحاديث لا يدخل فيه الاختلاف في الفروع والمسائل الاجتهادية، فإن مثل هذا الخلاف قد وقع في زمن الخلفاء الراشدين المهديين، ثم في سائر الصحابة ثم في التابعين، ولم يعب أحد ذلك منهم، وبالصحابة اقتدى من بعدهم في توسيع الخلاف، فلا يمكن أن يكون الافتراق في المذاهب الاجتهادية مما يقتضيه الحديث(٣).

لكن التفرق المقصود هو التفرق الذي يصير به أهله شيعا -أي: جماعات قد فارق بعضهم بعضا- ليسوا على تآلف ولا تعاضد ولا تناصر.

وهذه الفرقة مشعرة بتفرق القلوب المشعر بالعداوة والبغضاء؛ ولذلك قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾[آل عمران:١٠٣].

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان: باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (٢٩١/٤)(ح٢٦٥٠)، عن ابن عمرو، وابن ماجه في كتاب الفتن: باب افتراق الأمم (١٣٢٢/٢)(ح٣٩٩٣)، عن أنس، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود في أول كتاب السنة (١٩٧/٤)(ح٤٥٩٧)، وأحمد (١٠٢/٤)، كلاهما عن معاوية بن أبي سفيان، وهو حديث صحيح، انظر صحيح الجامع (ح٢٦٤١).

(٣) الاعتصام للشاطبي: ١٩١/٢.

فبيّن أن التأليف إنما يحصل عند الائتلاف على التعلق بمعنى واحد، وأما إذا تعلقت كل شيعة بحبل غير ما تعلقت به الأخرى فلابد من التفرق، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[الأنعام: ١٥٣][١].

هذا وقد ذكر جماعة من العلماء أن أصول البدع أربعة، وأن بقية الفرق قد تفرقت عن هؤلاء الأربعة وهم: الخوارج والروافض، والقدرية، والمرجئة.

وقال يوسف بن أسباط: "ثم تشعبت كل فرقة ثماني عشرة فرقة، فتلك ثنتان وسبعون فرقة، والثالثة والسبعون هي الناجية"[٢].

وإنما كان أهل هذا الاختلاف كذلك لأمرين:

الأول: لاتباعهم الهوى فيما تحزّبوا عليه وخالفوا به ما أجمعت عليه الفرقة الناجية؛ ولذلك سُمُّوا -كما سبق- أهل الأهواء؛ لأنهم اتبعوا أهواءهم، فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظورًا فيها من وراء ذلك.

الثاني: ما يفضي إلى هذا الاختلاف بطبيعة الحال من التناوش والتفرق الذي يصير به أهله شيعا، قد فارق بعضهم بعضا ليسوا على تآلف ولا تعاضد ولا تناصر؛ لأن كل شعبة تعلقتْ بحبل غير ما تعلقت به الأخرى - والتأليف لا يحصل إلا عند الائتلاف على متعلّق واحد.

وبهذا يفترق هذا الاختلاف عن الاختلاف في الفروع والمذاهب الاجتهادية الذي وقع ممن حصل لهم محض الرحمة بإجماع الأمة وهم الصحابة

(١) المرجع السابق: (١/ ١٠٦١).

(٢) المرجع السابق: (٢/ ٢٢٠ - ٢٢١).

والتابعون و لم يفض إلى تمارج ولا منازعات، اللهم إلا في خلوف من المتأخرين!.

- منهج أهل الحق في التعامل مع هذا الاختلاف:

ولأهل الحق منهج في التعامل مع هذا النوع من الاختلاف يمكن تلخيصه فيما يلي:

- الإنكار على أهل هذا الاختلاف بالهجر ونحوه سنة ماضية:

فقد مضت السنة بالإنكار على أهل الأهواء بالهجر وغيره من العقوبات الشرعية؛ دفعا لضررهم عن الدين، وصيانةً للسنة من أن تلتبس بشيء من هذه الأهواء، وزجرا للمهجور، وتأديبا له، وحملا للعامة على الرجوع عن مثل حاله... إلى غير ذلك من المقاصد الشرعية المعتبرة في هذا الباب.

وقد تواتر النقل عن السلف الصالح في هجر المبتدعة، وزجرهم والتقرب إلى الله ببغضهم ومعاداتهم، ونصُّوا على ذلك في عقائدهم وغيرها بما يجعل هذا الأمر معنى كليا في الدين، وقاعدة من قواعد الشريعة المطهرة.

ومن الأدلة على هذا الأصل: قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]. وفي الآية دليل على تحريم مجالسة أهل البدع والأهواء وأهل المعاصي.

وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

قال القرطبي -رحمه الله تعالى: "الصحيح في معنى هذه الآية أنها دالة على هجران أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع وغيرهم، فإن صحبتهم كفر أو معصية؛ إذ الصحبة لا تكون إلا عن مودة، وقد قال حكيم -أي طرفة بن العبد:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقـــارن يقتدي

فإن كانت الصحبة عن ضرورة وتقيّة فقد مضى القول فيها في آل عمران والمائدة، وصحبة الظالم عن التقية مستثناة من النهي بحال الاضطرار والله أعلم"(١).

الضوابط الشرعية للهجر:

نستطيع أن نلخص هذه الضوابط فيما يأتي:

١- تحقق الأسباب الموجبة للهجر.

٢- تحقيق الهجر لمقاصده الشرعية من زجر المبتدع، ورجوع العامة عن مثل حاله، وصيانة السنة من شائبة البدع.

٣- ألا تُعَارض المصلحة المبتغاة من الهجر بمفسدة راجحة.

٤- أن تكون درجة الإنكار تابعة لدرجة المخالفة.

وسوف نتناول كل ضابط من هذه الضوابط بكلمة مناسبة فيما يأتي:

أولا: تحقق السبب الموجب للهجر:

الهجر عقوبة من العقوبات، والأصل فيها المنع لحديث: **"لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث"**(٢)، وإنما جاز فوق الثلاث مع المبتدعة والعصاة استثناء من هذا الأصل، وخروجًا عن هذه القاعدة، تحقيقًا للمقاصد الشرعية السالفة.

والعقوبة لا تحل إلا بسبب، وإلا كانت من جنس الظلم والبغي بغير الحق، وهو لا يجوز ابتداء فضلا عن أن يُتعبد به، ولكي يتحقق السبب لموجب للهجر يتعين التثبت مما يأتي:

أ- التحقق من وجود ما يوجب الحسبة:

وهو هنا البدعة المتفق على كونها بدعة، فإن كانت من مجاري الاجتهاد

(١) تفسير القرطبي: (٩/٨٠١).

(٢) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الأدب: باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر (١٠/٥٨٣) (ح ٦٠٦٥)، ومسلم في كتاب البر والصلة: باب تحريم الهجر فوق ثلاث (٤/١٩٨٤)(ح٢٦)، عن ابن عمر.

وللنظر فيها مجالٌ - لم يجز الاحتساب في هذه الحالة، وقد سبق من مقالات أهل العلم ما يدل على عدم الإنكار في مجاري الاجتهاد.

يقول الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في قضية التوسل: "فكون بعضهم يرخص بالتوسل بالصالحين، وبعضهم يرخص بالنبي ﷺ، وأكثر العلماء ينهي عن ذلك ويكرهه، فهذه المسألة من مسائل الفقه، ولو كان الصواب عندنا قول الجمهور أنه مكروه فلا ننكر على من فعله، ولا إنكار في مسائل الاجتهاد"(١).

ب - التحقق من بلوغ الحجة:

فقد يكون المتلبس بهذه البدعة جاهلاً بحكم ما تلبس به لاسيما مع غلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة، وهذا يختلف بطبيعة الحال من بلد إلى آخر، كما يختلف من شخص إلى آخر، والعدل أن يعامل كل إنسان بحسبه.

والأصل في ذلك أن حكم الخطاب لا يثبت في حق المكلف إلا إذا بلغه على الأظهر من أقول العلماء؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿**لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ**﴾ [الأنعام: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾[الإسراء: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿**لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾ [النساء: ١٦٥]؛ ولهذا لم يأمر النبي ﷺ عمر وعماراً لما أجنبا فلم يصلِّ عمرُ وصلى عمارٌ، -وبعد أن تمرغ في التراب- أن يعيد واحدٌ منهما، و لم يأمر أبا ذر بالإعادة لما كان يجنب ويمكث أياما لا يصلي، و لم يأمر من صلى إلى بيت المقدس قبل بلوغ النسخ لهم -بالقضاء، و لم يأمر من أكل من الصحابة حتى تبين له الحبل الأبيض من الحبل الأسود -بالقضاء.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله: "إني من أعظم الناس نهيا عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية

(١) مؤلفات الشيخ: محمد بن عبد الوهاب -القسم الثالث- (الفتاوى ص٦٨).

التي من خالفها كان كافرًا تارة، وفاسقًا أخرى، وعاصيًا أخرى. وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعم المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية، وما زال السلف يتنازعون في كثير من المسائل، ولم يشهد أحد منهم على أحد بكفر ولا فسق ولا معصية"[1].

وإذا كان لا يجوز أن ينسب معين إلى كفر أو فسق أو معصية، بل لا يثبت حكم الخطاب في حقه ابتداء إلا ببلوغ الحجة، فأولى أن لا تجري عليه مقتضيات هذا الحكم من هجر أو نحوه إلا إذا بلغته الحجة بلوغا معتبرًا ممن تقوم بمثله الحجة.

ج – البدء بالوعظ والنصح والتخويف بالله ﷻ:

إذا كان الشرط السابق للتحقق من زوال الجهل، فإن هذا الشرط للتحقق من زوال الغفلة، وهو في حق من يغشى البدعة وهو عالم بها، فيجب أن يبدأ بوعظه وتذكيره بالله ﷻ، على أن يتم ذلك بشفقة ولطف ودونما غضب أو عنف، بل ينظر إليه نظرة المترحم عليه، ويرى إقدامه على المعصية مصيبة على نفسه؛ إذ المسلمون كنفس واحدة.

ولا يخفى أن هذا النصح من فروض الكفايات، وأن المسلمين في هذا كنفس واحدة، فإذا قام بهذا الواجب على وجهه بعض المسلمين ممن يوثق بعلمهم، ويتلقى النصحية من مثلهم، فقد سقط التكليف به، وأمكن الانتقال إلى مرحلة العقوبة على هذا المنكر بالهجر ونحوه.

ثانيا: تحقيق الهجر لمقاصده الشرعية:

لقد سبق أن الهجر إنما شرع لغاية هي زجر المبتدع، ورجوع العامة عن مثل حاله، وصيانة السنة من شائبة البدع، فإن أدى الهجر إلى تحقيق هذه الغاية كان هجرًا مشروعًا مندوبًا إليه، وكان القيام به من جنس الجهاد في سبيل الله،

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية: (٣/ ٢٢٩).

أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويتحقق ذلك بكون الهاجر من القوة المادية أو الأدبية بحيث يحدث من هجره زجر المبتدع وانكفاف العامة، أما إذا كان الهاجر ضعيفًا، وكان الظهور والغلبة للمبتدعة، و لم يحقق الهجر مصلحة من زجر المبتدع أو زجر العامة لم يشرع، بل يكون التأليف في هذه الحالة أنفع من الهجر.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم، وقلّتهم وكثرتهم، فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله، فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر وخفيته كان مشروعًا، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك، بل يزيد الشر، والهاجر ضعيف، بحيث تكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته، لم يشرع الهجر، بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر. والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف؛ ولهذا كان النبي ﷺ يتألف قوما ويهجر آخرين، كما أن الثلاثة الذين خلفوا كانوا خيرا من أكثر المؤلفة قلوبهم، لما كان أولئك كانوا سادة مطاعين في عشائرهم، فكانت المصلحة الدينية في تأليف قلوبهم، وهؤلاء كانوا مؤمنين، والمؤمنون سواهم كثير، فكان في هجرهم عِزُّ الدين، وتطهيرهم من ذنوبهم، وهذا كما أن المشروع في العدو القتال تارة، والمهادنة تارة، وأخذ الجزية تارة، كل ذلك بحسب الأحوال والمصالح.

وجواب الأئمة -كأحمد وغيره- في هذا الباب مبني على هذا الأصل؛ ولهذا كان يفرق بين الأماكن التي كثرت فيها البدع، كما كثر القدر في البصرة، والتنجيم بخراسان، والتشيع بالكوفة، وبين ما ليس كذلك، ويفرق بين الأئمة المطاعين وغيرهم، وإذا عرف مقصود الشريعة سلك في حصوله أول الطريق إليه"[1].

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية: (٢٨/ ٢٠٦ - ٢٠٧).

ويقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين: "أما هجرهم فهذا يترتب على البدعة، فإذا كانت البدعة مكفّرة وجب هجره، وإذا كانت دون ذلك فإننا نتوقف في هجرهم إن كان في هجرهم مصلحة فعلناه، وإن لم يكن فيه مصلحة اجتنبناه؛ وذلك أن الأصل في المؤمن تحريم هجره لقول النبي ﷺ "**لا يحل لرجل مؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث**"، فكل مؤمن -وإن كان فاسقا- فإنه يحرم هجره ما لم يكن في الهجر مصلحة، فإذا كان في الهجر مصلحة هجرناه؛ لأن الهجر حينئذ دواء، أما إذا لم يكن فيه مصلحة، أو كان فيه زيادة في المعصية والعتو فإن ما لا مصلحة فيه تركُه هو المصلحة"(١).

ويقول الشيخ محمد ناصر الدين الألباني: "سياسة الولاء والبراء لا تستلزم معاداة أي فئة من الفئات الإسلامية، أو أي طائفة من الطوائف الإسلامية، ولكن يجب أن تعامل كل واحدة منها في حدود قربها أو بعدها من العقيدة الصحيحة، أو من التمسك بالإسلام الصحيح ككل، والمعاداة لا تأتي إلا في حالة اليأس من صلاحها وهدايتها فهنا يأتي ما هو معروف بالبغض في الله، أما ابتداء فلا ينبغي للمسلم أن يعادي أحدًا من الطوائف الإسلامية ولو كانت مخالفة لعقيدته"(٢).

ثالثا: أن لا تعارض المصلحة المبتغاة من الهجر بمفسدة راجحة:

وذلك لما تمهد في الأصول من أن مبنى الشريعة تحقيق أكمل المصلحتين، ودفع أعظم المفسدتين، فإذا كانت المصلحة المبتغاة من الهجر معارضة بمفسدة راجحة من تفويت مصلحة أرجح من المصلحة المترتبة على هذا الهجر، أو حصول مفسدة أعظم هي أسخط لله من مفسدة هذه البدعة لم يشرع الهجر في هذه الحالة، وكان التأليف أنفع، وبمقاصد الشريعة أليق.

---

(١) الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، الجزء الأول (٣٠ - ٣١).

(٢) من فتاوى الشيخ الألباني بمكة (رقم ٧).

يقول شيخ الإسلام في تقرير ذلك: "وما أمر به من هجر الترك والانتهاء، وهجر العقوبة والتعزيز، إنما هو إذا لم يكن فيه مصلحة دينية راجحة على فعله، وإلا فإذا كان في السيئة حسنة راجحة لم تكن سيئة، وإذا كان في العقوبة مفسدة راجحة على الجريمة لم تكن حسنة، بل تكون سيئة، وإذا كانت مكافئة لم تكن حسنة ولا سيئة"[1].

ويقول أيضًا: "فإن الأمر والنهي وإن كان متضمنا لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة فينظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح أقل أو يحصل من المفاسد أكثر لم يكن مأمورا به، بل يكون محرما إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته، لكن اعتبار تقدير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة"[2].

وقصة شيخ الإسلام مع من كان يشرب الخمر من التتار مشهورة ومستفيضة، فقد نهى عن الاحتساب عليهم لما يترتب على انـزجارهم عن هذه المعصية من توجههم لمعصية أفحش، أسخط لله من معصية الخمر وهي استباحة الدماء والأعراض والأموال، وقال مقالته المشهورة: "إنما حرم الله الخمر لأنها تصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء تصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذراري وأخذ الأموال فدعهم"[3].

ويقول ابن القيم -رحمه الله- في توضيح ذلك: "إن النبي ﷺ شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أَنْكَرُ منه، وأبغض إلى الله ورسوله، فإنه لا يسوغ إنكاره وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله"[4].

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨/ ٢١٢ - ٢١٢).

(٢) مجموع الفتاوى: (٢٨/ ٢٩).

(٣) راجع: أعلام الموقعين لابن القيم (٣/٥١).

(٤) المرجع السابق (ص٤١٣).

ومن تطبيقات هذا الضابط:

١- إقامة الواجبات الدينية مع بعض المبتدعة أو الفسّاق عند تعذر إقامتها على وجهها مع غيرهم؛ لأن مفسدة إضاعة هذه الواجبات أعظم من مفسدة ما تلبّس به هؤلاء من البدع والمخالفات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإذا تعذر إقامة الواجبات من العلم والجهاد وغير ذلك إلا بمن فيه بدعة مضرتها أقل من مضرة ترك ذلك الواجب، كان تحصيل مصلحة الواجب مع مفسدة مرجوحة معه خيرًا من العكس"(١).

بل ذهب أهل العلم إلى ما هو أبعد من ذلك فقرروا عقد الولاية لهؤلاء من البداية إذا كانوا أقوم بها من غيرهم، بل والقتال معهم لإقامة ولايتهم رغم ما يتضمنه من الإعانة على المعصية؛ لأن لمعصية ليست مقصودة لذاتها، ولكن لكونها وسيلة لتحصيل المصلحة الراجحة، كما تبذل الأموال في فداء الأسرى المسلمين من أيدي الكفر.

وقال العز بن عبد السلام: "وقد تجوز المعاونة على الإثم والعدوان والفسوق والعصيان لا من جهة كونه معصية، بل من جهة كونه وسيلة إلى مصلحة، وله أمثلة: منها: ما يبذل في افتكاك الأسارى فإنه حرام على آخذيه مباح لباذليه، ومنها: أن يريد الظالم قتل إنسان مصادرة على ماله، فإنه يجب عليه بذل ماله فكاكا لنفسه، ومنها أن يُكْرِه امرأةً على الزنا ولا يتركها إلا افتداء بمالها أو بمال غيرها فيلزمها ذلك عند إمكانه.

وليس هذا على التحقيق معاونة على الإثم والعدوان والفسوق والعصيان وإنما هو إعانة على درء المفاسد، فكانت المعاونة على الإثم والعدوان والفسوق

---

(١) مجموع الفتاوى: (٢٨/ ٢١٢).

والعصيان فيها تبعًا لا مقصودًا"[1].

٢ - ارتباط مشروعية الأمر والنهي عند تلازم المعروف والمنكر بغلبة المصلحة أو المفسدة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح ذلك: "وعلى هذا إذا كان الشخص أو الطائفة جامعين بين معروف ومنكر، بحيث لا يفرقون بينهما، بل إما أن يفعلوهما جميعا أو يتركوهما جميعا، لم يجز أن يأمروا بمعروف ولا أن ينهوْا عن منكر، بل يُنظر: فإن كان المعروف أكثر أمر به، وإن استلزم ما هو دونه من المنكر، ولم ينه عن منكر يستلزم تفويت معروف أعظم منه، بل يكون النهي حينئذ من باب الصدّ عن سبيل الله، والسعي في زوال طاعته وطاعة رسوله، وزوال فعل الحسنات.

وإن كان المنكر أغلب نهي عنه، وإن استلزم فوات ما هو دونه من المعروف، ويكون الأمر بذلك المعروف المستلزم للمنكر الزائد عليه أمرا بمنكر وسعيا في معصية الله ورسوله، وإن تكافأ المعروف والمنكر المتلازمان لم يؤمر بهما ولم ينه عنهما، فتارة يصلح الأمر، وتارة يصلح النهي، وتارة لا يصلح لا أمر ولا نهي، حيث كان المعروف والمنكر متلازمين، وذلك في الأمور المعينة الواقعة"[2].

رابعا: **أن تكون درجة الإنكار تابعة لدرجة المخالفة:**

وهذا يقتضي التفريق بين مراتب البدع في ذاتها، ومراتب أهلها، والملابسات التي أحاطت بالبدع وأهلها زمانًا ومكانًا.

فالبدع ليست على مرتبة واحدة، بل منها ما هو كفر صريح كبدعة أهل الجاهلية في تشريع ما لم يأذن به الله المشار إليها في مثل قول الله ﷻ: ﴿**وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ**

(١) المرجع لسابق: (١/١٢٩).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية: (٢٨/ ١٢٩ - ١٣٠).

﴿الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٦]، ومثل بدعة البهائية والقاديانية في واقعنا المعاصر.

ومنها: ما هو من المعاصي التي ليست بكفر، ويختلف: هل هي كفر أم لا كبدعة القدرية والخوارج.

ومنها: ما هو من المعاصي، ويتفق على أنه ليس بكفر، كبدعة الصيام قائمًا في الشمس، والخصاء بقصد قطع شهوة الجماع ونحوه.

ومنها: ما هو مكروه كذكر السلاطين في خطبة الجمعة -على ما قاله ابن عبد السلام الشافعي[١].

ومن ناحية أخرى فإن من البدع ما هو كلي في الشريعة يسري فيما لا ينحصر من فروعها الجزئية: كبدعة التكفير بالذنب، أو بدعة إنكار الأخبار النبوية اقتصارًا على القرآن ونحوهما، ومنها: ما هو جزئي بأن يكون الخلل الواقع جزئيا يأتي في بعض الفروع دون بعض، كبدعة الأذان والإقامة في العيدين ونحوها[٢].

ومن ناحية ثالثة: هناك البدعة الحقيقية: وهي المحدثة استقلالا كصلاة الرغائب ونحوها.

وهناك البدع الإضافية: وهي الأمر المبتدع، إضافة لما هو مشروع أصلا بزيادة أو نقص، كالدعاء الجماعي في أعقاب الصلوات، واتخاذ التبليغ سنّة راتبة خلف الإمام مع عدم الحاجة إليه ونحوه.

وأهل البدع ليسوا سواء؛ فهناك المعلن ببدعته والداعي إليها، وهناك المستتر بها والكاتم لها، فالداعي المعلن يجب هجره وعقوبته، بخلاف الكاتم فإنه

---

(١) راجع: الاعتصام للشاطبي: (٢/٣٧).

(٢) المرجع السابق: (٢/٥٩ - ٦٠).

ليس شرًّا من المنافقين الذين كان النبي ﷺ يقبل علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله ﷻ، وهم في الدرك الأسفل من النار.

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبينًا ذلك: "فأما من كان مستترًا بمعصية أو مسرا لبدعة غير مكفرة، فإن هذا لا يهجر، وإنما يهجر الداعي إلى البدعة؛ إذ الهجر نوع من العقوبة، وإنما يعاقب من أظهر المعصية قولا وعملا، وأما من أظهر لنا خيرًا فإنا نقبل علانيته، ونكل سريرته إلى الله تعالى، فإن غايته أن يكون بمنــزلة المنافقين الذين كان النبي ﷺ يقبل علانيتهم، ويكل سرائرهم إلى الله، لما جاءوا إليه عام تبوك يحلفون ويعتذرون؛ ولهذا كان الإمام أحمد وأكثر مَنْ قبله ومَنْ بعده من الأئمة -كمالك وغيره- لا يقبلون رواية الداعي إلى بدعة ولا يجالسونه، بخلاف الساكت، وقد أخرج أصحاب الصحيح عن جماعات ممن رمي ببدعة من الساكتين، ولم يخرجوا عن الدعاة إلى البدع"[(١)].

وهناك الجاهل المقلد الذي لا بصيرة له، والذي يتبين له الهدى، ثم يتركه تقليدًا، أو تعصبًا ومعاداة لأصحابه.

فالأول: لا يكفر ولا يفسق ولا ترد شهادته، ما دام غير قادر على تعلم الهدى، والآخر: أدنى أحواله أن يكون فاسقًا، وتكفيره محل اجتهاد.

والملابسات التي أحاطت بالبدع وأهلها زمانا ومكانا ليست على درجة واحدة؛ فهناك الأماكن التي تقام فيها السنن، وتكون الغلبة لأهلها، كما كانت المدينة أيام مالك بن أنس ﷺ -مثلا.

وهناك الأماكن التي تكثر فيها البدع كما كثر القدر بالبصرة، والتشيع بالكوفة، والتنجيم بخراسان في الأزمنة التي تلت زمان الراشدين، وقد رخص أحمد في الرواية عن أهل البصرة رغم كثرة القدر فيهم خشية أن يندرس العلم

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية: (٢٤/ ١٧٥).

والآثار المحفوظة فيهم وكما هو الحال في أغلب أنحاء العالم الإسلامي في هذه الأيام.

وهناك أيضًا اختلاف حال الهاجرين قوة وضعفًا وقلة وكثرة، فيطالبون في حال القوة والكثرة بما لا يطالبون به في حال الضعف والقلة، بل واختلاف حال المهجورين أيضا قوة أو ضعفا في الدين، فقد يؤاخذ القوي منهم بما لا يؤاخذ الضعيف كما في قصة كعب بن مالك وصاحبيه -رضي الله عنهم.

يقول الشيخ بكر أبو زيد في كتابه "هجر المبتدع": "فإذا كانت الغلبة والظهور لأهل السنة كانت مشروعية هجر المبتدع قائمة على أصلها، وإن كانت القوة والكثرة للمبتدعة -ولا حول ولا قوة إلا بالله- فلا المبتدع ولا غيره يرتدع بالهجر، ولا يحصل المقصود الشرعي -لم يشرع الهجر، وكن مسلك التأليف؛ خشية زيادة الشر"(١).

والذي نخلص إليه من هذا كله أن درجة الإنكار يجب أن تكون تابعة لدرجة المخالفة، وأن تلحظ كل هذه المعاني عند التثريب على المبتدع، أو الإنكار عليه إقامة للعدل والميزان في التعامل مع أهل القبلة، وإعطاء لكل ذي حق حقه بغير إفراط ولا تفريط.

المبحث الثالث: الاختلاف في الحروب والآراء ومجالات الشورى:

ولعل الأصل في هذه التسمية قول الحباب بن المنذر للنبي ﷺ يوم بدر: "أرأيت هذا المنـــزل أمنـــزلا أنـــزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال النبي ﷺ: **"بل هو الرأي والحرب والمكيدة"**. فقال: يا رسول الله فإن هذا ليس بمنـــزل، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فننـــزله، ثم نغوّر ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضا فنملأه ماء، ثم

(١) (هجر المبتدع) للشيخ بكر أبو زيد: (٤٥).

نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون. فقال رسول الله ﷺ: **"لقد أشرْت بالرأي"**[1].

ومِمن أفرد هذا النوع بهذه التسمية السبكي حيث قال: "والاختلاف على ثلاثة أقسام: أحدها: في الأصول، وهو المشار إليه في القرآن، ولا شك أنه بدعة وضلال. والثاني في الآراء والحروب وهو حرام أيضا لما فيه من تضييع المصالح، والثالث: في الفروع، كالاختلاف في الحل والحرمة ونحوهما"[2].

ولا ريب أن الاختلاف في هذه الدائرة إذا انتهى إلى التفرق وتحزب كل فريق لرأيه، وأذهب ما كان بينهم من تعاضد ومن تناصر فهو مذموم بلا جدال.

أما إذا بقي في دائرة الشورى التي يدلي فيها كل فريق برأيه، ويدعمه بما استطاع من الحجج، ويستمع إلى آراء الآخرين، ويتم فيها تقليب الأمر في مختلف وجوهه، ثم ينـــزل الجميع في النهاية على رأي الإمام، على الرأي الذي يقول: إن الشورى معلمة، أو على رأي الجماعة على الرأي الذي يقول: إنها ملزمة، فلا حرج في ذلك، بل هذا الذي جاءت بطلبه النصوص، وجعلته وصفا ملازما لجماعة المسلمين.

دائرة هذا النوع من الاختلاف:

دائرة هذا النوع من الاختلاف: هي دائرة الشورى، والشورى تكون في دائرة العفو والأمور المباحة، ولا علاقة لها بما قطعت فيه النصوص، قـــال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ويقول البخاري –رحمه الله– في بيان ذلك: "كانت الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها، فإذا وضح

(١) راجع (سيرة ابن هشام): (٢/ ٦٢٠)، تاريخ الطبري (٢/٢٩) وفيه انقطاع.

(٢) انظر الإبهاج: (٣/ ١٣).

الكتاب أو السنة لم يتعدوه إلى غيره اقتداء بالنبي ﷺ"[1].

وأساس الاجتهاد في هذه الدائرة: هو الموازنة بين المصالح والمفاسد، والسعي في تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها في إطار من مقاصد الشريعة وقواعدها العامة.

ولما كانت هذه الدائرة مجالا لتفاوت الآراء والاجتهادات، ولا تحسمها نصوص قاطعة، فلا سبيل إلى حسمها واجتماع الكلمة فيها إلا من خلال التسليم للقيادة، أو النـــزول على رأي الجماعة، على الخلاف في كون الشورى معلمة أو ملزمة.

-أثر هذا النوع من الاختلاف في واقعنا المعاصر:

لا يخفى أن قَدْرًا كبيرًا من الأمور المختلف فيها بين فصائل العمل الإسلامي المعاصر يرجع إلى هذا النوع من الاختلاف؛ لأنها تدور في الجملة حول الاختلاف في ترتيب الأولويات، وتقدير المصالح والمفاسد، والموازنة بينها ونحوه.

وما كان من الخلاف في هذه الدائرة فهو حمال ذو وجوه، وهو يعتمد على الخبرة البشرية والدراية بالواقع أكثر مما يعتمد على النظر الفقهي البحت، والدراية العلمية المجردة.

وإن بداية الرشد في التعامل مع هذا النوع من الاختلاف أن يوضع في هذا الإطار، وأن يعلم المتنازعون فيه ابتداء أنهم يتنازعون في أمور اجتهادية تعتمد على الدراية بالواقع، والقدرة على الموازنة الدقيقة بين المصالح والمفاسد، وأنه لا مجال فيها للقدح في دين أحد أو التشكيك في عدالته.

وإن الخلل كل الخلل أن يجنح الخلاف في هذه المسائل إلى شعاب التبديع والتضليل للمخالف، ثم تحشد الأدلة على ذلك من متشابهات النصوص، ويتحزب

---

(١) راجع (فتح الباري): (١٣/ ٣٣٩).

كل فريق لرأيه، وليس عند أحدهم وحي قاطع يستبيح به تشنيعه على الآخر، وإنما هو الرأي والحرب والمكيدة، فيفضي ذلك إلى تفرق الكلمة وفساد ذات البين.

وأما الخطوة الثانية على طريق الرشد في التعامل مع هذا النوع من الاختلاف، فهي أن ينقل إلى دائرة الشورى، وأن يفوض إلى أهلها على شرائطهم الشرعية من العلم والعدالة والكفاية والتمثيل، ويتم حسمه داخل هذا الإطار.

وسواء أكان الاختيار في نتيجة الشورى أنها ملزمة أو معلمة، فلا أثر لذلك على الموقف العملي الذي يجب الانتهاء إليه في هذه المسائل؛ لأن هناك جهة ما سوف تلزم بهذا الموقف، سواء أكانت القيادة على رأي من يقول: إن الشورى معلمة، أو الجماعة على رأي من يقول: إنها ملزمة.

ولا بديل للعمل الإسلامي من ذلك إن أراد أن تجتمع له كلمة، وأن يبرم له أمر، ومن هنا كانت فريضة الوقت: هي إبراز أهل الشورى أو أهل الحل والعقد والاتفاق على قيادتهم للمسيرة في المهمات والمصالح العامة، وإن إقامة هذه الفريضة يمثل الخطوة الحاسمة في الطريق إلى جماعة المسلمين.

خلاصة الفصل الأول

إن من أخطر مشكلات العمل الإسلامي المعاصر -إن لم يكن أخطرها على الإطلاق - ما يغشى مسيرته من تشرذم وتهارج واختلاف.

- ولا يخفى أن تعدد الاجتهادات وتفاوت الآراء في فروع الشريعة علمية كانت أو عملية، لا يمثل بذاته الأمر المحذور الذي يفضي إلى كل هذه الشنائع، بل لا يبعد القول بأن نسبة من هذا التفاوت مقصودة للشارع ابتداء، ولكن المحذور ما قد يفضي إليه ذلك لدى بعض الناس من التعصب والتفرق والاختصام، فالمقصود في الفتنة الفروعية ليس هو السعي في جمع الكلمة حول اجتهاد واحد -ولو تحقق ذلك لكان خيرا وبركة- ولكن السعي في إحياء أدب الاختلاف في هذه المسائل، وإرساء منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع المخالف في هذه القضايا، وبيان أن الاعتصام بالجماعة والائتلاف من أصول الدين.

- **وينقسم الخلاف بحسب موضوعه إلى ثلاثة أقسام:**

أ - خلاف في الفروع والمسائل الاجتهادية.

ب - خلاف في الأصول والمذاهب الاعتقادية.

ج - خلاف في الآراء والسياسة ومجالات الشورى.

الخلاف في الفروع والمسائل الاجتهادية:

- **من خصائص الخلاف في الفروع:**

أ- أنه واقع لا محالة ولا سبيل إلى حسمه بالكلية.

ب- أنه توسعة ورحمة.

ج- عدم توجه إرادة السلف عبر التاريخ إلى حسم هذا الخلاف على مستوى الأمة، أو إلزامها بموقف واحد.

د - عدم تأثيم المخالف في هذه المسائل.

هـ - لا إنكار في المسائل الاجتهادية.

تنبيهان يتعلقان بالإنكار:

التنبيه الأول: في حقيقة المراد بالمسائل الاجتهادية، وعدم الخلط بينها وبين المسائل الخلافية:

المسائل الاجتهادية كل أمر لم يرد فيه دليل قاطع -أيْ: نص صحيح أو إجماع صريح.

أما المسائل الخلافية فهي أعمّ من ذلك؛ فهي تشمل كل ما وقع فيه الخلاف، وإن كان الخلاف ضعيفًا أو شاذًّا، أو مما اعتبر من زلّات العلماء؛ ولهذا فإن كل ما كان من مسائل الاجتهاد فهو من مسائل الخلاف، وليس العكس. ومن أجل هذا استثنى العلماء من عدم الإنكار على المخالف في المسائل الخلافية ما ضعف فيه الخلاف وكان شاذًّا، أو اعتبر من زلات العلماء.

التنبيه الثاني: مفهوم الإنكار المنفي في هذه المسألة:

الإنكار المنفي في هذه المسائل هو الإنكار باليد، أو التشنيع على المخالف والقدح في دينه وعدالته وهجره من أجلها، ولا يتنافى هذا مع بيان الراجح من الرأيين، أو ذكر أوجه ضعف ما ذهب إليه المخالف ونحوه.

و- جواز العمل بالمرجوح والمفضول في هذه المسائل رعاية لمصلحة شرعية معتبرة.

ز- إن هذا الخلاف لا يقدح في بقاء الألفة والمودة ولا يخرق سياج الموالاة الإيمانية.

الخلاف في الأصول والمذاهب الاعتقادية:

- والخلاف في الأصول والمذاهب الاعتقادية هو الخلاف الذي افترقت به الفرق المبتدعة عن جماعة المسلمين، وصار به أصحابه شيعًا وأحزابًا، وجرَّ على

الأمة ما جرَّ من بلاء وتصدُّع.

- وإنما كان أهل هذا الاختلاف كذلك لأمرين: الأول: لاتباعهم الهوى فيما تحزّبوا عليه وخالفوا به ما أجمعت عليه الفرقة الناجية؛ ولذلك سموا أهل الأهواء. الثاني: ما يفضي إلى هذا الاختلاف بطبيعة الحال من التدوش والتفرق الذي يصير به أهله شيعًا.

- منهج أهل الحق في التعامل مع هذا الاختلاف أن الإنكار على أهل هذا الاختلاف بالهجر ونحوه سنة ماضية.

- الضوابط الشرعية للهجر:

١ - تحقق الأسباب الموجبة للهجر:

وذلك من خلال ثلاثة أمور هي: التحقق من وجود ما يوجب الحسبة، والتحقق من بلوغ الحجة، والبدء بالوعظ والنصح والتخويف بالله ﷻ.

٢ - تحقيق الهجر لمقاصده الشرعية من زجر المبتدع ورجوع العامة عن مثل حاله وصيانة السنة.

٣ - ألا تُعارَض المصلحة المبتغاة من الهجر بمفسدة راجحة.

فلابد من النظر في المصالح والمفاسد المتولدة عن الهجر. وإن كانت المصالح الفائتة أقل والمفاسد أكثر كان الهجر محرمًا. وتقدير المصالح والمفاسد يكون بميزان الشريعة.

٤ - أن تكون درجة الإنكار تابعة لدرجة المخالفة:

فأهل البدع ليسوا سواء، والملابسات التي أحاطت بالبدع وأهلها زمانا ومكانا ليست على درجة واحدة، فلابد من ملاحظة كل المعاني عند الإنكار

على المبتدع، ولابد من عدم الإفراط أو التفريط في الإنكار.

- **الاختلاف في الحروب والآراء ومجالات الشورى:** ولا ريب أن الاختلاف في هذه الدائرة إذا انتهى إلى التفرق وتحزب كل فريق لرأيه، وأذهب ما كان بينهم من تعاضد ومن تناصر فهو مذموم بلا جدال.

أما إذا بقي في دائرة الشورى التي يدلي فيه كل فريق برأيه، ويدعمه بما استطاع من الحجج، ويستمع إلى آراء الآخرين، ويتم فيها تقليب الأمر في مختلف وجوهه، ثم ينـــزل الجميع في النهاية على رأي الإمام، على الرأي الذي يقول: إن الشورى معلمة، أو على رأي الجماعة على الرأي الذي يقول: إنها ملزمة، فلا حرج في ذلك، بل هذا الذي جاءت بطلبه النصوص، وجعلته وصفًا ملازمًا لجماعة المسلمين.

اختبار الفصل الأول

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١ - ينقسم الخلاف بحسب موضوعه إلى ثلاثة أقسام.

٢ - العلماء لا يختلفون في الفروع والمسائل الاجتهادية غالبًا.

٣ - هناك خلاف بين المسلمين في الأصول والمسائل الاعتقادية دائمًا.

٤ - الشورى تكون في دائرة العفو والأمور المباحة ولا علاقة لها بما قطعت فيه النصوص.

٥ - الهجر عقوبة من العقوبات الشرعية والأصل أنها جائزة في حق كل مخالف.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

١- من بين خصائص الخلاف في الفروع:

أ- أنه واقع لا محالة، ولاسبيل إلى حسمه بالكلية.

ب- أنه توسعة ورحمة.

ج- عدم تأثيم المخالف في هذه المسائل. د- أنه نادر وقليل.

هـ- أ، ب، جـ.

٢- لكي يتحقق السبب الموجب لعقوبة الهجر ينبغي التثبت مما يأتي:

أ- التحقق من وجود ما يوجب الحسبة.

ب- التحقق من بلوغ الحجة.

ج- البدء بالوعظ والنصح والتخويف بالله عز وجل.

د- جميع ما سبق.

٣- شرع الهجر في الإسلام لغاية وهي:

أ- إهانة المبتدع. ب- تعظيم قدر المبتدع.

ج- تعذيب المبتدع. د- ترك المبتدع ليفعل ما يشاء.

هـ- لا شيء مما سبق.

٤- البدع ليست على مرتبة واحدة، فمثلاً بدعة أهل الجاهلية في تشريع ما لم يأذن به الله من قبيل.

أ- المعاصي وليست بكفر. ب- مكروه.

ج- مندوب. د- كفر صريح.

ثالثاً: أسئلة متنوعة:

١- كثيرًا ما يقع خلاف بين الدعاة في بعض المسائل الفرعية والأمور الاجتهادية، ولكنهم تَصْدر منهم أعمال تكشف عن عدم إتقانهم لمميزات وخصائص المسائل الفرعية، مما يجعلهم يتفرقون ويشتدون في النكير وفي ظل هذه الظاهرة أرادت إحدى الراوبط الإسلامية أن تقيم حلقة تناصح وحوار بين كبار هذه الفرق المختلفة في مسائل الفروع؛ ليتفق الجميع على ضوابط ومعايير وخصائص هذه المسائل رجاء تقريب وجهات النظر، وكنت أنت أحد المدعوين لهذه الحلقة. فصف لنا كيف ترى الحوار بين أفرادها.

٢- في ظل الخلل الذي أصاب المعايير الفكرية المعاصرة من طغيان للفكر العلماني وسيطرة للعولمة حدث خلل في مواقف الدعاة تجاه أصحاب العقائد الضالة، اعتقد بعضهم أن الخلاف في هذه المسائل العقدية لا يحتمل الإنكار، ولابد أن نتعامل معه بنفس طريقة التعامل التي نتعامل بها مع خلافنا في الفروع، ولقد حدث أثناء أحد أسفارك أن وقع بمجلسك مع أحد الدعاة الذين يقتنعون بهذه الفكرة. اعرض وجهة نظره، وكيف رددت عليه.

٣- اكتب تقريراً موجزاً عن قرار المجمع الفقهي بشأن موضوع الخلاف الفقهى بين المذاهب والتعصب المذهبي من بعض أتباعها.

٤- اشرح منهج أهل الحق في التعامل مع الاختلاف في الأصول والمذاهب الاعتقادية.

الفصل الثاني: الاشتغال بالعمل السياسي

الأهداف التعليمية للفصل:

عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذا الفصل أن تصبح قادراً على أن:

١-تظهر مدى مشروعية التحاق المنشغلين بالعمل الإسلامي بمواقع العمل السياسي، مع ذكر الآراء بأدلتها في هذه المسألة.

٢- تناقش مشروعية التحاق المنشغلين بالعمل الإسلامي بالمجالس التشريعية وأدلة المعارضين والمؤيدين لذلك.

٣- تذكر بعض فتاوى أهل العلم حول مشروعية الاشتغال بالعمل السياسي.

٤- تبين الإطار العلمي المقترح لممارسة العمل السياسي، مع توضيح الهدف الذي تبغيه الحركة الإسلامية من الاشتغال بالعمل السياسي.

٥- تظهر المحاذير الواجب مراعاتها عند الاشتغال بالعمل السياسي.

٦- تحدد وترتب الأولويات التي يجب التأكيد عليها من خلال وجود العمل الإسلامي في المواقع السياسية.

٧ - تقترح أو ترتب لعقد ندوة تتناول العلاقة بين الاشتغال بالعمل السياسي وموقف أهل العلم والدعاة منه.

الفصل الثاني: الاشتغال بالعمل السياسي(*)

العمل السياسي أسلوب من أساليب الإصلاح المطروحة على صعيد العمل الإسلامي المعاصر، ويراد به السعي إلى تكوين الأحزاب أو المشاركة فيها، أو الاشتراك في البرلمانات ومجالس الشورى، وغيرها من المؤسسات السياسية للدولة، مع ما قد يستتبعه ذلك من التحالفات المؤقتة مع بعض القوى السياسية الأخرى، بغية التمكين لشريعة الله من خلال هذه المواقع، أو تحصيل بعض المصالح الشرعية للحركة الإسلامية، ومنع أو تخفيف بعض المظالم الواقعة عليها.

وقد لقي هذا الأسلوب جدلاً عريضًا في محيط العمل الإسلامي وتفاوت الناس فيه: ما بين غلاة لا يرون بديلا منه لإقامة الإسلام في واقعنا المعاصر، وجفاة يرون الاشتغال به نقضا لأصل الدين، وتلاعبا بدين الله.

وبعيدا عن غلو هؤلاء وجفاء أولئك، نريد أن نقف وقفة بين يدي هذا الأسلوب للحديث عن أمرين:

الأول: الإطار العلمي الذي ينبغي أن توضع فيه هذه المسألة، وهو بيان ما إذا كانت من الفروع والمذاهب الاجتهادية، أم من الأصول والمسائل الاعتقادية.

الثاني: الإطار العملي الذي ينبغي أن تتم في ضوئه، وأن تمارس من خلاله حتى تؤدي دورها في تحصيل بعض المصالح، أو تعطيل بعض المفاسد، وذلك في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: الإطار العلمي للخلاف في قضية العمل السياسي

والمقصود بالإطار العلمي لهذه المسألة -كما سبق-: بيان ما إذا كانت هذه المسألة من الأصول والمسائل الاعتقادية، أم من الفروع والمذاهب الاجتهادية، حتى يتم التعامل معها، ومع المخالف فيها من خلال هذا الإطار بلا تفريط ولا غلوّ.

(*) استفيد هذا الفصل من كتاب مدخل إلى ترشيد العمل الإسلامي، للدكتور صلاح الصاوي.

- خلاف العمل الإسلامي في هذا الإطار:

لم تتفق كلمة المشتغلين بالعمل الإسلامي على الإطار الصحيح الذي يجب أن توضع فيه هذه القضية، ولكن نستطيع أن نميز في خلافهم فيها بين رأيين أساسين:

الأول: يرى أن هذه القضية من مسائل أصول الدين، ويجعل الخلاف الوارد فيها من جنس الاختلاف في الأصول والأمور الاعتقادية.

الثاني: يرى أن هذه القضية مں الفروع ومسائل الاجتهاد، وأنها تدور في فلك السياسة الشرعية، وتتقرر شرعيّتها في ضوء الموازنة بين المصالح والمفاسد.

ومن أدلة الفريق الأول على ما ذهبوا إليه ما يأتي:

١- أن البرلمانات مجالس شركية، قامت ابتداء على اغتصاب الحق في التشريع المطلق؛ الأمر الذي يناقض أصل التوحيد؛ إذ لا فرق بين الشرك في الحكم وبين الشرك في العبادة؛ ولذلك فإن الأصل في هذه المجالس هو الاجتناب.

٢- ما يتعرض له العضو في بداية التحاقه بهذه المجالس من القسم على احترام الدستور والقوانين، وفيها من الكفر والشرك ما يناقض أصل الإسلام.

٣- ما يتضمنه ذلك من التلبيس على بقية أعضاء المجلس، وعلى العامة من الأمة بإضفاء الشرعية على هذه الأوضاع الشركية، والإقرار بها على الجملة.

٤- ما يتضمنه الدخول إلى هذه المجالس من موالاة الظالمين، وهي محرمة بنص القرآن.

٥- ما يتضمنه من مخالفة هديه ﷺ في مشاهد الشرك، وأماكن المحادّة لله ورسوله كمسجد الضرار ونحوه، حيث أمر بهدمها وتحريقها، ولم يسع لإصلاحها وترقيعها، وقد كان في وسعه ذلك.

- **مناقشة هذه الأدلة:**

ابتداء: نودّ ألا يخلط العمل الإسلامي بين ممارسة غير موفقة لهذا الأسلوب قام بها فريق من الناس، وبين تقويم هذا الأسلوب في ذاته بعيدا عن هذه الأغلاط،

فالإنصاف يقتضي النظر المجرد لهذا الأسلوب، وتقدير ما له وما عليه بعيدًا عن تجاوزات الممارسة وانحرافات التطبيق.

ولهذا فإن العمل الإسلامي مدعوٌّ للإجابة على هذا السؤال ابتداء: هل هناك تصور سياسي للحركة الإسلامية؟ أهناك مساحة على خريطة العمل السياسي يجب أن يتقدم لشغلها الإسلاميون، أم أن الواجب عليهم أن يضربوا الذكر صفحا عن هذا العمل، واعتباره من المجالات المحظورة التي لا يجوز له أن يصعّد النظر إليها بحال من الأحوال؟، وما ذكر من المفاسد يعتبر ملازما لطبيعة هذا العمل لا ينفكّ عنه بحال من الأحوال، أم أنه من العوارض الطارئة التي إذا تجرد منها هذا العمل امتهد سبيل إلى قبوله، أو اعتباره -على الأقل- من دائرة الفروع والخلافيات؟.

إن الاعتبارات التي يبني عليها الفريق الأول موقفه من المنع من الاشتغال بهذه الأعمال تعدّ من المحاذير الكبرى التي يمكن أن تغشى العمل في هذا المجال، وإن على كل منتصب لهذا العمل أن يضعها نصب عينيه، وأن يسأل نفسه دائمًا عن مدى توقّيه لها وبراءته منها، أو على الأقل حصرها -إن وجدت- في أضيق نطاق ممكن ثم يتساءل بالمقابل: ما المصالح المنشودة والمتحققة فعلا من وراء الاشتغال بهذه الأعمال؟ ثم يوازن بين هذه وتلك بميزان الشريعة الدقيق حتى لا يبني قصرًا ويهدم مصرًا، أو يتعلل بمصلحة جزئية محدودة ويغضّ الطرف عن طوفان من المفاسد لا تبدو فيه هذه المصلحة المحدودة إلا كما تبدو لمعة ضئيلة في ليلة شاتية كثيفة الظلمة.!

ومع هذا كله يبقى معنا هذا السؤال: أهذه المفاسد ملازمة لطبيعة هذا العمل لا تنفكّ عنه، ولا يُتصور تجرده منها، وتمثل -جميعا- قدرًا محتومًا ملازمًا لكل من ينتصب لممارسته، أم أن الارتباط ليس حتميا بين الاشتغال بالعمل

السياسي وبين هذه المفاسد، بحيث يمكن تصور عمل سياسي إسلامي لا تغشاه كل هذه المفاسد، أو على الأقل يمكن تطويقها وتقليل دائرتها ما أمكن؟

إن الذي يبدو أن الارتباط ليس حتميا، وأن أغلب هذه المفاسد تعتبر من العوارض الطارئة التي يمكن الاجتهاد في توقيها، أو تقليلها وحصر نطاقها ما أمكن، ويمكن من هذا المنطلق مناقشة أدلة المانعين على النحو الآتي:

- أما أن هذه المجالس شركية؛ لأنها لم تقم ابتداء على التسليم بشرع الله، والانقياد لحكمه. فالجواب على هذا الأمر في هذا المقام يحتاج إلى شيء من التفصيل:

ذلك أن مناط الشرك الذي يمكن أن يقع في هذه المجالس هو ادّعاء الحق في التشريع المطلق بدون سلطان من الله، فمن جاء إلى هذه المجالس معتقدًا بأهليتها لما تدعيه من حق التشريع، أو متابعا لها على ذلك ولو بغير اعتقاد، فهو الذي يصح أن تنصرف إليه هذه المحاذير.

وأما من جاء إليها حاملا لواء لدعوة إلى الإصلاح، متحيزًا إلى صفوف المعارضين، معلنًا عن هويته منذ اللحظة الأولى فقد تجاوز القنطرة، وتحقق لديه اجتناب الشرك، وأصبح الأمر فيما وراء ذلك من موارد الاجتهاد.

وأما أن الأصل في المجالس التي تقع فيها هذه المحاذير هو الاجتناب فهذا حق كذلك، إلا لمصلحة شرعية معتبرة، ومن أجلّها، بل وذروة سنامها حمل رسالة الإسلام إلى هذه المواقع.

فليس المقصود إذن مجرد الاجتناب الحسي بالأبدان؛ لأنه وحده لا يصنع شيئا، فقد تجتمع أبدان المسلمين والمشركين في مكان واحد ولا يفيد ذلك ولاءً ولا قربى، ولا يقدح في إيمان أهل الإيمان إذا كانوا قائمين بما أوجبه الله عليهم من فريضة الدعوة والإنكار.

فالمقصود إذن بالاجتناب هو اجتناب ما عليه القوم من الباطل من ناحية،

واجتناب غشيان أنديتهم إلا لمصلحة شرعية ظاهرة من ناحية أخرى، وعلى رأس هذه المصالح الصدع بكلمة الحق في هذه المعاقل، وإقامة الحجة على المبطلين والمضلّين.

فنحن إذن لا ننازع في أن مجرد الجلوس في هذه المجالس، وحضور ما يدور فيها من الخوض في آيات الله، إذا تجرد من المقاصد الشرعية، وخلا من المصالح المعتبرة شرعًا كان إثمًا من الآثام، ومعصية من المعاصي، فإن أضيف إلى ذلك إقرار الجالس معهم لما يفعلون، ورضاه بما يصنعون -وهو عالم بدين الله وبواقع هؤلاء- كان مثلهم، وجرى عليه من الحكم ما يجري عليهم.

أما إذا كان لمصلحة جِمَاعُها الإنكار على هؤلاء، والقيام بحجة الله عليهم، وتعطيل المظالم، أو تخفيفها عن الضعفاء من المسلمين فإنه بهذا القصد يرجى أن يكون قربة من القربات، وطاعة من الطاعات -أو على الأقل- يدخل بها في نطاق الفروع والمسائل الاجتهادية.

ولا يخفى أن المفترض فيمن ينتصبون لهذا العمل من الإسلاميين أنهم لا يقرّون لهذه المجالس بحق التشريع المطلق بدون سلطان من الله، ولا يتابعون القائمين عليها على باطل لم يأذن به الله، بل ما قامت دعوتهم ابتداءً إلا لنقض هذا الباطل والإنكار على أهله، وهم في هذا يصدرون من مُسَلَّمَة عَقَدِيّة شبَّ عليها صغيرهم، وشاب عليها كبيرهم، وحملتها إصداراتهم إلى كــل مكان، وهي التي يحملها قوله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠].

فإن حدث غبش في هذا الجانب كان الأمر أخطر وأفدح من مجرد الحديث عن شرعية العمل من خلال هذه المجالس أو عدم شرعيته؛ لأنه يكون قد تجاوز ذلك إلى خلل في فهم الربوبية، وإدراك أصل الإيمان بالله ورسوله، والخلل في الأولى خلل في وسيلة من وسائل العمل، وطريقة من طرائق الإصلاح، أما الخلل في الثانية فهو خلل في أصل الدين، واستيفاء ما يلزم لصحة عقد الإسلام.

ولعل الخلط بين هذين الأمرين هو الذي يؤدي إلى حدّة الرفض من قبل المانعين، أما إذا حدث التمييز بينهما عىى هذا النحو أمكن أن يمتهد السبيل إلى ترتيب النظر في هذا العمل على أنه من جنس الاجتهاد الفروعي في الخطط والأساليب يقبله من يقبله، ويرفضه من يرفضه، ولا تلازم —حتمًا- بين قبوله وبين الإخلال بأصل الدين.

وإذا تم إقرار هذا المنطلق، وحدث تجاوز في تقدير هذه المصلحة، أو شَابَ الموازنةَ بينها وبين المفاسد المتوقعة خللٌ أو قصور، وكانت هذه المصلحة المرجوة متوهمة ابتداء فقد يكون الأمر خطأ في الاجتهاد يرجى أن يسع أصحابَه عفوُ الله، او يؤاخذون على تقصيرهم في بذل الجهد الواجب الذي ترتفع معه المسؤولية عن الخطأ، ولكن هذا لا يُخرج المسألة عن نطاق الفروع والمسائل الاجتهادية، فكيف يمتهد مع ذلك القول بأن المسألة من مسائل الاعتقاد، وأن الاختلاف فيها من جنس الاختلاف في الأصول والمذاهب الاعتقادية.

أما ما يتعرض له العضو في بداية التحاقه بهذه المجالس من القَسَم على احترام الدستور والقوانين، وفيها من ما يناقض أصل الإسلام فضلاً عما يتضمنه ذلك من التلبيس على أعضاء المجلس وعلى غيرهم من العامة بإضفاء الشرعية على ما لا شرعية له، فيمكن أن يناقش بما يأتي:

إن القسم قد يضاف إليه قيد: "في غير معصية"، فإن حدث ذلك فإن فيه من إقامة الحجة في هذه المواقع ما تتباين به المواقف، وينتفي معه اللبس، وقد يتأوّله على معنىً صحيح يخرجه عن دائرة القسم على الالتزام بالباطل، وذلك بأن يكون مقصوده ما تتضمنه هذه الدساتير من النص على أن الإسلام دين الدولة، والشريعةُ هي مصدر تشريعاتها الأمر الذي يقتضي بطلان ما يخالف ذلك ويتعارض معه.

وإذا كان الأصل في اليمين أنه على نية المستحلِف، فإن هذا إذا كان المستحلِف مظلوما، أما إذا كان ظالما فإن اليمين على نية الحالف، كما ذكره البخاري في صحيحه عن النخعي، وكما ذكره غيره من أهل العلم.

قال -رحمه الله-: "إذا كان المستحلف ظالما فنية الحالف، وإن كان مظلوما فنية المستحلف"(١) وقد نسبه الحافظ في الفتح إلى مالك والجمهور(٢).

أما ما ذكر من: **تعميق الالتباس بإضفاء الشرعية على ما لا شرعية له.**

فهو موضع نظر؛ لأن الفوز في الانتخابات والمجيء إلى هذه البرلمانات لا يتم في الخفاء، ولا يكون إلا بعد معارك طاحنة، تتحدد فيها المواقف على الملأ، ويُعرف به منهاج كل فريق وقناعاته، حتى إنه يقال: فاز من الشيوعيين كذا، ومن الناصريين كذا، ومن الإسلاميين كذا، وقد علم جمهور الناس أن برنامج الإسلاميين في هذه المجالس هو تطبيق الشريعة.

وإن جمهور الناس يعرفون الفرق بين الإسلاميين في هذه المجالس وبين غيرهم من العلمانيين، ويدركون أن كافة الاتجاهات الأخرى سواء أكانت يسارية أو ليبرالية متفقة على الإطار العلماني، وأنها تسعى لتحقيق برامجها من خلاله، أما التيار الإسلامي فهو الاتجاه الوحيد الذي يكفر بهذا الإطار، ويسعى لنقضه من البداية.

أما القول بأن الاشتراك في هذه المجالس يتضمن إقرار الكفر والشرك وإضفاء الشرعية على من لا شرعية له، فإنه موضع نظر؛ لأنه إذا كان المقصود بإقرار الكفر والشرك إقرار تعطيل الشريعة وتحكيم القوانين الوضعية فذلك مستبعد؛ لأن الأصل في برنامج دعاة المنهج الإسلامي في هذه المجالس يدور حول تحكيم

(١) فتح الباري (١٢/٣٢٣).

(٢) المرجع السابق (١٢/ ٣٢٥).

الشريعة، وإلغاء ما تعارض معها من القوانين الوضعية، وما حملهم على الاشتراك في هذه المجالس من البداية إلا السعي لنصرة الشريعة وإعلاء كلمات الله.

وإن كان المقصود إقرار المنهج الذي يقضي بالتحاكم إلى إرادة الأمة بدلا من التحاكم إلى الكتاب والسنة فهو متأول على أن هذا الأمة لا تزال على أصل إسلامها، وأنها لن تختار إلا الإسلام: لا تبغي به بدلا ولا عنه حولا. ويكون الأمر من قبيل إلزام الخصم بما التزم به ومحاكمته إلى القانون الذي يزعم توقيره والعمل بموجبه.

ومن ناحية أخرى فإنه إذا كان الفساد في هذه الأنظمة يتمثل في التحاكم إلى إرادة الأمة، والإقرار لها بالحق في التشريع المطلق، فإن في مجيء الإسلاميين إلى هذه المجالس محاولة لمخاطبة هذه الإرادة، وإلزامها بالإسلام، كما لو عرفت أن فريقا من الناس قد فوضوا أمر دينهم إلى مليكهم، وأنه فيهم ذو أمر مطاع، وتوجيهه نافذ فتوجهت بالدعوة مباشرة إلى هذا الملك، ورجوت إن صلح أن يصلح بصلاحه من وراءه من الناس.

- **أما قضية إضفاء الشرعية على من لا شرعية له:** فإن كان مقصود المعترض أن دخول هذه المواقع يتضمن إضفاء الشرعية على تحكيم القوانين الوضعية وتعطيل الشريعة الإسلامية -فهو موضع نظر كذلك؛ لأن دعاة المنهج الإسلامي ما قبلوا الاشتراك في هذه المجالس إلا للسعي في إبطال القوانين التي تعارض أحكام الشريعة، وتحكيم الشريعة الإسلامية، وسبيلهم إلى ذلك أن يتوجهوا بالخطاب إلى ممثلي الأمة في هذه المجالس ويدعوهم إلى الالتزام بالإسلام، وتحكيم الشريعة، وأن يقطعوا الطريق على كل محاولة لإقرار ما يخالف شريعة الله في هذه المجالس. ويجب أن يكون إعلانهم دائما: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾[يوسف:٤٠]، وأن إرادة الأمة يجب أن تخضع للكتاب والسنة، ولا أحسب إلا أن هذا هو واقع دعاة المنهج الإسلامي في هذه المجالس.

أما إذا كان المقصود إضفاء الشرعية على القوانين التي تشتمل على مخالفة

للشريعة الإسلامية فذلك من جنس الإقرار المرحلي بالأمر الواقع الذي لا سبيل إلى دفعه في الحال، والتعامل معه بمنهج "تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها.

ولو طردنا هذا الاعتراض لقلنا: إن كل تعامل مع أهل الكفر بصلح أو هدنة أو عقد أو نحوه يتضمن إقرارًا لهم بالشرعية ولدياناتهم بالصحة، وهو غلط بَــيِّنٌ، فلم تزل أمة الإسلام عبر تاريخها كله تتعامل مع الخصوم حربًا وسلمًا، وترسل إليهم الرسل والكتب، وتبرم معهم العقود والعهود، من غير أن يعني ذلك إقرارا لهم بالشرعية، ولا لدياناتهم بالصحة.

أما ما يقال من أن دخول هذه المجالس يتضمن الموالاة، والركون للظالمين، وهي محرمات قطعية. فهو موضع نظر؛ لأن هذا القول إن صح بالنسبة لمن جاء إلى هذه المجالس طلبا لجاه أو مال، أو أتى دفاعا عن منهج من المناهج الوضعية وسعيا في تطبيقه، فإنه لا يصدق بحال من الأحوال على دعاة المنهج الإسلامي الذين قدموا إلى هذه المجالس دفاعًا عن الإسلام، وانتصارًا لشريعته، وتحديًا لخصومه.

إن الموالاة تعني الحب والنصرة، فهل يصح القول بأن دخول الإسلاميين إلى هذه المجالس كان حبًّا للعلمانيين وخصوم الشريعة، ومناصرة لهم على ما هم عليه.

إن الصلة مقطوعة والرحم جزاء بين العلمانية وبين الإسلام، ولا يعلم العلمانيون خصوما أنكى عليهم من الإسلاميين، فهما خصمان متمايزان متباينان، لا يقوم أحدهما إلا على أنقاض الآخر. وإن القول بغير ذلك مكابرة للواقع والتاريخ.

أما ما يقال من أن الدخول في هذه المجالس يتضمن مخالفة هديه ﷺ في مشاهد الشرك وأماكن المعصية، كمسجد الضرار ونحوه، من الأمر بتحريقها وتهديمها. فهو موضع نظر؛ أولاً: لأن النبي ﷺ عندما هدم مسجد الضرار بالمدينة كان على رأس دولة تجيش الجيوش، وتقيم الحدود، وتردع بسلطانها العابثين، و لم

يطهّر الكعبة من الأصنام إلا يوم الفتح، وكان يومها على رأس عشرة آلاف مقاتل، وقد صلى بها من قبل عشر سنين قبل الهجرة، ولم يمد يده الشريفة إلى صنم من هذه الأصنام؛ لأنه كان لا يملك يومئذ القدرة على ذلك.

وأحسب أنه لا مماراة في أن الدعوة الآن تمر بمرحلة استضعاف بالغة، فقياس هذه على تلك قياس مع الفارق.

فإن قيل: فإن لم تقدر على إزالة المنكر فاجتنبْه. قلنا: هذا حق، ولا يزال العمل الإسلامي يعيش مع هذه المؤسسات مرحلة الدعوة والبلاغ، ويسعى من خلالها لمنع المزيد من الفتن والتداعيات، ولم يصل بعد إلى مرحلة اليأس والاعتزال.

ولاشك أن الانتقال من مرحلة الأمر والنهي إلى مرحلة الاجتناب والاعتزال من الأمور التقديرية، وللاجتهاد فيها مجال، ولا يصح معها القدح في دين أحد أو في عدالته.

ثانيا: أن عمل دعاة المنهج الإسلامي في مثل هذه المجالس ينبغي أن يتمثل في توجيه الدعوة إلى أعضائها باعتبارهم ممثلي الأمة وأهل الحل والعقد فيها من الناحية الرسمية إلى تطبيق شريعة الله طاعة لله ووفاء لعهده، وإقامة الحجج على وجوب ذلك، وعلى إمكانه من الأدلة الشرعية القاطعة من ناحية، ومن حقائق الواقع من ناحية أخرى.

فإن استجابوا لذلك ظاهرا وباطنا فقد صح إسلامهم من ناحية، ونعمت الأمة بتحكيم شريعتها من ناحية أخرى، وإن استجابوا لذلك ظاهرًا فقط بأن فعلوا ذلك سياسة ومداهنة لشعوبهم، أو تعوّذًا من خطر الحركة الإسلامية، فعليهم وحدهم وزر نفاقهم ومغبة زندقتهم، ولا يلحق الأمةَ من وراء نفاقهم حرجٌ ولا مأثم.

وعلى هذا فإن كل خطوة على طريق تطبيق الشريعة هي في ذاتها عمل صالح، وطاعة من الطاعات، ثم تختلف مواقف الناس منها حكاما ومحكومين،

بحسب تفاوت القصود وأعمال القلوب.

– فمن بادر بها من الحكام، أو أقرها من المحكومين دينا وقربة، والتزاما بأمر الله ونهيه كانت بالنسبة له عبادة صحيحة وعملا متقبلا.

– ومن فعل ذلك منهم رياء وسمعة، أو تعوذا من الخطر، أو نـــزولا منه عند إرادة الأمة – وليس عملا بمقتضى الكتاب والسنة – كانت بالنسبة له عملا حابطًا، ونفاقًا أكبر يورده موارد الرّدَى، ويسقيه من طينة الخبال يوم القيامة.

ثالثا: أن جمهور هؤلاء المبطلين يدّعون الإيمان المجمل بالشريعة، ويزعمون الالتزام بها دينا واعتقادا، ويعتذرون عن تعطيلها في الواقع العملي بدعاوى الضغوط الداخلية والخارجية، وضرورة تهيئة المجتمع، وتحقيق المواءمة السياسية والأخذ بمبدأ التدرج ونحوه؛ ولهذا فإن دعوة الإسلاميين لهم في هذه المجالس إلى تطبيق الشريعة لا تُؤسَّس فقط على أساس النـــزول عند إرادة الأمة والالتزام بالديمقراطية، وإنما تُؤسَّس ابتداء على ما يدّعونه من الإيمان بالشريعة، والتسليم بصلاحيتها، والاعتقاد بوجوب تطبيقها، ثم يضيفون بأن هذه هي إرادة الأمة التي اختارتهم نوابًا عنها وممثلين لإرادتها.

وإذا تقرر ذلك فقد تمهد أن ما يقـــام من الشريعة بهذا المسلك يجتمع فيه – على الأقل فيما يبدو للناس – الأمران: كونه دينا وقربة من ناحية، وكونه قانونا توجهت إليه إرادة الأمة الإسلامية من ناحية أخرى.

رابعا: يقال للمعترض: أفرأيت لو كانت الراية والقيادة في بلد من البلاد لغير المسلمين، وكان المسلمون فيها قلة مستضعفة لا يسعهم أن يتحاكموا في الدماء والأموال والأعراض إلا إلى ما يتحاكم إليه سائر الناس في هذا البلد من القانون الوضعي، ثم أتيح لهم أن يطالبوا بتطبيق الأحكام الإسلامية عليهم في خصوماتهم باعتبارها من مقتضيات حرية التدين التي يقررها الإعلان العالمي

لحقوق الإنسان، ثم نجحوا في ذلك. فهل يقال لهم: إن القانون الوضعي الأول خير لكم من الشريعة الإسلامية؛ لأنها لم تقدم لكم على أنها شرع ودين، بل على أنها حضارة وحرية تديّن وحق من حقوق الإنسان؟ فالمقام مقام موازنة بين المصالح والمفاسد، ودوران في فلك أحكام الضرورة.

إننا لا ينبغي أن نشك لحظة في أن إقامة ما يمكن إقامته من الشريعة عن هذا الطريق أو غيره خير للأمة من البقاء في ربقة القوانين الوضعية التي تشتمل على ما يخالف أحكام الشريعة.

وبعد:

فقد كانت هذه هي أدلة المانعين من الاشتغال بالعمل السياسي، ومناقشة المجيزين له لهذه الأدلة، ومناقشتنا لها ليس في ضوء الصورة التي تجري عليها ممارسة هذا العمل في واقعنا المعاصر، بل في ضوء الصورة المثلى التي ينبغي أن تكون عليها.

والأمر كما يبدو حمال ذو وجوه، ولا يخفى أن دورانه في فلك الفروع والمسائل الاجتهادية بل في فلك الحروب والآراء أقرب من دورانه في فلك الأصول والمذاهب الاعتقادية(1).

فإذا وضعت هذه القضية في إطارها الصحيح امتهد السبيل إلى مناقشته مناقشة موضوعية هادئة بعيدا عن الانفعالات والتشنجات، حتى تحدد مدى الجدوى من ممارسة هذا الأسلوب في ضوء الموازنة بين المصالح المتوقعة والمفاسد المحتملة، ثم يقول أهل الحل والعقد في محيط العمل الإسلامي كلمتهم في ذلك، على أن يعاودوا النظر في ذلك كلما تجددت ظروف وطرأت أحوال، لما لا يخفى من تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والأحوال، وبهذا المنهج يغلق على العمل

---

(1) حقيقة الاختلاف بين من يتنازعون في شرعية هذا الأمر يدور في فلك الفروع والمسائل الاجتهادية؛ أما حقيقته بين من يقرون بشرعيته ابتداء ولكنهم يتنازعون في جدواه يدور في فلك الحروب والآراء.

الإسلامي باب عريض من أبواب الفتن والتهارج، والتقاذف بالتهم والمناكر، ويمتهد السبيل إلى إقامة عمل إسلامي راشد.

ونختم هذا المطلب بإيراد بعض فتاوى أهل العلم حول الاشتغال بهذا العمل:

من فتاوى أهل العلم حول الاشتغال بالعمل السياسي

الشيخ أحمد شاكر:

يقول الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: "... وإذ ذاك سيكون السبيل إلى ما ينبغي من نصرة الشريعة السبيل الدستوري السلمي: أن نبث في الأمة دعوتنا، ونجاهد فيها ونجاهر بها، ثم نصاولكم عليها في الانتخاب، ونحتكم فيها إلى الأمة، ولئن فشلنا مرة فسنفوز مرارًا، بل سنجعل من إخفاقنا -إن أخفقنا في أول أمرنا- مقدمةً لنجاحنا بما يحفز من الهمم، ويوقظ من العزم، وبأنه سيكون مبصرا لنا مواقع خطونا ومواضع خطئنا، وبأن عملنا سيكون خالصا لله وفي سبيل الله.

فإذا وثقت الأمة بنا، ورضيت عن دعوتنا، واختارت أن تُحكم بشريعتها طاعة لربها، وأرسلت منا نوابها إلى البرلمان فسيكون سبيلنا وإياكم أن نرضى وأن ترضوا بما يقضي به الدستور فتلقوا إلينا مقاليد الحكم، كما تفعل كل الأحزاب إذا فاز أحدها في الانتخاب، ثم نفي لقومنا -إن شاء الله- بما وعدنا من جعل القوانين كلها مستمدة من الكتاب والسنة"[1].

فتوى الشيخ عبدالعزيز بن باز:

وقد سئل سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز حول شرعية الترشيح لمجلس الشعب، وحكم الإسلام في استخراج بطاقة انتخاب بنية انتخاب الدعاة والأخوة المتدينين لدخول المجلس فأفتى بقوله: "إن النبي ﷺ قال: **"إنما الأعمال بالنيات، وإنما**

(١) (الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين في مصر)، للشيخ أحمد شاكر: (٤٠ - ٤١).

لكل امرئ ما نوى"[1]؛ لذا فلا حرج من الالتحاق بمجلس الشعب إذا كان المقصود من ذلك تأييد الحق، وعدم الموافقة على الباطل؛ لما في ذلك من نصر الحق، والانضمام إلى الدعاة إلى الله، كما أنه لا حرج في استخراج البطاقة التي يستعان بها على انتخاب الدعاة الصالحين، وتأييد الحق وأهله... والله ولي التوفيق"[2].

المطلب الثاني: الإطار العملي المقترح لممارسة العمل السياسي:

المقصود بهذا الإطار: هو المرتكزات والقواعد الكلية الضابطة لهذا العمل، والتي تكفل له الرشد، ويرجى مع التقيد بها أن يبقى هذا العمل على الجادة، وألا تتجاذبه الأهواء يمنة أو يسرة، وأن يبقى على وفائه للرسالة التي انتصب لأدائها في هذه المواقع، وأن يتحقق به التكامل مع الآخرين.

ويشتمل هذا الإطار على العناصر الآتية:

أ- تحديد الهدف والتأكد الدائم من بقاء هذا العمل في إطاره:

فلابد للذين ينتصبون للعمل في هذا المجال - بل وفي كل عمل بصفة عامة - أن يحددوا هدفهم من البداية، وأن يعرفوا ابتداء ماذا يريدون، حتى يتأكدوا من رشد هذا العمل، وأنه لا يزال في إطار الهدف الذي انتصبوا لتحقيقه.

والهدف الذي تبتغيه الحركة الإسلامية من الاشتغال بالعمل السياسي يتمثل فيما يأتي:

١- إقامة الحجة، ونقل قضية التوحيد ورسالة الإسلام إلى هذه المواقع.

٢- إقامة ما يمكن إقامته من أحكام الشريعة، والحيلولة دون مزيد من الإضاعة لما

---

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب بدء الوحي: باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (١١/١) (ح١) ومسلم في كتاب الإمارة: باب قوله ﷺ: إنما الأعمال بالنية (١٥١٥/٣)(ح١٥٥)، وعنده، "الأعمال بالنية"، كلاهما عن عمر بن الخطاب.

(٢) مجلة "لواء الإسلام" الصادرة بتاريخ: ١٤٠٩/١١ هـ ص (٧ بالملحق).

بقي منها.

٣- القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك بمحاربة الفساد، وكشف رموزه، وتعقبهم في مختلف المواقع في إطار من الأمن النسبي الذي تخوّله الحصانة البرلمانية.

٤- تحصيل بعض المصالح للعمل الإسلامي، ودفع أو تقليل بعض المظالم التي تقع عليه.

هذه هي الأهداف الكبرى التي يبتغيها العمل الإسلامي -فيما نعلم- من اشتراكه في العمل السياسي، وإن كان هذا لا يمنع من وجود بعض الأهداف الثانوية كالتمرس بالعمل السياسي، وإعداد الكفايات القادرة على النهوض بهذا العمل، وكاستغلال الحصانة التي يتيحها هذا العمل في تبليغ الدعوة، واستفاضة البلاغ، والقيام بمهام العمل الإسلامي في إطار من الأمن النسبي ونحوه.

ب- ضرورة التأكد من بقاء العمل السياسي في إطار تحقيق هذه الأهداف:

التزام هذه الأهداف والسعي إلى تحقيقها هو أساس مشروعية المشاركة في هذه الأعمال، ولولا ذلك لافتقد العمل الإسلامي شرعية وجوده في هذه المواقع.

من أجل هذا كانت أهمية التأكد من أن الوجود الإسلامي في هذه المواقع لا يزال في إطار تحقيقه لهذه الأهداف، فإن طرأ من العوارض ما يجعل تحقيق هذه الأهداف أمرًا مستحيلا افتقدتْ الحركة شرعية وجودها في هذه المواقع، وتعيَّن عليها أن تعلن براءتها، وأن تعود أدراجها إلى المسجد، توجه حديثها إلى الأمة، بعد أن فشلت في توجيهه إلى حكامها ونوابها في هذه المجالس.

حـ - الإطار الشرعي للعمل على تحقيق هذه الأهداف:

لا تكاد في أزمنة الفتن وغربة الدين تتمحض المصالح أو المفاسد، وإنما تتلاقى وتتزاحم في مناط واحد؛ ولذلك فإن الطابع العام الذي يغلب على الفقه في هذه المرحلة هو الموازنة بين المصالح والمفاسد لتحقيق أكمل المصلحتين، ودفع

أعظم المفسدتين، ويصبح الإطار: تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وترجيح خير الخيرين، ودفع شر الشرين، والميسور لا يسقط بالمعسور، وما لا يدرك كله لا يُتْرَك جُلُّه، ولا يعتب الرجل على نور فيه ظلمة إذ لم يحصل نور لا ظلمة فيه.

ولعل عدم وضوح هذه القواعد من أسباب الفتن بين فصائل العمل الإسلامي المعاصر؛ لأنه قد تلتقي المصالح والمفاسد في مناط واحد، فينظر فريق من الناس إلى المصالح فيرجّح جانب الفعل وإن تضمن مفاسد عظيمة، وينظر آخرون إلى المفاسد فيرجحون جانب الترك، وإن تضمن تفويت مصالح عظيمة، والمقسطون من يوازنون بين ما يُجْتَب من المصالح وما يُتوقَّع من المفاسد ويختارون تحقيق أكمل المصلحتين بتفويت أدناهما، ودفْع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "مدار الشريعة على أن الواجب تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، فإذا تعارضت كن تحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، ودفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما هو المشروع"[(١)].

ولا يفوتنا أن نذكر أن هذا الباب مزلة أقدام، ومدحضة أفهام، وأنه من الناس من فتحه على مصراعيه فأدخل في دين الله ما ليس فيه، ومنهم من أغلقه بالكلية فعطّل كثيرًا من المصالح الشرعية، والمعصوم من عصمه الله؛ ولذلك فإن النظر في هذا الباب وأمثاله من أغوار الفقه وحقائقه إنما هو للراسخين في العلم، ولا مدخل في ذلك للعامة ولا لأشباه العامة.

محاذير يتعين الانتباه إليها عند الاشتغال بهذا العمل:

للاشتغال بالعمل السياسي بعض المزالق التي قد تحبط هذا العمل، أو تهدر

(١) مجموع الفتاوى: (٢٨/ ٢٨٤).

قيمته وتُذهب فعاليته، أو على الأقل تضعف أثره، وتجعل المفاسد التي تنجم عن ممارسته أضعاف ما يجلبه من المصالح الحاضرة أو المحتملة، ومن هذه المزالق ما يأتي:

١- اختراق العمل الإسلامي وشقّه إلى معتدلين ومتطرّفين:

فالعمل السياسي ليس موضع قبول من الإسلاميين كافّة، فمن فصائل العمل الإسلامي من يدين العمل السياسي ويعتبره تلاعبًا بالدين، بل منهم من يجعله ماسًّا بأصل الدين، وناقضًا لعقد الإسلام، ويغلب ذلك على التيارات الجهادية، والتيارات السلفية، وكل من قطع في قضية الحكم بغير ما أنــزل الله، وجزم بأنها من جنس الكفر الأكبر بصفة عامة، والجاهلية حريصة على اختراق العمل الإسلامي، وشقّه إلى فريقين: إلى متطرف: تشن الغارة عليه، وتبادر إلى قمعه، والتنكيل به، وآخر معتدل: تؤجل ذلك معه إلى حين. ومعيار التطرف أو الاعتدال هو القبول بلعبة الديمقراطية، والاشتراك في العمل السياسي، والتعبير عن الرأي من خلال القنوات الشرعية، أو عدم القبول بذلك.

٢- حصر العمل الإسلامي في هذا المسار:

ومن المحاذير التي يُخشى أن يُستدرج إليها العاملون في هذا المجال: حصرُ العمل الإسلامي في باب الاشتغال بالعمل السياسي، وإهدار جميع الجهود التي تبذل على المحاور الأخرى، مع ما يعنيه ذلك من تشقيق العداوات وتكريس الخصومات.

إن من فقدان الرشد وغياب البصيرة أن يحصر القائمون على هذا العمل أبواب السعي لإقامة الإسلام في هذا الباب، وأن يسري هذا الشعور من خلالهم إلى عوام منتسبيهم فيقع في بطر الحق، وغمط الناس، والتحامل على بقية الاتجاهات، وتسفيه أعمالها بما يفسد القلوب ويمزّق به الصفوف.

ولا أدري كيف لا يتسنى لمن انتصبوا لنصرة الإسلام من خلال هذه المجالس، ووطّنوا أنفسهم على التعامل مع الاتجاهات السياسية المختلفة على مقتها

للإسلام وعداوتها لدعاته -كيف لا يتسنى لهم أن يمدوا جسور التواصل مع إخوانهم من حَمَلَة الشريعة من الفصائل الأخرى على حبهم للإسلام، وانتصابهم لإقامته، ويتبادلوا معهم التسديد والتناصح في إطار من التنسيق والتكامل، والالتزام بجماعة المسلمين بمفهومها العام والشامل؟!

٣- الاستدراج إلى تنازلات لا تقابل بمصالح راجحة:

ومن المزالق التي يخشى منها على العاملين في هذا المجال أن يستدرجوا إلى تنازلات، أو ترخصات تفقدهم ما تميزوا به في حس الأمة من النقاء والربانية من ناحية، وتدمر جسور التواصل بينهم وبين فصائل العمل الإسلامي من ناحية أخرى.

وإن أعداء المنهج الإسلامي لحريصون على توريط العمل الإسلامي في بعض هذه التنازلات؛ طمسا لبريقهم وتفـــردهم من ناحية، وتسعيرًا للفتن بينهم وبـــين إخوانهم من ناحية أخرى، وإذا أبدى العمـــل الإسلامي مرونة في هذا الصدد أول مرة فإنـــه يُطمع أعداء الله في المزيد والمزيد، وينفتح بذلك باب إلى نقض عرى الاستقامة على المنهج عروة عروة.

ومن ناحية أخرى فإنه لا يخفى أن العمل في هذا المجال مزلة أقدام، ومدحضة أفهام؛ لقيامه في الجملة على الموازنة بين المصالح والمفاسد، وهي من أغوار الفقه وحقائقه، وقد لا ينضبط ميزان التقدير فتنبوا المواقف عن الجادة، وقد تقارن الأهواء الآراء، وفي ذلك من الاشتباه والتدافع ما لا يعلم مداه إلا الله.

٤- تعميق الالتباس وإضفاء الشرعية على أعداء المنهج الإسلامي:

وهذه من المزالق التي قد يستدرج إليها العمل الإسلامي في هذه المواقع فتزيد الأمور تعقيدًا، والفتن اتقادًا؛ ذلك أن مجرد وجود العمل الإسلامي في هذه المواقع فيه شبهة تعميق الالتباس وإضفاء الشرعية على من لا شرعية له، فكيف إذا أُضيف إلى ذلك من المواقف العملية ما يوحي بالتضليل، ويَشِي بالتخاذل، أو

انضم إليه إشادة بأعداء الله، أو تجميل لصورهم أمام الأمة؟!

إننا نؤكد على ضرورة الحذر من مثل هذه المزالق وفاء للرسالة التي يُنتصب لأدائها في هذه المجالس من ناحية -والتي لولاها لتحوّل وجود العمل الإسلامي في هذه المواقع من جهد واحتساب إلى إثم صراح ومنكر بواح- وإبقاء لجسور التواصل مع بقية العاملين للإسلام، وحرصًا على عدم استفزاز مشاعرهم من ناحية أخرى.

أولويات يجب التأكيد عليها:

هذا، ومما يحسن التأكيد عليه في هذ المقام أن يستغل العمل الإسلامي وجوده في هذه المواقع لتحقيق ما يأتي:

أ- نقل رسالة الإسلام وقضية تطبيق الشريعة إلى بقية الأحزاب:

إذا استطاع العمل الإسلامي أن يجعل من قضية تطبيق الشريعة روحًا تسري في جميع الأحزاب، ورسالة تحملها، وتتحمس لها كافة الاتجاهات، واستغلّ وجوده في هذه المواقع لتحقيق هذا الهدف حيث يتمكن من خلالها من الحديث المباشر إلى قادة وممثلي هذه التيارات بما لم يتمكن منه في غيرها -فقد نجح نجاحًا بالغًا يستحق التقدير والإشادة، ويهون معه ما قد يترتب على وجوده في هذه المواقع من بعض المفاسد الجانبية.

ولقد سبق في بداية حديثنا في هذا المطلب أن ذكرنا أن إقامة الحجة على المخالف، وإسقاط العذر بالجهل على رأس الأهداف التي يبتغيها العمل الإسلامي من وجوده في هذه المواقع، وأن الاشتغال بهذا الهدف أولى من الدخول في بعض المعارك الجانبية داخل البرلمان؛ لأن هذه المعارك وإن أبقت للعمل الإسلامي وجوده في صفوف المعارضة إلا أنها قد تُذهب تفرّده عن بقية الأحزاب المعارضة؛ باعتباره ممثلا لرسالة الإسلام، وقائدًا لمعركة الشريعة في هذه المواقع.

ب- تنمية الخبرات السياسية:

فحاجة العمل الإسلامي إلى الخبرات السياسية العالية التي تجيد فهم الواقع المحيط بها من ناحية، وتجيد التعامل معه والوصول به إلى ما تريد من ناحية أخرى -حاجةٌ ماسّة، وكثير من الناس من ينجح في ميادين القتال فإذا دخل المعترك السياسي اختلطت عليه الأمور، ووقع فريسة سهلة في يد الخصوم، وقد يغض أعداؤنا الطرف عن جولة يكسبها الإسلاميون في المجال العسكري، ثم يعدون العدة للالتفاف عليهم في الميدان السياسي، وإدخالهم في سلسلة من المؤامرات والضغوط المتشابكة حتى يظفروا منهم بما يريدون.

ومن هنا تأتي تنمية الخبرات السياسية على رأس المكاسب التي يجب أن يحرص العمل الإسلامي على تحقيقها أثناء وجوده في هذه المواقع، وهذا يقتضيه أن ينشئ المراكز المتخصصة التي تتابع توجيه العمل الإسلامي داخل البرلمان، وتزوده بالمشورة الفورية عند الاقتضاء، وتسهر على إعداد الكفايات الإسلامية القادرة على البلاء في هذه الأعمال، حتى لا تتحول الممارسة السياسية التي يقوم بها الإسلاميون داخل هذه المجالس إلى مواقف سطحية ساذجة تثير السخط والرثاء، وتكون بذاتها بابا من أبواب الصدّ عن سبيل الله.

٣- التربية السياسية للأمة:

لقد ورثت الأمة تحت خيمة هذه الشبهات جملة من المفاهيم المغلوطة عن الإسلام، ومن بينها: أن الإسلام حفنة من الشعائر التعبدية والمبادئ الأخلاقية، ولا علاقة له بالتشريع والتوجيه وقيادة مسيرة الحياة، فنشأ من ذلك حاجز بين الدين والدولة، ووقع ما وقع من الفصام النكد بينهما.

ولقد استطاع العمل الإسلامي المعاصر أن يخترق هذا الحاجز، على الأقل على مستوى المفاهيم والتصورات، وأن يشيع العلم بشمول الإسلام، وأنه دين ودولة، وأن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، وأن العمل لإقامة دولة الإسلام، وإحياء الخلافة الإسلامية من الواجبات العينية على المسلمين.

إن بعث قضية الانتصار للشريعة، وعقد الولاء والبراء على أساس الإسلام

في حس العامة من المسلمين -كسبٌ لا يستهان به، بل يجب أن يعتبر أحد المحاور التي يدور حولها العمل الإسلامي في هذا المجال، في إطار من الحصانة والأمن النسبي، وبذلك يعم البلاغ، وتسري في الأمة روح جديدة.

٤- متابعة مواقف العلمانيين وخصوم الشريعة:

يتيح الاشتراك في هذه المجالس من الاحتكاك بمختلف الاتجاهات السياسية، والتعرف على توجهاتها، ودرجات عدائها للمنهج الإسلامي والدولة الإسلامية ما لا تتيحه مجرد المراقبة عن بعد من مقاعد الجماهير.

وإن حاجة العمل الإسلامي ماسّة في التعرف على خصومه الذين أشربوا في قلوبهم بغض الحل الإسلامي والعداء الدفين للحركة الإسلامية، ولا شك أن هؤلاء -خاصة العقديين منهم- هم الطابور الخامس في بلاد المسلمين، وهم العقول المنظرة للفساد، والآبار التي تضخ التغريب والضلالات فتمتلئ بها البلاد طولا وعرضا، ومن هؤلاء من يلبسون مسوح الإصلاح والوطنية، ويُلبّسون على السذج والبسطاء بأنهم دعاة الاستنارة، ورسل الحضارة، وأنهم يتبنون قضية المستضعفين، ويحملون لواء المطالبة بحقوق الجماهير... إلى غير ذلك من العبارات التي تروج في سوق الدخن السياسي، ويفتتن بها الأغرار من الناس، وهم همج رعاع أتباع كل ناعق.

فإذا استطاع العمل الإسلامي من خلال هذه المواقع، وما يعقد باسمها وعلى هامشها من لقاءات مفتوحة -أن يستيقن من خصومه، وأن يرتبهم على منازلهم في معاداتهم للإسلام، وكفرهم بمنهاجه، وأن يقطع شبهة العذر فيهم بما يمكن أن يديره معهم من حوارات جانبية حتى يكون على بينة من أمره -إن كتب الله له التمكين يوما من الدهر، ويعرف أيَّ مسلك يجب أن يسلكه مع هؤلاء- إن فعل العمل السياسي ذلك مدعوما بالوثائق والأدلة فقد أسدى للحركة الإسلامية يدًا، وسجل بذلك سابقة، وأثرى قاموسه السياسي بما لا غنى عنه من البيانات الضرورية التي يرسم في ضوئها سياساته حاضرًا ومستقبلاً.

خلاصة الفصل الثاني

- العمل السيسي أسلوب من أساليب الإصلاح المطروحة على صعيد العمل الإسلامي المعاصر. وقد لقي هذا الأسلوب جدلاً عريضا في محيط العمل الإسلامي.

- ولم تتفق كلمة المشتغلين بالعمل الإسلامي على الإطار الصحيح الذي يجب أن توضع فيه هذه القضية، ولكن نستطيع أن نميز في خلافهم فيها بين رأيين أساسين:

الأول: يرى أن هذه القضية من مسائل أصول الدين.

الثاني: يرى أن هذه القضية من الفروع ومسائل الاجتهاد.

وقد اختلفت الكلمة في حكم دخول البرلمانات السياسية وافترق الدعاة إلى فريقين، فريق مبيح وآخر مانع من المشاركة.

ومن أدلة الفريق المانع ما يأتي:

١ - أن البرلمانات مجالس شركية فالأصل الاجتناب.

والجواب على هذا:

أن مناط الشرك الذي يمكن أن يقع في هذه المجالس هو دعاء الحق في التشريع المطلق من دون الله فمن جاء إلى هذه المجالس حاملا لواء الدعوة إلى لإصلاح، معلنا عن هويته منذ اللحظة الأولى تحقق لديه اجتناب الشرك، وأصبح الأمر فيما وراء ذلك من موارد الاجتهاد.

٢- ما يتعرض له العضو في بداية التحاقه بهذه المجالس من القسم على احترام الدستور والقوانين، وفيها من الكفر والشرك ما يناقض أصل الإسلام.

ويمكن أن يناقش هذا أن القسم قد يضاف إليه قيد [في غير معصية]، وقد يتأوله على معنىً صحيح، وذلك بأن يكون مقصوده ما تتضمنه هذه الدساتير من النصّ على أن الإسلام دين الدولة، والشريعةَ هي مصدر القوانين. فإن اليمين

على نية الحالف إذا كان المستحلف ظالمًا.

٣ – التلبيس بإضفاء الشرعية على هذه الأوضاع الشركية، والإقرار بها على الجملة. ويردّ على هؤلاء بأن مقصد الإسلاميين الواضح من برنامجهم يعارض هذا الإقرار، ومجيء الإسلاميين لهذه المجالس إنما هو لإيقاظ الأمة لتطالب بتطبيق شريعة خالقها. ولا يُتصور أن أي تعامل أو اتصال مع أهل الفساد يكون إقرارًا به.

٤ – ما يتضمنه الدخول إلى هذه المجالس من موالاة الظالمين، وهي محرمة بنص القرآن.

ويرد على هذا بأن الموالاة تعني الحب والنصرة، ولا يصح القول بأن دخول الإسلاميين إلى هذه المجالس كان حبًّا للعلمانيين وخصوم الشريعة، ومناصرة لهم على ما هم عليه، وإن القول بغير ذلك مكابرة للواقع والتاريخ.

٥ – ما يتضمنه من مخالفة هديه ﷺ في مشاهد الشرك.

ويرد على ذلك بأن الدعوة الآن تمر بمرحلة استضعاف بالغة، فقياس هذه على تلك قياس مع الفارق. وأن جمهور هؤلاء المبطلين يدعون الإيمان المجمل بالشريعة ويزعمون الالتزام بها دينًا واعتقادًا، ويعتذرون عن تعطيلها في الواقع العملي بدعاوى؛ ولهذا فإن دعوة الإسلاميين لهم في هذه المجالس إلى تطبيق الشريعة لا تؤسس فقط على أساس النـــزول على إرادة الأمة والالتزام بالديمقراطية، وإنما تؤسس ابتداءً على ما يدعونه من الإيمان بالشريعة.

– **الإطار العملي المقترح لممارسة العمل السياسي:** هو المرتكزات والقواعد الكلية الضابطة لهذا العمل، والتي تكفل له الرشد.

ويشتمل هذا الإطار على العناصر الآتية:

أ– تحديد الهدف والتأكد الدائم من بقاء هذا العمل في إطاره:

فالهدف الذي تبتغيه الحركة الإسلامية من الاشتغال بالعمل السياسي يتمثل فيما يأتي:

١ - إقامة الحجة، ونقْل قضية التوحيد ورسالة الإسلام إلى هذه المواقع.

٢ - إقامة ما يمكن إقامته من أحكام الشريعة، والحيلولة دون مزيد من الإضاعة لما بقي منها.

٣ - القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في إطار من الأمن النسبي الذي تخوّله الحصانة البرلمانية.

٤ - تحصيل بعض المصالح للعمل الإسلامي، ودفع أو تقليل بعض المظالم التي تقع عليه.

ب - ضرورة التأكد من بقاء العمل السياسي في إطار تحقيق هذه الأهداف.

جـ - الإطار الشرعي للعمل على تحقيق هذه الأهداف:

هوتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وترجيح خير الخيرين، ودفع شرّ الشرين، والميسور لا يسقط بالمعسور، وما لا يدرك كله لا يترك جله.

- محاذير يتعين الانتباه إليها عند الاشتغال بهذا العمل:

١- اختراق العمل الإسلامي وشقه إلى معتدلين ومتطرفين.

٢ - حصْر العمل الإسلامي في هذا المسار.

٣- الاستدراج إلى تنازلات لا تقابل بمصالح راجحة.

٤- تعميق الالتباس وإضفاء الشرعية على أعداء المنهج الإسلامي.

- أولويات يجب التأكيد عليها:

أ- نقل رسالة الإسلام وتطبيق الشريعة إلى بقية الأحزاب.

ب- تنمية الخبرات السياسية.

ج- التربية السياسية للأمة.

د- متابعة مواقف العلمانيين وخصوم الشريعة.

اختبار الفصل الثاني

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١- الدعاة إلى الله يجب أن يبالغوا في الاشتغال بالعمل السياسي إذ هو محور التغيير.

٢- تحصيل بعض المصالح للعمل الإسلامي ودفع أو تقليل بعض المظالم من أهداف الدعاة من الاشتغال بالعمل السياسي.

٣- من المزالق التي قد يتعرض لها من يشتغلون بالعمل السياسي: اختراق العمل الإسلامي، وشقه إلى معتدلين ومتطرفين.

٤- العمل الإسلامي لا يحتاج إلى تنمية الخبرات السياسية.

٥- الراجح وجوب العمل السياسي على الدعاة كافة.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

١- من بين الأهداف التي تبتغيها الحركة الإسلامية من الاشتغال بالعمل السياسي:

أ-إقامة الحجة ونقل قضية التوحيد ورسالة الإسلام إلى هذا الموقع.

ب- القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ج- تحصيل بعض المصالح للعمل الإسلامي، ودفع المظالم التي تقع عليه.

د- جميع ما سبق.

٢-الإسلاميون لا يقبلون جميعهم أسلوب الاشتغال بالعمل السياسي؛ إذ أن منهم من يرون أن في الاشتغال بالعمل السياسي:

أ- تلاعبًا بالدين. ب- مساسًا بأصل الدين.

ج- أكل الأموال الناس بالباطل. د- ركونا للظَّلَمة وأهل الأهواء.

هـ- ما ورد في ب، د معاً.

٣- جميع النقاط التالية من الأولويات التي يجب التأكيد عليها للاشتغال بالعمل السياسي، ما عدا:

أ- نقل رسالة الإسلام وقضية تطبيق الشريعة إلى بقية الأحزاب.

ب- تنمية الخبرات السياسية لدى قيادات الدعوة.

ج- تربية الأمة سياسيًا وإدراك الواقع.

د- تحقيق المصالح الحزبية.

٤- من المحاذير التي ينبغي الانتباه إليها للاشتغال بالعمل السياسي:

أ- اختراق العمل الإسلامي وشقّه إلى معتدلين ومتطرفين.

ب- حصر العمل الإسلامي في هذا المسار.

ج- الاستدراج إلى تنازلات لا تقابل بمصالح راجحة.

د-تعميق الالتباس وإضفاء الشرعية على أعداء الله.

هـ- جميع ما سبق.

ثالثاً: أسئلة متنوعة:

١- قمت بترشيح نفسك في انتخابات أحد المجالس البرلمانية، فقابلك أحد كبار الدعاة ولامك لومًا شديدًا على ترشيحك لنفسك في هذه الانتخابات، فطلبت منه أن يترك اللوم والعاطفة، وتجلسن معًا لتناقشا في الموضوع مناقشة علمية؛ تعمدان فيها لقواعد الفقه المقررة. فتناقشتما في الأمر. نرجو أن تعرض وجهة نظره، ثم تناقش هذه الوجهة، وتدفع هذه الأدلة بما تراه صالحًا للدفع.

٢- أرسل إليك أحد الأصدقاء يسألك عن الضوابط العملية التي يجب أن يلتزم بها أثناء استخدامه لوسيلة العمل السياسي في الدعوة إلى الله. فذكرت له هذه الضوابط، وتناقشتم حولها. اذكر لنا ما دار في هذا الحوار.

٣- العمل السياسي باعتباره وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله لابد أن يُتعامل معه بحذر شديد هذه هي العبارة التي بدأت بها نُصْحك لأحد العاملين من الدعاة في مجال العمل السياسي، ثم دار بينكما حوارٌ حول ترتيب الواجبات أثناء العمل السياسي، وكذلك ما يجب أن يُتجنب ويحذر منه أثناء العمل.

اذكر لنا الحوار الذي دار بينكما.

٤- اكتب مذكرات مختصرة عن الإطار العلمي للخلاف في قضية العمل السياسي.

٥- اذكر بعض فتاوى أهل العلم حول الاشتغال بالعمل السياسي.

الفصل الثالث: فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأهداف التعليمية للفصل:

عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذا الفصل أن تصبح قادراً على أن:

١- تعين الأسلوب الذي ينبغي أن يُتّبع في أداء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كفريضة أوجبها الشارع على فريق من الأمة.

٢- تظهر الإطار العملي المقترح لممارسة فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع تقدير المصالح والمفاسد في هذه القضية.

٣- تبين المفاسد التي يمكن أن تنتج عن التغيير باليد من قبل آحاد المحتسبين وتؤثر سلبياً في العمل الإسلامي في عالمنا المعاصر.

٤- تمثل أو تشارك في مشاهد مسرحية تبين آداب ممارسة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥- تجمع من خلال قراءتك في كتب الفقه والحديث والسيرة عددًا من صور ومواقف الأمر المعروف والنهي عن لمنكر للرسول ﷺ والصحابة والسلف.

الفصل الثالث: فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

تمحورت حول إحياء هذه الفريضة وتجديد رسومها بعضُ طوائف العمل الإسلامي المعاصر، وهي تتطلع إلى الجهاد في سبيل الله بمفهومه الشامل -أي: إقامة الدولة الإسلامية-، وإلى محاربة الفساد المستشري في أوساط الأمة في إطار فريضة الأمرْ بالمعروف والنهي عن المنكر.

لهذه الفريضة، ووقع بينه وبينهم من التهارج والخصومات ما تنفطر له القلوب، وهم على الجملة أهل صدق وإخلاص، وحاجة العمل الإسلامي إلى جهادهم وبلائهم حاجةٌ ماسّةٌ، على أن يتم ذلك في إطار من الرشد واعتبار المآل، والنظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح، مع الحرص على التكامل مع الآخرين، حتى يغذي الجميعُ السير في الطريق إلى جماعة المسلمين.

- الإطار العلمي للاختلاف في هذه القضية:

لا منازعة ابتداءً في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنه من آكد الفرائض بعد الإيمان بالله.

وإنما تقع المنازعة في الأسلوب الذي يتم به أداء هذه الفريضة من قِبَلِ هذه الجماعة، وتكاد تنحصر المنازعة في مسألة التغيير باليد، حيث ترى هذه الجماعة جواز التغيير باليد بالنسبة للأفراد، وأن مصلحته في الواقع تربو على مفسدته، وينازعهم الآخرون فيرون أن التغيير باليد هو وظيفة الحكام وأصحاب الولاية والسلطان، ومنهم من يوافقهم ابتداء على مشروعيته بالنسبة للأفراد إلا أنه يرى أن مفسدته تربو على مصلحته في واقعنا المعاصر، الأمر الذي يترجح معه كفُّ يد الأفراد عن ذلك، بناء على قاعدة الشريعة في الموازنة بين المصالح والمفاسد.

ولا شك أن هذا الاختلاف له جانبان:

- جانب المنازعة في شرعية التغيير باليد ابتداء للأفراد، وهو من جنس

الاختلاف في الفروع والمسائل.

- جانب المنازعة في غلبة المصلحة أو المفسدة في التغيير باليد بالنسبة للأفراد في واقعنا المعاصر عند من يجيزونه ابتداء، وهو من جنس الاختلاف في الحروب والآراء ومجالات الشورى.

ولا علاقة للاختلاف في هذه القضية بالاختلاف في الأصول والمذاهب الاعتقادية.

- الإطار العملي المقترح لممارسة هذه الفريضة:

لا علاقة لهذه الدراسة بالتفصيلات الفقهية لقضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فذلك له مباحثه المتخصصة، وإنما سيقتصر الحديث على دراسة الجدوى في التغيير باليد بالنسبة لآحاد الرعية، والإطار الذي ينبغي أن تمارس فيه هذه الوظيفة في واقعنا المعاصر، حتى تؤتي أكلها في إحياء هذه الفريضة، وتجفيف منابع الفساد أو تقليصها على الأقل.

- لا منازعة في ارتباط أداء هذه الفريضة بالموازنة بين المصالح والمفاسد:

لا منازعة ابتداء في أن أداء هذه الفريضة يرتبط فيما يرتبط بالموازنة بين المصالح والمفاسد المترتبة على الأمر و لنهي، فإن كان إنكار المنكر يستلزم منكرًا أكبر لم يجز إنكاره، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وإن كان الأمر بالمعروف يستلزم تفويت معروف أكبر لم يجز الأمر به، وإن كان الله يحبه ويحب من يفعله.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإن الأمر والنهي وإن كان متضمنا لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة فيُنظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر لم يكن مأمورًا به، بل يكون محرما إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته، لكن اعتبار تقدير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة"[1].

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية: (٢٨/ ٢٩).

كما لا منازعة في أن اعتبار تقدير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة، وأن هذا الباب من دقائق الفقه التي يجب أن تفوّض إلى الراسخين في العلم من أهل الدراية بالشرع والمعرفة بالواقع، ولا مدخل في ذلك للعامّة ولا لأشباه العامة.

- تقدير المصالح والمفاسد في هذه القضية:

الذي يتتبع الأمثلة التي ساقها أهل العلم في باب الموازنة بين المصالح والمفاسد في هذه القضية يمكنه أن يقسم المفاسد إلى ما يأتي:

١- مفسدة الانتقال إلى منكر أكبر، سواء أكانت مفسدة هذا المنكر الأكبر قاصرة على المتلبس بالمنكر، أم متعدية منه إلى غيره، وذلك كترك الإنكار على من كان مشتغلا بكتب المجون خشية انتقاله بالإنكار عليه إلى كتب البدع والضلال والسحر، وترك الإنكار على من اجتمعوا على لهو وسماع مكاء وتصدية خشية أن يؤدي الإنكار عليهم إلى تفرغهم إلى ما هو أعظم من ذلك، وكترك الإنكار على من كان يشرب الخمر من أكابر المجرمين خشية أن يتفرغ إلى ما هو أعظم من الخمر من سفك الدماء وسبي الذرية وأخذ الأموال.

٢- مفسدة التقابل وتحريك الفتنة بالمقاتلة ونحوه، فلا يجوز الاحتساب في هذه الحالة إلا بإذن السلطان؛ لأن إذنه يمنع التقابل.

٣- مفسدة تعرُّض المحتسب إلى ما لا يطيقه من البلاء.

٤- مفسدة الصدّ عن سبيل الله كترك النبي ﷺ قتل عبد الله بن أبي بن سلول خشية أن يشيع في الناس أن محمدًا يقتل أصحابه[1]، ويصد الناس عن سبيل الله، وخشية أن يغضب قومه له حمية فتحبط أعمالهم؛ للانتصار لرجل وهو في مقام إيذاء النبي ﷺ.

أما المصالح فقد اتفقت كلمتهم على أنها زوال المنكر أو قلته وبهذا المدخل

---

(١) انظر البخاري (٤٦٢٢)، ومسلم (٢٥٨٤).

باليد من آحاد العمل الإسلامي في واقعنا المعاصر.

وفي تقديرنا أن لهذه القضية مأخذين: مأخذ الموازنة بين المصالح والمفاسد، ومأخذ فقه الدعوة، وسوف نناقش كل واحد منهما على حدة، ثم نردفه بإيجاز بالقول في الإطار العملي المقترح لممارسة هذه الفريضة في ضوء هذه المقدمات.

- مفسدة التقابل وتحريك الفتنة بالمقاتلة:

لا يخلو حال المتلبّس بالمنكر من أن يكون ضعيفًا لا طاقة له بدفع المحتسب، وتحريك الفتنة بالمقاتلة معه، أو أن يكون قويًّا قادرًا على ذلك، سواء أكانت قوته من تلقاء نفسه، أم بالاستعانة بغيره ممن يغضب له، ويدفع عنه.

فإن كان المتلبس بالمنكر ضعيفا فلا منازعة في وجوب الاحتساب عليه، وحسْم منكره بما ينحسم به ما لم يؤد ذلك إلى منكر أكبر، وأن هذا مما يحبه الله ورسوله.

وأما إن كان قويًّا يفضي الاحتساب عليه إلى التقاتل، وتحريك الفتنة فيجب الكفُّ عن الاحتساب في هذه الحالة؛ لما يؤدي إليه من التقاتل الذي هو أنْكَرُ من كل منكر، وأعظم من كل مفسدة.

فإذا انتقلنا بهذه القاعدة إلى معترك التطبيق وجدْنا الأصل في المتلبسين بالمنكر في واقعنا المعاصر هو القوة؛ لأنهم فيما يأتونه من المنكرات يستندون إلى شوكة وإلى منعة، وسلطان قام ابتداء على إهدار سيادة الشريعة، وإعلاء سيادة القوانين الوضعية، وجُلُّ ما يُجترح من المنكرات في ظل هذه الأنظمة فهو في كنفها وحمايتها: تُحلّه قوانينها، وتحرسه مؤسساتها، وتبذل جنودها الحماية والمنعة لأصحابه.

وعلى هذا الأساس يكون حساب القدرة فهي ليست القدرة الوقتية على مباغتة هذا المنكر، وإزالته بصورة خاطفة، تعقبها إعادته من قبل الطغاة أتم ما يكون، والزج بهؤلاء المنكرين في غيابات السجون، يفتنون في دينهم ويقهرون، وإنما هي القدرة على راحهة من يدعمونه، ويبذلون له الحماية والمنعة،

ويستنفرون في سبيل ذلك كل ما يملكون من عتاد وعدة.

وإذا كان الأمر كذلك كان الأصل في التغيير باليد من العامة في ظل هذه النظم التي أباحت هذه المنكرات هو التقابل، وتحريك الفتنة إن لم يكن بالمواجهة مع المتلبس بالمنكر، فبالمواجهة مع جند الظالمين الذين ينتصبون للانتصار لهذه المنكرات في ظل ما يسمى بحماية القانون والشرعية، وهذه النقطة يجب أن تكون موضع اعتبار عند الإقدام على الاحتساب باليد من قبل فصائل العمل الإسلامي أو غيرهم.

- مفسدة تعرض المحتسب إلى ما لا يطيقه من البلاء:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من جنس الجهاد في سبيل الله، ولا يخفى ما في الجهاد من الجهد والشدة وتوقع البلاء، قال تعالى على لسان لقمان: ﴿**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾[لقمان: ١٧].

فإذا كان ما يصيب المحتسب من الأذى في حدود اللوم ونحوه من الأذى الخفيف فقد أجمع أهل العلم على أن ذلك لا يجوز أن يمنعه من التغيير، أما إذا تجاوز الأذى هذا الحدَّ وبلغ مبلغ الحبس أو القيد أو الجلد وأخذ المال ونحوه -سقط التكليف بما يستلزم هذا الأذى من درجات الإنكار، وتبقى الفضيلة في الصبر، والدرجات العلى للمجاهدين الصابرين؛ لأن المخاطرة بالنفوس في إعزاز الدين مندوبٌ إليه، وقد قال ﷺ: "**أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر**"(١).

قال القرطبي -رحمه الله: "أجمع المسلمون فيما ذكره ابن عبد البر أن المنكر

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم: باب الأمر والنهي (١٢٢/٤) (ح٤٣٤٤)، والترمذي في كتاب الفتن: باب ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر (٧٢/٤)(ح٢١٨١)، وقال: وهذا حديث حسن، وابن ماجه في كتاب الفتن: باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١٣٢٩/٢)(ح ٤٠١١)، كلهم عن أبي سعيد الخدري.

واجب تغييره على كل من قدر عليه، وأنه إذا لم يلحقه بالتغيير إلا اللوم الذي لا يتعدى إلى الأذى فإن ذلك لا يجب أن يمنعه من تغييره، فإن لم يقدر فبلسانه، فإن لم يقدر فبقلبه، ليس عليه أكثر من ذلك، وإذا أنكر بقلبه فقد أدى ما عليه إذا لم يستطع سوى ذلك، قال: والأحاديث في تأكيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة جدًّا، ولكنها مقيدة بالاستطاعة"[1].

وقال العز بن عبدالسلام: "التقرير على المعاصي كلها مفسدة، لكن يجوز التقرير عليها عند العجز عن إنكارها مندوبا إليه، ومحثوثا عليه؛ لأن المخاطرة بالنفوس في إعزاز الدين مأمور بها كما يعذر بها في قتال المشركين، وقتال البغاة المتأولين، وقتال مانعي الحقوق، بحيث لا يمكن تخليصها منهم إلا بالقتال، وقد قال ﷺ: "**أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر**"[2] جعلها أفضل الجهاد؛ لأن قائلها قد جاد بنفسه كل الجود، بخلاف من يلاقي قرنه من القتال، فإنه يجوز أن يقهره ويقتله فلا يكون بذله نفسه مع تجويز سلامتها، كبذل المنكر نفسه مع يأسه من السلامة"[3].

ومثل ما يخافه المحتسب على نفسه من سوط أو قيد أو حبس ونحوه في سقوط التكليف بهذه الفريضة ما يخافه من ذلك في حق أهله وجيرانه، بل إن ذلك آكد؛ لأن له أن يسامح في حق نفسه، ولكن ليس له أن يسامح في حقوق الآخرين، فإذا خشي المحتسب تعدي الأذى إلى أحد من أهله أو جيرانه لم ينبغ له التعرض للأمر والنهي إلا بإذنهم، إلا إذا كان الذي ينالهم من الأذى هو من جنس الأذى باللوم والشتم والسب ونحوه، فإنه يوازن بين درجات المنكرات في

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية: (٢٠/ ٥٩).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) (قواعد الأحكام في مصالح الأنام) للعز بن عبد السلام: (١/ ١٠ - ١١١١).

تفاحشها، ودرجات الكلام المحذور في نكايته في القلب، وقدحه في العرض، ويختار تجنب أعظم المفسدتين.

يقول ابن رجب -رحمه الله: "من خشي في الإقدام في الإنكار على الملوك أن يؤذى أهله أو جيرانه لم ينبغ التعرض لهم حينئذ؛ لما فيه من تعدي الأذى إلى غيره، كذلك قال الفضيل بن عياض وغيره، ومع هذا: متى خاف منهم على نفسه السيف أو السوط أو الحبس، أو القيد أو النفي، أو أخْذ المال أو نحو ذلك من الأذى -سقط أمْرهم ونهيهم. وقد نصَّ الأئمة على ذلك، منهم: الإمام أحمد، وإسحاق، وغيرهم. قال أحمد: لا يتعرض إلى سلطان فإن سيفه مسلول"[1].

فإذا انتقلنا بهذه القواعد إلى واقعنا المعاصر وجب أن تكون هذه المآلات موضع اعتبار عند الإقدام على الإنكار.

فإن لم يخش أذى بالكلية فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وإن خاف أذى خفيفا لا يتجاوز اللوم والتعنيف بالقول ونحوه لم يمنعه ذلك من التغيير إجماعًا.

وإن جاوز الأذى ذلك إلى شيء من الفتنة بالحبس أو الجلد أو القيد أو أخذ المال ونحوه كنا أمام رخصة وعزيمة، فمن صبر وصدع بالحق، واحتسب في الله ما يصيبه كان له ثواب المجاهدين الصابرين، ومن ترخص وسعه ذلك، ولا تثريب عليه.

أما إذا امتد الأذى إلى أحد من أهله أو جيرانه لم يجز له الاحتساب؛ لأنه إن جاز له أن يسامح في حق نفسه فليس له أن يسامح في حقوق الآخرين، إلا إذا كان الأذى خفيفاً لا يتجاوز اللوم أو السب، فإنه يقارن بينه وبين المنكر الذي يريد الاحتساب عليه حتى يدفع أشرَّ الشرين.

---

(١) (جامع العلوم والحكم) لابن رجب الحنبلي: (٢٨٢).

والذي يجري عليه العمل فعلا أن تغيير المنكر باليد في مثل هذه الأحوال لا يخلو من أذىً بالغ يلحق المحتسب في نفسه، وقد يتجاوزه إلى فتنة غيره؛ لهذا فإن عليه قبل أن يقدم على الاحتساب باليد أن يتدبر في المآل، فإن آنس في نفسه القدرة على احتمال ما يصيبه من الأذى فقد امتهد السبيل إلى احتسابه، والله يثيبه ويثبّته، أما إن آنس من نفسه العجز عن ذلك فلا ينبغي له الإقدام؛ إذ ليس للمؤمن أن يُذلّ نفسه بأن يعرضها إلى ما لا طاقة له به من البلاء(١). وكذلك إذا خشي أن يمتد الأذى إلى غيره؛ إذ ليس له أن يسامح في حقوق الآخرين.

وكم شقيت الأسر في واقعنا المعاصر باحتساب أبنائها دون اعتبار للمآل، وتدبر في العواقب، وإجراء الأمر على رسوم الشريعة، واستُغِل ذلك في إثارة الأهل والعشائر ضد العمل الإسلامي، وتدمير جسور التواصل والتواد بينه وبين هؤلاء، فيجب الانتباه إلى هذا الضابط رعاية لشرعية العمل في ذاته من ناحية، وحرصا على مصلحة الدعوة من ناحية أخرى.

- المفسدة المتعلقة بالدعوة:

لا تزال الدعوة إلى الله تعيش أيام غربتها في هذا العصر، ولا يزال العاملون للإسلام من الفئات المحجوبة عن الشرعية تحت خيمة هذه النظم الوضعية، بل لا يزالون "قليلا مستضعفين في الأرض يخافون أن يتخطّفهم الناس".

وحاجة الدعوة في هذه المرحلة إلى التأليف والمداراة مع الناس كافة أكثر من حاجتها إلى الزجر بالهجر، والتثريب على العصاة والمخالفين ونحوه.

---

(١) عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: "لا ينبغي للمؤمن أن يذلّ نفسه. قالوا وكيف يذلّ نفسه؟ قال: يتعرض في البلاء لما لا يطيق "الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الفتن: باب ما جاء في النهي عن سبّ الرياح" (١١٢/٤) (ح٢٢٦١)، وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه في كتاب الفتن: باب قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم" (١٣٣٢/٢) (ح٤٠١٦)، كلاهما عن حذيفة.

كما أن حاجتها إلى تصحيح المفاهيم، واستفاضة البلاغ، وإقامة الحجة، وبناء القاعدة الإيمانية الصلبة أسبق من حاجتها إلى الاحتساب على عدد من المنكرات الجزئية قد افتقد المتلبسون بها كثيرا من أصول الدين وحقائقه الأساسية، فلم يبق لهم من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه.

وإذا كان النبي ﷺ قد امتنع عن قتل عبد الله بن أبي بن سلول وقد قال ما قال فيما يحكيه عنه القرآن الكريم: ﴿لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨]، حتى لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه؛ فيصد الناس بذلك عن سبيل الله، فإن عددا من المفاسد يمكن أن يجرها التغيير باليد من قِبَل آحاد المنتسبين إلى العمل الإسلامي في واقعنا المعاصر نوجز بيانها فيما يلي؛ حتى تكون نصب أعين الذين يتنادون لإحياء هذه الفريضة في واقعنا المعاصر:

١- استنفار العامة ضد العمل الإسلامي، وتصويره لهم على أنه نوع من الإرهاب والتطرف، بما يؤدي إلى تعميق الفجوة بين التيار الإسلامي وبين عامة الناس في مرحلة هم أحوج ما يكونون فيها إلى التلطف في التعريف، وإلى المداراة والتأليف.

٢- التشويش على القضية الأصلية التي انتصب التيار الإسلامي لحملها وإقامتها في الأمة، وهي قضية التوحيد وتحكيم الشريعة، الأمر الذي يفضي إلى حصْر العمل الإسلامي في نطاق الاحتساب على هذه المنكرات الجزئية.

٣- استنزاف وقت الدعاة في هذه المواجهات، وانشغالهم به عن الانقطاع لتربية القاعدة، وتصحيح المفاهيم، والعمل على استفاضة البلاغ وإقامة الحجة.

٤- اختلاط الدعوة في هذه المرحلة بحميّة الجاهلية، وتجاذب العصبيات نتيجة ردود الأفعال المتوقعة لهذه الأعمال من قبل الفريقين، في وقت هي أحوج ما تكون فيه إلى النقاء والتجرد.

٥- تبديد الجهود وتفريغ الطاقات في هذه الأعمال الجزئية، والانشغال بها عن

التفرغ لمواجهة المنكر الأكبر الذي انبعثت عنه كل هذه المنكرات الجزئية.

٦- مخالفة المعهود في سنة الدعوة، وذلك أن المنكر يجب أن تسقط حرمته من القلوب أولاً، عبر مشوار طويل من البلاغ، والتربية قبل أن تتوجه اليد إلى إزالته، من أجل ذلك لم يكسر النبي ﷺ الأصنام في الكعبة أيام الاستضعاف، بل عمد أولا إلى بناء التوحيد في القلوب، فلما استقرت حقائقه، وأقيمت دولة الإسلام في المدينة، كان تكسير هذه الأصنام بعد ذلك يوم الفتح الأكبر.

٧- توتر الأجواء التي تدرج فيها الدعوة؛ ذلك أن حاجة الدعوة ماسة إلى مناخ هادئ تبلّغ فيه رسالة الله إلى الأمة، بعيدًا عن أجواء الانفعال والتجاذب، فإذا كان الخصوم يمكرون الليل والنهار من أجل التشويش على العمل الإسلامي، وتشويه رجالاته في حس الأمة، فكيف يشارك العمل الإسلامي بنفسه في ذلك من خلال هذه المواقف؟!.

ولا يخفى أن هذه المفاسد ليست على درجة واحدة، كما أنها تتفاوت من موقع إلى آخر، ولا يلزم اجتماعها في كافة الأحوال، وعلى المشتغلين بهذه الفريضة أن يضعوا كل هذه المعاني نصب أعينهم قبل الإقدام على عمل من هذه الأعمال، فإن من حقهم على إخوانهم أن ينصحوا لهم، ومن واجبهم أن يستمعوا إليهم، وأن يقبلوا منهم ما يقتضيه الدليل، وترجحه المصلحة.

ومن ناحية أخرى فإن التغيير باليد من توابع الرسالة، ودائرته تقع في نطاق الملتزمين بها على الجملة، ومكانه الصحيح هو الدولة الإسلامية التي تقوم ابتداءً على حراسة الدين وسياسة الدنيا به، أما إذا انعدمت شرعية الراية، وسقط التحاكم إلى شريعة الله ابتداء، وحلت النظم الوضعية محل الشريعة الإسلامية، وأصبحت المنكرات في منعة دولة، وفي حماية قانون، وفي حراسة قضاء وشرطة، فليس المنهج هو التغيير الجزئي بأمر ونهي، بل التغيير الجذري بالنقض وإعادة البناء من الأساس.

- الإطار العملي المقترح لممارسة هذا الواجب:

لقد سبق أن هذا الواجب من الفرائض المضاعة في هذا العصر، وأن عزة الدين وصيانة حرمته رهن بإقامته على وجهه كما أمر الله؛ ولهذا استفاضت النصوص في التأكيد عليه، وبيان أنه القطب الأعظم في الدين، وأنه الدور الذي ابتعث الله به النبيين أجمعين.

ولا يخفى أن هذا الواجب يشمل الإنكار بصوره الثلاثة: الإنكار باليد، والإنكار باللسان، والإنكار بالقلب، ولا يمثل موضع النزاع -وهو التغيير باليد- إلا جزءاً من هذا الواجب، وهناك ما لا يختلف عليه من التغيير باللسان والتغيير بالقلب، فلا يجوز أن يصدّنا موضوع النزاع عن التأمل في مواضع الإجماع، أو يزهدنا الخلاف في جزء من هذا الواجب في النظر في هذا الواجب ابتداء، وكأنه فريضة قد نسخت من الدين.

والإطار المقترح لهذا الواجب في واقعنا المعاصر يتمثل فيما يأتي:

أولا: أن يبقى إنكار القلب كاملا، إذ ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأصل هذا أن يكون محبة الإنسان للمعروف وبغضه للمنكر، وإرادته لهذا، وكراهته لهذا موافقة لحب الله وبغضه، وإرادته وكراهته الشرعيين، وأن يكون فعله للوجوب، ودفعه للمكروه بحسب قوته وقدرته؛ فإن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها، وقد قال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. فأما حب القلب وبغضه وإرادته وكراهيته فينبغي أن تكون كاملة جازمة، لا يوجب نقص ذلك إلا نقص الإيمان، وأما فعل البدن فهو بحسب قدرته، ومتى كانت إرادة القلب وكراهته كاملة تامة، وفعل العبد معها بحسب قدرته فإنه يعطى ثواب الفاعل الكامل"(١).

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية: (٢٨/ ١٣١).

ثانيا: أن يستمرَّ الإنكار باللسان من أهل العلم، ومن العمة في الجليات ومواضع الإجماع، وليعلم أن مجرد الهيبة وحدها لا تسقط الإنكار؛ وذلك لما أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال في خطبة: "ألا لا يمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه" وبكى أبو سعيد وقال: قد والله رأينا أشياء فهبناها". وخرجه الإمام أحمد وزاد فيه: "فإنه لا يقرّب من أجل ولا يباعد من رزق، بأن يقال بحق أو يذكر بعظيم"(١).

كما أن الأذى الخفيف بمثل لوم ونحوه لا يسقط الأمر والنهي إجماعا، وقد نقلنا إجماع أهل العلم على ذلك، أما ما زاد على ذلك فرخصة وعزيمة، فإن تعدى الأذى إلى غيره تعين الكف عن الاحتساب.

ثالثا: أن الإنكار باليد من الآحاد مشروط بأن لا يؤدي إلى التقابل، وتحريك الفتنة بالمقاتلة، أو الأذى الذي يتعدى إلى الغير، أو الأذى الجسيم لمن لا يأنس في نفسه طاقة بتحمل البلاء.

رابعا: أن الغالب في الاحتساب باليد من قبل آحاد الرعية في أزمنة الاستضعاف وغربة الدين هو المفسدة، إلا فيما كان للإنسان فيه ولاية، أو كان مجمعا على رده في الشريعة والقانون؛ ولذلك فإن الأولى في هذه المرحلة هو الاكتفاء بالتغيير بالقلب وباللسان تفرغا لإشاعة العلم، واستفاضة البلاغ، وإقامة الحجة، وتربية القاعدة، وانقطاعا لمواجهة المنكر الأكبر الذي تفرعت عنه كل هذه المنكرات، وتألفا للعامة حتى تستقر في قلوبهم حقائق الإيمان، وتفويتا لمخططات الخصوم في تعميق الفجوة بينهم وبين التيار الإسلامي، وتصويرهم له على أنه نوع من الغلو في الدين، والانحراف في فهمه.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن: باب ما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة (٨١/٤) (ح٢١٩٨)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في كتاب الفتن: باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١٣٢٨/٢) (ح٤٠٠٧)، وأحمد (٥/٣، ١٩)، كلهم عن أبي سعيد الخدري.

خلاصة الفصل الثالث

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي الفريضة التي تمحورت حول إحيائها وتجديد رسومها بعضُ طوائف العمل الإسلامي المعاصر.

- وقد نازعهم جمهور العمل الإسلامي المعاصر في الأسلوب الذي يتم به أداؤهم لهذه الفريضة.

- والإطار العلمي للاختلاف في هذه القضية: أنه لا منازعة ابتداء في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنه من آكد الفرائض بعد الإيمان بالله، وإنما تقع المنازعة في الأسلوب الذي يتم به أداء هذه الفريضة من قبل هذه الجماعة، وتكاد تنحصر المنازعة في مسألة التغيير باليد، حيث ترى هذه الجماعة جواز التغيير باليد بالنسبة للأفراد.

- والحق إن عددًا من المفاسد يمكن أن يجرها التغيير باليد من قبل آحاد المنتسبين إلى العمل الإسلامي في واقعنا المعاصر منها:

١- استنفار العامة ضد العمل الإسلامي، وتصويره لهم على أنه نوع من الإرهاب والتطرف.

٢- التشويش على القضية الأصلية التي انتصب التيار الإسلامي لحملها وإقامتها في الأمة، وهي قضية التوحيد وتحكيم الشريعة.

٣- استنـــزاف وقت الدعاة في هذه المواجهات.

٤- اختلاط الدعوة في هذه المرحلة بحمية الجاهلية.

٥- تبديد الجهود وتفريغ الطاقات في هذه الأعمال الجزئية.

٦- مخالفة المعهود في سنة الدعوة، وذلك أن المنكر يجب أن تسقط حرمته من القلوب أولا.

٧- توتر الأجواء التي تدرج فيها الدعوة، وهذه المفاسد ليست على درجة واحدة.

- الإطار العملي المقترح لممارسة هذا في واقعنا المعاصر يتمثل فيما يأتي:

أولا: أن يبقى إنكار القلب كاملا.

ثانيا: أن يستمر الإنكار باللسان من أهل العلم، ومن العامة في الجليات ومواضع الإجماع، وليعلم أن مجرد الهيبة وحدها لا تسقط الإنكار.

ثالثا: أن الإنكار باليد من الآحاد مشروط بأن لا يؤدي إلى التقابل، وتحريك الفتنة بالمقاتلة، أو الأذى الذي يتعدى إلى الغير، أو الأذى الجسيم لمن لا يأنس في نفسه طاقة بتحمل البلاء.

رابعا: الأولى في هذه المرحلة هو الاكتفاء بالتغيير بالقلب وباللسان تفرغًا لإشاعة العلم، واستفاضة البلاغ، وإقامة الحجة، وتربية القاعدة، وانقطاعا لمواجهة المنكر الأكبر الذي تفرعت عنه كل هذه المنكرات.

اختبار الفصل الثالث

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (✗) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١- المجتمع الإسلامي يحتاج حاجة ماسة إلى من يقومون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢- من المفاسد التي تواجه من يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر تعرض المحتسب إلى ما لا يطيقه من البلاء.

٣- العاملون في مجال الدعوة ينبغي أن ينشغلوا بالأمور الجزئية عن الكلية.

٤- الإنكار بالقلب لا يفيد في الدعوة أو العمل الإسلامي.

٥- الإنكار باليد من الآحاد مشروط بألا يؤدي إلى تحريك الفتنة بالمقاتلة.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

١- إذا كان أداء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سوف يؤدى إلى تفويت معروف أكبر فإن حكمه في هذه الحالة هو:

أ- واجب. ب- جائز.

ج- مندوب. د- لا يجوز.

٢-فى حالة ما إذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سوف يؤدي إلى تحريك الفتنة بالمقاتلة فإن حكم الاحتساب في هذه الحالة هو:

أ- مندوب. ب- مكروه.

ج- لا يجوز إلا بأمر السلطان. د- حرام.

٣- في حالة تعرض المحتسب لما لا يطيقه من البلاء فإنه ينبغي عليه أن:

أ- يتحلى بفضيلة الصبر. ب- يترك الاحتساب ولا يعود إليه.

ج- يستخدم القوة والبطش. د- لا شيء مما سبق.

٤- يقول ابن رجب "من خشي الإقدام في الإنكار على الملوك أن يؤذي أهله وجيرانه ينبغي عليه آنئذ " أن:

أ- يستمر في إنكاره. ب- لا يتعرض لهم.

ج- يسارع في الإنكار لهم. د- لا شيء مما سبق.

ثالثاً: أسئلة متنوعة:

١- كثرة المنكرات لا تعني تجاوز الضوابط في الإنكار. تحاور مع بعض الدعاة حول هذا المعنى لوضع إطار علمي لتحقيقه.

٢- يرى بعض الدعاة أن جلب أي مفسدة يقتضي ترك الإنكار على فاعل المنكر. وترى أنت أن هذا الرأي قد جانب صاحبه الصواب؛ ولذا ستذهب لزيارته لمناقشته في هذا الرأي. اعرض وجهة نظره، ثم رد عليها بالأدلة.

٣- ضع استمارة استبيان عن طريق الحوار حول موضوع النموذج الأمثل للقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذا العصر.

٤- اكتب ملخصاً عن فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الدعوة إلى الله.

الفصل الرابع: فقه الأولويات في مسيرة الدعوة الإسلامية

الأهداف التعليمية للفصل:

عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذا الفصل أن تصبح قادراً على أن:

١- تحدد أهمية إدراك الداعية لفقه الأولويات لممارسة الدعوة الإسلامية.

٢- تعدّد الأدلة المرتبطة بأولوية تقديم العلم على العمل، وعدم الانهماك في العبادة والانصراف عن العلم، وضرورة أن يكون الداعية على قدر كبير العلم.

٣- تصنف عدداً من الدلائل المؤكدة على أن الإسلام قد أمر بالتيسير والتخفيف، مع التحقق من مدى تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان.

٤-تذكر أولوية العمل المتعدى النفع على العمل القاصر، وتفاضل بين العلم والعبادة أيهما أنفع لعباد الله، وأخدم لدينه.

٥- توضح أهمية التغيير التربوي في إصلاح الأمة أفراداً وجماعات.

٦- تعد مقالة تتناول أولوية وحدة المواقف السياسية لطوائف الدعاة لمواجهة أعداء الإسلام.

٧- تناقش في جلسة مع زملائك موضوع فقه الأولويات وأثره في مسيرة الدعوة الإسلامية.

الفصل الرابع: فقه الأولويات في مسيرة الدعوة الإسلامية(*)

إن فقه الأولويات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر يعني -فيما يعني من الناحية النظرية-: حسن إدراك القيم الشرعية ومراتبها بحسب التفاوت بينها، كما يعني من الناحية العملية: الإحاطة بما يحتاجه الواقع من الأعمال والممارسات، وتقديم ما حقه التقديم منها، وتأخير ما يلزم تأخيره، وألا يهوّل من أمر على حساب التوهين من غيره إلا بحق، فهو في الجملة العلم بالأحكام الشرعية التي لها حق التقدم على غيرها بناء على العلم بمراتبها، وبالواقع الذي يتطلبها.

ولعل من أبرز الأسباب التي دعت إلى ظهور ما يسمى بفقه الأولويات في مسيرة الدعوة إلى الله، اختلال ميزان مراتب الأعمال في موضوع الدعوة إلى الله، وذلك بتقديم النوافل على الفرائض، وفروض الكفايات على فروض الأعيان، والاهتمام ببعض النوافل والفرائض وإهمال ما فيها في الدعوة إليها، والتركيز عليها، ومن ذلك: الاشتغال بإنكار المكروهات، ومحاربة المشتبهات دون المحرمات المحققة، والفرائض المهدرة، أو مقاومة الصغائر وإغفال الكبائر، وغير ذلك مما يدل على اختلال في ميزان العلم بالشرع والواقع، وعن هذا ينشأ الاستغراق في التفصيلات والجزئيات، والانشغال عن الكليات، والعناية بالشكليات والرسوم دون الحقائق والأصول، وما يتبع هذا من تجاوز المضمون إلى الشعار، وما يترتب عليه عمليًّا من الاحتفاء بالظاهر في أعمال الدعوة عموما، واستعجال النتائج التي لا تأتي إلا بالعمل الجاد والمصابرة.

كما أن تجاوز الأولويات الدعوية يؤدي إلى الفصام بين العلم وأهله، والعمل الدعوي ورجاله، ومن ثم اتساع الفجوة بين الدعاة والعلماء، ومن هذا ينشأ كثيرًا اضطراب وخلل تارة في تحديد ما هو ثابت وما هو متغير في المسائل العلمية النظرية والعملية الواقعية، وتارة في تقدير المصالح والمفاسد في الوسائل

(*) استفيد هذا الفصل من كتاب أولويات الحركة الإسلامية، للدكتور يوسف القرضاوي.

والأساليب، والأعمال والممارسات التي تقوم بها الدعوة.

وستعرض في هذا الفصل للتذكير ببعض أولويات الدعوة إلى الله في هذا الزمان.

- من أولويات الدعوة إلى الله في الواقع المعاصر:

المطلب الأول: أولوية العلم على العمل:

من أهم الأولويات المعتبرة شرعًا: أولوية تقديم العلم على العمل، فالعلم يسبق العمل، وهو دليله ومرشده، وفي حديث معاذ: "**العلم إمام، والعمل تابعه**"[(١)].

ولهذا وضع الإمام البخاري بابا في كتاب العلم من جامعه الصحيح جعل عنوانه (**باب: العلم قبل القول والعمل**)، وقال شُرَّاحه: "أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبران إلا به، فهو متقدم عليهما، مصحح للنية المصححة للعمل. قالوا: فنبه البخاري على ذلك، حتى لا يسبق إلى الذهن -من قولهم: بأن العلم لا ينفع إلا بالعمل- تهوين أمر العلم، والتساهل في طلبه"[(٢)].

واحتج البخاري لما ذكره ببعض الآيات والأحاديث الدالّة على دعواه.

فمن الآيات قوله تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾ [محمد: ١٩]. فأمر رسوله بالعلم بالتوحيد أولا، ثم ثنّى بالاستغفار، وهو عمل، والخطاب وإن كان للنبي ﷺ فهو متناول لأمته.

ومنها: قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: ٢٨]، فالعلم هو الذي يورث الخشية الدافعة إلى العمل.

ومن الأحاديث: قوله ﷺ: "**من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين**"[(٣)]؛ لأنه

---

(١) رواه ابن عبد البر وغيره عن معاذ مرفوعًا وموقوفًا، والصواب وقفه.

(٢) فتح الباري، للحافظ ابن حجر (١٩٣/١).

(٣) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٣٥٧/١٣)(ح٧٣١٢)، ومسلم في كتاب الإمارة: باب قوله ﷺ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم (١٥٢٤/٣) (ح١٧٥)، كلاهما عن معاوية بن أبي سفيان.

إذا فته عمل، وأحسن ما عمل.

ومما يُستأنس به لتقديم العلم على العمل: أن أول ما نزل من القرآن: ﴿اقْرَأْ﴾، والقراءة مفتاح العلم، ثم نزل العمل في مثل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[المدثر:١-٤].

وإنما كان العلم مُقدّمًا على العمل؛ لأنه هو الذي يميز الحق من الباطل في الاعتقادات، والصواب من الخطأ في المقولات، والمسنون من المبتدع في العبادات، والصحيح من الفاسد في المعاملات، والحلال من الحرام في التصرفات، والفضيلة من الرذيلة في الأخلاق، والمقبول من المردود في المعايير، والراجح من المرجوح في الأقوال والأعمال.

ولهذا وجدْنا كثيرًا من المصنّفين من علمائنا السابقين: يبدأون مصنفاتهم بـ"كتاب العلم"، مثل ما صنع الإمام الغزالي في كتابيه: "إحياء علوم الدين"، و"منهاج العابدين"، وكذلك فعل الحافظ المنذري في كتابه "الترغيب والترهيب"، فبعد ذكر أحاديث في النية والإخلاص واتباع الكتاب والسنّة – بدأ بكتاب "العلم".

وفقه الأولويات الذي نتحدث عنه مبناه ومداره على العلم؛ فبه نعرف ما حقه أن يُقدّم، وما شأنه أن يُؤخّر، وبدون هذا العلم نخبط خبط عشواء.

وما أصدق ما قاله الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز: "من عمل في غير علم كان ما يُفسد أكثر مما يُصلح"[1].

وهذا واضح في بعض الفئات من المسلمين، الذين لم تكن تنقصهم التقوى أو الإخلاص والحماس، وإنما كان ينقصهم العلم والفهم بمقاصد الشرع، وحقائق الدين.

---

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الأدب: باب ما جاء في قول الرجل: ويلك (١٠/٦٠٦) (ح٦١٦٣)، ومسلم في كتاب الزكاة: باب ذكر الخوارج وصفاقم (٢/٧٤٤)(ح١٤٨)، كلاهما عن أبي سعيد الخدري.

وهذا ما وُصِف بــه الخوارج الذين قاتلوا عليّ بن أبي طالب ﷺ، على فضله ومكانته في نُصرة الإسلام، وقُربه من رسول الله نسبًا وصهرًا وحبًّا، واستحلوا دمه ودماء من سواه من المسلمين، يتقربون بذلك إلى الله.!

وهؤلاء امتداد لمن اعترض على قسمة رسول الله ﷺ بعض الأموال، فقال له بجلافة وجهالة: اعدل.! فقال: "**ويلك! ومَن يعدل إذا لم أعدل؟ قد خبْتُ إذن وخَسِرْتُ إن لم أكن أعدل**"[(١)]!.

وفي رواية: أن هذا الجلف الجافي قال له: يا رسول الله، اتق الله! قال: "**أوَلستُ أحق أهل الأرض أن يتقي الله**"[(٢)]!.

لم يفقه هذا ومثله سياسة تأليف القلوب، وما تجلبه من مصالح عظيمة للأُمة، وقد شرعها الله في كتابه، وأجاز الصرف فيها من الصدقات، فكيف من الغنائم والفيء؟

ولما سأل بعض الصحابة قتل هذا المتطاول منعه الرسول الكريم، وحذّر من ظهور طائفة على شاكلته وصفهم بقوله: "تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية"[(٣)].

ومعنى "لا يجاوز حناجرهم": لا تفقهه قلوبهم، ولا تستضيء به عقولهم، ولا ينتفعون بما تَلوْا منه، رغم كثرة الصلاة والصيام.

---

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب المغازي: باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الواليد إلى اليمن قبل حجة الوداع (٨٤/٨)(ح٤٣٥١)، ومسلم في كتاب الزكاة: باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٧٤٢/٢)(ح١٤٤)، كلاهما عن أبي سعيد الخدري.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٣١/١)(ح١٣٢)، وهو أثر صحيح.

(٣) هو جزء من الحديث السابق.

ومما وصفهم به كذلك: أنهم "يقتلون أهل الإسلام، ويدَعُون أهل الأوثان"(١).

فآفة هؤلاء ليست في ضمائرهم ولا نيَّاتهم، بل في عقولهم وأفهامهم؛ ولهذا وُصفوا في حديث آخر بأنهم: **"حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام"**(٢).

وإنما أُتيَ هؤلاء من قِلَّة العلم، ونقص الفقه، فلم ينتفعوا بكتاب الله، مع أنهم يتلونه رطبًا، لكنها تلاوة بلا فقه، وربما فقهوه فقها أعوج، يناقض ما أراده الله تعالى.

ولهذا حذّر الإمام الجليل الحسن البصري من الإيغال في التعبد والعمل، قبل التحصن بالعلم والتفقه، وقال في ذلك كلمته البليغة المعبرة: "العامل على غير علم كالسالك على غير طريق، والعامل على غير علم يُفسد أكثر مما يُصلح، فاطلبوا العلم طلبًا لا يضرّ بلعبادة، واطلبوا العبدة طلبا لا يضر بالعلم، فإن قوما طلبوا العبادة، وتركوا العلم، حتى خرجوا بأسيافهم على أُمة محمد ﷺ: ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا"(٣).

- العلم شرط في كل عمل قيادي (سياسي أو عسكري أو قضائي):

ومن هنا كان العلم شرطًا في كل عمل قيادي، سواء أكان عملاً سياسيًّا إداريا، مثل عمل يوسف عليه السلام الذي قال له ملك مصر: ﴿**إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾[يوسف:٥٤-٥٥]، فأشار إلى

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الأنبياء: باب قوله تعالى: "**وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً**" (٦/ ٤٥٨) (ح٣٣٤٤)، معلّقاً، ومسلم في كتاب الزكاة: باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٢/٧٤١) (ح١٤٣)، كلاهما عن أبي سعيد الخدري.

(٢) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الاستتابة: باب قتل الخوارج والملحد بن بعد إقامة الحجة عليهم (١٢/٣٤٣) (ح٦٩٣٠)، عن علي.

(٣) نقله ابن القيم في" مفتاح دار السعادة" (ص ٨٢).

مؤهلاته الخاصة التي ترشحه لهذا العمل الكبير الذي كان يشمل المالية والاقتصاد والتخطيط والزراعة والتموين، في ذلك الحين. وقوام هذه المؤهلات أمران: الحفظ: "وهو يعني الأمانة"، والعلم: ويراد بالعلم هنا: "الخبرة به والكفاية فيه".

وهذا يوافق ما جاء على لسان ابنة الشيخ الكبير في سورة القصص: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

أم كان العمل عسكريًا: كما قال تعالى في تعليل اختيار طالوت ملكًا على أولئك الملأ من بني إسرائيل: ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

أم كان هذا العمل قضائيًا: حتى إنهم اشترطوا في القاضي -كما اشترطوا في الخليفة- أن يكون مجتهدًا، فلم يكتفوا في مثله أن يكون عالما مقلّدًا لغيره؛ لأن الأصل في العلم هو معرفة الحق بدليله، دون التزام بموافقة زيد أو عمرو من الناس، أما من قلد غيره من البشر من غير أن تكون له حجة، أو كانت له حجة واهية غير ناهضة فليس هذا من العلم في شيء.

وإنما قبلوا قضاء المقلد، مثلما قبلوا ولاية من لا فقه له للضرورة غير أن هناك حدًّا أدنى من العلم لابد أن يكون لديه، وإلا قضى على جهل فكان من أهل النار.

وفي الحديث الذي رواه بريدة عن رسول الله ﷺ أنه قال: **"القضاة ثلاثة: اثنان في النار، وواحد في الجنة، رجل عَلِمَ الحق فقضى به: فهو في الجنة، ورجل قضى للناس على جهل: فهو في النار، ورجل عرف الحق فجار في الحكم: فهو في النار"**(١).

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الأحكام: باب ما جاء عن رسول الله ﷺ في القاضي (٣/٦١) (ح١٣٢٧)، وأبو داود في كتاب الأقضية: باب في القاضي يخطئ (٣/٢٩٧)(ح٣٥٧٣)، وابن ماجه في كتاب الأحكام: باب الحاكم يجتهد فيصيب الحقّ (٢/٧٧٦)(ح٢٣١٥)، وهو حديث صحيح، انظر صحيح الجامع للألباني (ح٤٤٤٦).

ضرورة العلم للداعية والمعلّم:

وإذا كان العلم مطلوبا للقضاء والفتوى، فهو مطلوب كذلك للدعوة والتربية. فقد قال الله تعالى لرسوله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

فكل داع إلى الله -من أتباع محمد ﷺ- يجب أن تكون دعوته على بصيرة. ومعنى هذا: أن يكون على بينة من دعوته، ومعرفة مستبصرة بما يدعو إليه. فيعلم: إلام يدعو؟ ومن يدعو؟ وكيف يدعو؟

ولهذا قالوا عن الرباني: هو الذي يَعْلَم ويعمل ويُعلِّم. وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، وفسَّر ابن عباس الربانيين فقال: "حكماء فقهاء"[١].

ويقال: الربَّاني: الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره.

قالوا: والمراد بصغار العلم: ما وضح من مسائله، وبكباره: ما دقَّ منها.

وقيل: يعلمهم جزئياته قبل كلياته، أو فروعه قبل أُصوله، أو مقدماته قبل نتائجه[٢].

والمقصود هو: التدرج في التعليم، ومراعاة ظروف المتعلمين، وقدراتهم، والترقي بهم من درجة إلى أخرى.

ومما يوجبه العلم في مقام الدعوة والتعليم: أن يأخذ الداعية والمعلّم الناس بالتيسير لا التعسير، وبالتبشير لا التنفير، كما في الحديث المتفق عليه: "**يَسِّروا ولا تُعَسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنفِّروا**"[٣].

---

(١) ذكره البخاري معلّقًا في كتاب العلم من صحيحه. وقال الحافظ في الفتح: "وصله ابن أبي عاصم بإسناد حسن، والخطيب بإسناد آخر حسن" (١/ ١٦١).

(٢) الفتح: (١/ ١٦٢).

(٣) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب العلم: باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا (١/٢٠٤) (ح٦٩)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير: باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير (١٣٥٩/٣)(ح٨)، كلاهما عن أنس.

قال الحافظ في شرح الحديث: "المراد تأليف من قرب إسلامه، وترك التشديد عليه في الابتداء، وكذلك الزجر على المعاصي، ينبغي أن يكون بالتدريج؛ لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلا، حُبِّبَ إلى من يدخل فيه، وتلقاه بانبساط، وكانت عاقبته غالبا الازدياد، بخلاف ضده"[1].

وليس التيسير مقصورًا على قريب العهد بالإسلام، كما قد يُفهم من كلام الحافظ، بل هو أمر عام ودائم، ولكنه ألزم ما يكون لحديث العهد بالإسلام، أو بالتوبة، أو بكل من يحتاج إلى التخفيف من مريض أو كبير سن أو ذي حاجة.

ومن مقتضيات العلم: أن يجرعوا من المعارف الدينية ما يطيقونه، وتسيغه معدتهم العقلية، ولا يُحدَّثوا بما تنكره عقولهم، فيكون ذلك فتنة عليهم أو على بعضهم.

وفي هذا يقول علي ﷺ: "حدِّثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون: أتريدون أن يُكذَّب الله ورسوله؟"[2].

ويقول ابن مسعود ﷺ: "ما أنت بمحدِّث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة"[3].

المطلب الثاني: أولوية التخفيف والتيسير

ومن الأولويات المطلوبة هنا -وخصوصا في مجال الدعوة-: تقديم التخفيف والتيسير على التشديد والتعسير.

فقد دلت النصوص من الكتاب والسُّنَّة على أن التيسير والتخفيف أحبُّ إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ.

---

(١) فتح الباري: (١/ ١٦٣).

(٢) أخرجه مسلم في المقدمة (١/١١).

(٣) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب العلم: باب من خصَّ بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا (١/٢٢٥) (ح١٢٧).

يقول الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[البقرة:١٨٥].

ويقول سبحانه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً﴾[النساء: ٢٨].

ويقول ﷻ: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٦]

ويقول الرسول ﷺ: **"خير دينكم أيسره"**[١] **"أحب الأديان إلى الله الحنيفية السمحة"**[٢].

وتقول عائشة –رضي الله عنها– ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين، إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما، فإذا كان إثما كان أبعد الناس عنه[٣].

ويقول ﷺ: **"إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته"**[٤].

ويتأكد ترجيح الرخصة واختيار التيسير: إذا ظهرت الحاجة إليها؛ لضعف أو مرض أو شيخوخة، أو لشدة مشقة، أو غير ذلك من المرجحات.

روى جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ في سفر، فرأى زحاما ورجلا قد ظُلِّل عليه، فقال: **"ما هذا"**؟ فقالوا: صائم، فقال: **"ليس من البر الصيام في السفر"**[٥]. يعني: في مثل هذا السفر الشاق.

أما إذا لم يكن في السفر مثل هذه المشقة فيجوز له أن يصوم، بدليل ما

---

(١) أخرجه أحمد (٣٣٨/٤)، عن محجن، وهو حديث صحيح، انظر فتح الباري: (١١٨/١).

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٦/١)، عن ابن عباس، وهو حديث ضعيف.

(٣) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتب الأدب: باب قول النبي ﷺ: يسروا ولا تعسروا (١٠/ ٦٣٣) (ح٦١٢٣)، ومسلم في كتاب الفضائل: باب مباعدته ﷺ للأنام (٨١٣/٤)(ح٧٧)، كلاهما من حديث طويل.

(٤) أخرجه أحمد (١٠٨/٢)، عن ابن عمر، وهو حديث حسن.

(٥) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الصوم: باب قول النبي ﷺ لمن ظلل عليه و شتد الحر (٤/ ٢٢٦)(ح١٩٤٦)، ومسلم في كتاب الصيام: باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية (٧٨٦/٢) (ح٩٢).

روته عائشة: أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال للنبي ﷺ: أأصوم في السفر؟ - وكان كثير الصيام- فقال: "**إن شئت فصم، وإن شئت فأفطر**"(١).

وكان الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز يقول بشأن الصوم والفطر للمسافر، واختلاف الفقهاء: أيهما أفضل، كان يقول: "أفضلهما أيسرهما عليه"(٢). وهذا قول مقبول، فمن الناس من يكون الصوم مع السفر أهون عليه من أن يقضي بعد ذلك والناس مفطرون، وغيره بعكسه، فما كان أيسر عليه فهو الأفضل في حقه.

ودعا ﷺ إلى تعجيل الفطور وتأخير السحور، تيسيرا على الصائم.

ونجد كثيرًا من الفقهاء في بعض الأحكام التي تختلف فيها الأنظار: يرجّحون منها ما يكون أيسر على الناس، وخصوصا في أبواب المعاملات، وقد اشتهرت عنهم هذه العبارة: هذا القول أرفق بالناس؛ اتباعا للمنهج النبوي الكريم، فقد بَعَثَ ﷺ أبا موسى ومعاذا إلى اليمن وأوصاهما بقوله: "**يَسِّرا ولا تُعَسِّرا وبَشِّرا ولا تُنَفِّرا، وتطاوعا**"(٣).

وفي حديث: "**يَسِّروا ولا تُعَسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنَفِّروا**"(٤).

وعصرنا أكثر من غيره حاجة إلى إشاعة التيسير على الناس بدل التعسير، والتبشير بدل التنفير. ولاسيما من كان حديث عهد بإسلام، أو كان حديث عهد بتوبة.

---

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الصوم: باب الصوم في السفر والإفطار (٤/٢٢٠) (ح ١٩٤٣)، ومسلم في كتاب الصيام: باب التخيير في الصوم والفطر في السفر (٢/٧٨٩) (ح١٠٣).

(٢) انظر "الترغيب والترهيب" (٢/٨٨).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

وهذا واضح تمام الوضوح في هَدْي النبي ﷺ في تعليمه الإسلام لمن يدخل فيه، فهو لا يُكثِّر عليه الواجبات، ولا يُثقله بكثرة الأوامر والنواهي، وإذا سأله عما يطلبه الإسلام منه، اكتفى بتعريفه بالفرائض الأساسية، و لم يغرقه بالنوافل، فإذا قال له الرجل: لا أزيد على هذا ولا أنقص منه، قال: "**أفلح إن صدق**"، أو "**دخل الجنة إن صدق**"[1].

بل رأيناه ﷺ يُشدِّد النكير على من يُشدِّد على الناس، ولا يراعي ظروفهم المختلفة، كما فعل مع بعض الصحابة الذين كانوا يؤمون الناس، ويُطيلون في الصلاة طولا اشتكى منه بعض مأموميهم.

فقد أنكر على معاذ بن جبل تطويله، وقال له: "**أفتَّان أنت يا معاذ؟ أفتَّان أنت يا معاذ؟ أفتَّان أنت يا معاذ**"[2].

وعن أبي مسعود الأنصاري: أن رجلا قال: والله يا رسول الله، إني لأتأخر عن صلاة الغداة - الصبح - من أجل فلان، مما يطيل بنا فما رأيت رسول الله ﷺ في موعظة أشدّ غضبا منه يومئذ ثم قال: "**إن منكم منفرين، فأيكم ما صلّى بالناس، فليتجوز؛ فإن فيهم الضعيف، والكبير، وذا الحاجة**"[3].

وقد ذكرتْ بعض الروايات أن هذ الذي طوَّل بالناس كان أُبَيّ بن كعب،

---

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الصوم: باب وجوب صوم رمضان (١٢٧/٤) (ح١٨٩١)، ومسلم في كتاب الإيمان: باب بيان الصلوات التي هي أركان الإسلام (٤٠/١)(ح٨)، كلاهما عن طلحة بن عبيد الله.

(٢) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الأذان: باب إذا طوّل الإمام وكان للرجل حاجة فخرج فصلّى (٢٣٨/٢) (ح٧٠١)، ومسلم في كتاب الصلاة: باب القراءة في العشاء (٣٣٩/١)(ح١٧٨)، كلاهما عن جابر.

(٣) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الأذان: باب تخفيف الإمام في القيام (٢٤٤/٢) (ح٧٠٢)، ومسلم في كتاب الصلاة: باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام (٣٤٠/١) (ح١٨٢).

وهو من هو علما وفضلا، وأحد الذين جمعوا القرآن، ولكن هذا لم يمنع أن ينكر النبي عليه، كما أنكر على معاذ، برغم حبه له وثنائه عليه.

ويقول خادمه وصاحبه أنس: ما صليتُ وراء إمام قط أخف صلاة، ولا أتم صلاة من النبي ﷺ، وإن كان ليسمع بكاء الصبي فيخفف مخافة أن تُفتن أُمه[(١)].

وعنه أنه ﷺ قال: "**إني لأدخل في الصلاة، وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوّز في صلاتي، مما أعلم من شدة وجد أُمه من بكائه**"[(٢)].

ويروي عنه أبو هريرة قوله: "**إذا صلى أحدكم للناس فليخفف، فإن فيهم السقيم، والضعيف والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء**"[(٣)].

وكان النبي ﷺ أشد ما يكون إنكارًا للتشديد إذا كوَّن اتجاها، وتبناه جماعة ولم يكن مجرد نـــزعة فردية عارضة، وهذا ما نلاحظه في إنكاره على الثلاثة الذين اتخذوا خطًّا في التعبد غير خطه، وإن كانوا لا يريدون إلا الخير ومزيد التقرب إلى الله تعالى.

فعن أنس ﷺ قال: "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ وقد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدًا. وقال آخر: وأنا أصوم ولا أفطر. وقال آخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا. فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: "**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله**

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الآذان: باب مَنْ أخَفَّ الصلاة عند بكاء الصبي (٢٤٨/٢) (ح ٧٠٨)، ومسلم في كتاب الصلاة: باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام (٣٤٢/١) (ح١٨٨).

(٢) أخرجه البخاري في الموضع السابق: (٧٠٩)، ومسلم أيضًا في الموضع السابق: (ح١٩٢).

(٣) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الأذان: باب إذا صلى لنفسه فليطول ما شاء (٢٤٥/٢) (ح ٧٠٣)، ومسلم في كتاب الصلاة: باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام (٣٤١/١)(ح١٨٣-١٨٤).

وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سُنَّتي فليس مني"[١].

وعن ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: "**هلك المتنطعون**" قالها ثلاثًا[٢].

المتنطعون: المتعمقون المشدِّدون في غير موضع التشديد.

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "**إن الدين يسر، ولن يشادّ الدين أحد إلا غلبه، فسدِّدوا، وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة، وشيء من الدُّلجة**"[٣]. رواه البخاري، وفي رواية له: "**سدِّدوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيء من الدلجة، القصد القصد تبلغوا**"[٤].

وقوله ﷺ: "**إلا غلبه**": أي: غلبه الدِّين، وعجز ذلك المشادّ عن مقاومة الدين لكثرة طرقه، "**الغدوة**": سير أول النهار. "**والروحة**": آخر النهار. "**والدلجة**": آخر الليل. وهذا استعارة وتمثيل، ومعناه: استعينوا على طاعة الله ﷻ بالأعمال في وقت نشاطكم وفراغ قلوبكم، بحيث تستلذون العبادة ولا تسأمون، وتبلغون مقصودكم؛ كما أن المسافر الحذق يسير في هذه الأوقات، ويستريح هو ودابته في غيرها فيصل إلى المقصود بغير تعب، والله أعلم.

الاعتراف بالضرورات الطارئة:

ومن التيسير المطلوب هنا: الاعتراف بالضرورات التي تطرأ في حياة الناس، سواء أكانت ضرورات فردية أم جماعية، فقد جعلت الشريعة لهذه الضرورات

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الإيمان: باب الدين يسر (١/١١٨)(ح٣٩).

(٤) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الرقاق: باب القصد والمداومة على العمل (١١/٣٤٤) (ح٦٤٦٣).

أحكامها الخاصة، وأباحت بها ما كان محظورًا في حالة الاختيار من الأطعمة والأشربة، والملبوسات والعقود والمعاملات، وأكثر من ذلك أنها نـزلت الحاجة في بعض الأحيان - خاصة كانت أو عامة - منـزلة الضرورة أيضا؛ تيسيرا على الأمة، ودفعا للحرج عنها.

والأصل في ذلك ما جاء في القرآن الكريم عقب ذكر الأطعمة المحرَّمة في أربعة مواضع من القرآن الكريم رُفِعَ فيها الإثم عن متناولها مضطرا غير بـاغ ولا عـاد: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

وما جاء في السُّنَّة بعد تحريم لبس الحرير على الرجال: أن عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام شكوا إلى النبي ﷺ من حكة بهما فأذن لهما بلبسه تقديرا لهذه الحاجة(١).

تغيير الفتوى بتغير الزمان والمكان:

ومن التيسير المطلوب هنا أيضا: ضرورة الاعتراف بالتغير الذي يطرأ على الناس سواء أكان سببه فساد الزمان كما يُعبِّر الفقهاء، أم تطور المجتمع، أم نـزول ضرورات به، ومن ثَمَّ أجاز فقهاء الشريعة تغيير الفتوى بتغير الأزمان والأمكنة، والأعراف والأحوال، مستدلين في ذلك بِهَدْي الصحابة وعمل الخلفاء الراشدين الذين أمرنا النبي ﷺ أن نهتدي بسُنَّتهم، ونعض عليها بالنواجذ، بل هو ما دلَّت عليه السُّنَّة النبوية(٢)، وقبلها القرآن الكريم.

---

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب اللباس: باب ما يرخص للرجال من الحرير للحكة (١٠٣٥٧) (ح٥٨٣٩)، ومسلم في كتاب اللباس: باب إباحة لُبس الحرير للرجل إذا كان به حكّة أو نحوها (١٦٤٦/٣) (ح٢٥)، كلاهما عن أنس.

(٢) سبق ذكر الأحاديث الدالّة على ذلك.

وهذا ما يوجب علينا في هذا العصر أن نعيد النظر في أقوال قيلت، وآراء اتخذت في أعصار سابقة، ربما كانت ملائمة لتلك الأزمنة وتلك الأوضاع، ولكنها لم تعد ملائمة لهذا العصر بما فيه من مستجدات هائلة، لم تكن لتخطر للسابقين على بال، والقول بها اليوم يسيء إلى الإسلام وإلى أُمته، ويُشوِّه وجه دعوته.

مراعاة سُنَّة التدرج:

ومن التيسير المطلوب هنا: مراعاة سُنَّة التدرج، جريا على سُنَّة الله تعالى في عالم الخلق، وعالم الأمر، واتباعا لمنهج التشريع الإسلامي في فرض الفرائض من الصلاة والصيام وغيرهما، وفي تحريم المحرَّمات كذلك.

ولعل أوضح مثل معروف في ذلك هو تحريم الخمر على مراحل معروفة في تاريخ التشريع الإسلامي، لا يجهلها دارس.

ولعل رعاية الإسلام للتدرج هي التي جعلته يُبقي على "نظام الرِّق" الذى كان نظاما سائدًا في العالم كله عند ظهور الإسلام، وكان إلغاؤه يؤدي إلى زلزلة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، فكانت الحكمة في تضييق روافده، بل ردمها كلها ما وُجدَ إلى ذلك سبيل، وتوسيع مصارفه إلى أقصى حد، فيكون ذلك بمثابة إلغاء للرق بطريق التدرج.

وهذه السُّنَّة الإلهية في رعاية التدرج ينبغي أن تُتبع في سياسة الناس عندما يُراد تطبيق نظام الإسلام في الحياةِ اليومَ، بعد عصر الغزو الثقافي والتشريعي والاجتماعي للحياة الإسلامية.

فإذا أردنا أن نُقيم مجتمعا إسلاميا حقيقيا فلا نتوهم أن ذلك يتحقق بجرَّة قلم، أو بقرار يصدر من ملك أو رئيس، أو مجلس قيادة أو برلمان.

إنما يتحقق ذلك بطريق التدرج. أعني بالإعداد والتهيئة الفكرية والنفسية، والأخلاقية والاجتماعية، وإيجاد البدائل الشرعية للأوضاع المحرمه التي قامت

عليها مؤسسات عدة لأزمنة طويلة.

ولا نعني بالتدرج هنا: مجرد التسويف وتأجيل التنفيذ، واتخاذ كلمة التدرج تكأة لتمويت فكرة المطالبة الشعبية الملحة بإقامة حكم الله، وتطبيق شرعه، بل نعني بها: تعيين الهدف، ووضع الخطة، وتحديد المراحل بوعي وصدق، بحيث تسلم كل مرحلة إلى ما بعدها بالتخطيط والتنظيم والتصميم، حتى تصل المسيرة إلى المرحلة المنشودة والأخيرة التي فيها قيام الإسلام -كل الإسلام.

وهو نفس المنهاج الذي سلكه النبي ﷺ لتغيير الحياة الجاهلية إلى حياة إسلامية.

ومن المواقف التي لها مغزى: ما رواه المؤرخون عن عمر بن عبد العزيز - الذي يعده علماء المسلمين خامس الخلفاء الراشدين، وثاني العمرين؛ لأنه سار على نهج جدّه الفاروق عمر بن الخطاب-: أن ابنه عبد الملك - وكان شابا تقيا متحمسا - قال له يوما: يا أبت! ما لك لا تنفذ الأمور؟ فوالله ما أُبالي لو أن القدور غلت بي وبك في الحق.

يريد الشاب التقي الغيور من أبيه -وقد ولاه الله إمارة المؤمنين- أن يقضي على المظالم، وآثار الفساد، والانحراف دفعة واحدة، دون تريث ولا أناة، وليكن بعد ذلك ما يكون!

ولكن الأب الراشد قال لابنه: "لا تعجل يا بني؛ فإن الله ذمَّ الخمر في القرآن مرتين، وحرَّمها في الثالثة، وإني أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة، فَيَدَعُوه جملة، ويكون من ذا فتنة"[1].

يريد الخليفة الراشد أن يعالج الأمور بحكمة وتدرج، مهتديا بسُنَّة الله تعالى في تحريم الخمر، فهو يجرعهم الحق جرعة جرعة، ويمضي بهم إلى المنهج

(١) انظر: الموافقات للشاطبي: (٢/ ٩٤).

المنشود خطوة خطوة، وهذا هو الفقه الصحيح.

المطلب الثالث: أولوية العمل المتعدي النفع على القاصر

ومن فقه الأولويات في ترجيح العمل: أن يكون أكثر نفعًا من غيره، وعلى قدر نفعه للآخرين يكون فضله وأجره عند الله؛ ولهذا كان جنس أعمال الجهاد أفضل من جنس أعمال الحج؛ لأن نفع الحج لصاحبه، ونفع الجهاد للأُمة، وفي هذا جاء قول الله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [التوبة: ٢٠].

وكان الجهاد في سبيل الله أفضل عند الله وأعظم أجرًا من الانقطاع للعبادة، مرات ومرات.

قال أبو هريرة: مرَّ رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بشعْب فيه عيينة - عين صغيرة من ماء عذبة- فأعجبته، فقال لو اعتزلتُ الناس فأقمتُ في هذا الشعْب؟! -أي: لعبادة- ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله ﷺ. فذكر ذلك لرسول الله، فقال: "**لا تفعل، فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاما، ألا تحبون أن يغفر الله لكم، ويُدخلكم الجنة؟ اغزوا في سبيل الله، من قاتل في سبيل الله فواقَ ناقة، وجبت له الجنة**"(١).

وفواق الناقة: ما بين رفع يدك عن ضرعها وقت الحلب ووضعها.

ومن هنا جاء تفضيل العلم على العبادة في جملة أحاديث؛ لأن منفعة العبادة للعابد، ومنفعة العلم للناس، ومن هذه الأحاديث:

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب فضائل الجهاد: باب ما جاء في فضل الغدوّ والرواح في سبيل الله (٣/٢٤٥) (ح١٦٥٦)، وقال: هذا حديث حسن، وأحمد (٢/٥٢٤).

"فضل العلم أحب إليَّ من فضل العبادة، وخير دينكم الورع"(١).

"فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب"(٢).

"فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم"(٣).

ويزداد فضل العلم إذا علَّمه صاحبه لغيره، وتكملة الحديث السابق:

"إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت ليُصلُّون على مُعلِّم الناس الخير"(٤).

وفي الصحيح: "خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه"(٥).

ومن هنا قرر الفقهاء: أن المتفرغ للعبادة لا يأخذ من الزكاة، بخلاف المتفرغ للعلم؛ لأنه لا رهبانية في الإسلام؛ ولأن تفرغ المتعبد لنفسه، وتفرغ طالب العلم لمصلحة الأمة.

وعلى قدر من ينتفع بعلمه ودعوته يكون أجره ومثوبته. يقول ﷺ: "من دعا

---

(١) أخرجه الحاكم في كتاب العلم: باب فضل العلم أحب من فضل العبادة (٩٢/١)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وابن أبي شيبة في كتاب الأدب: باب ما جاء في طلب العلم وتعليمه (٥٤٠/٨) (ح٦١٦٦).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب العلم: باب الحثّ على طلب العلم (٣١٦/٣)(ح٣٦٤١)، وابن ماجه في المقدمة: باب فضل العلماء والحثّ على طلب العلم (٨١/١) (ح٢٢٣)، والترمذي في كتاب العلم: باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٣١٢/٤)(ح٢٦٩١)، والدارمي في المقدمة: باب في فضل العلم والعالم (١١٠/١)(ح٣٤٢)، كلهم عن أبي الدرداء، من حديث طويل، وهو حديث صحيح انظر صحيح الجامع (ح٤٢١٢).

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب العلم: باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٣١٣/٤) (ح٢٦٩٤)، وقال: هذا حديث حسن، عن أبي أمامة.

(٤) انظر التخريج السابق.

(٥) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب فضائل القرآن: باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه (٩/ ٨٩)(ح٥٠٢٧)، عن عثمان.

إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص من أجورهم شيء"[1].

وهكذا يكون العمل الأفضل -ما كان أكثر نفعا للآخرين.

وجاء في الحديث: "أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله ﷻ: سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا، ولأن أمشيَ مع أخي المسلم في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في المسجد شهرا"[2].

وهكذا كان كل عمل يتعلق بإصلاح المجتمع ونفعه أفضل من العمل المقصور النفع على صاحبه، وفي هذا قال ﷺ: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة؟ إصلاح ذات البَيْن، فإن فساد ذات البين هي الحالقة"[3]. ويروى: "لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين"[4].

ومن هنا جاء فضل عمل الإمام العادل على عبادة غيره: عشرات السنين؛ لأنه في اليوم الواحد، قد يصدر من القرارات ما ينصف آلاف المظلومين أو ملايينهم، ويرد الحق الضائع إلى أهله، ويعيد البسمة إلى شفاه حُرِمت منها، وقد يصدر من العقوبات ما يقطع سبيل المجرمين، ويستأصل شأفَتهم، أو يفتح لهم باب الهداية والتوبة.

وقد يهيئ للناس من الأسباب، ويفتح لهم من الأبواب: ما يرد الشاردين

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب العلم: باب من سَنَّ سنة حسنة أو سيئة (٤/٢٠٦٠)(ح١٦)، عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: (١٢/٤٥٣)(ح١٣٦٤٦)، وفي الصغير (٢/٣٥)، وهو حديث ضعيف جدًّا، انظر، سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/٦٠٩).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب: باب في إصلاح ذات البين (٤/٢٨٢)(ح٤٩١٩)، وأحمد (٦/٤٤٥)، والترمذي في كتاب صفة القيامة: باب ما جاء في صفة أواني الحوض (٤/٢٢٨)(ح٢٥١٦)، وقال: هذا حديث صحيح، كلهم عن أبي الدرداء، وهو حديث صحيح، صحيح الجامع: (ح٢٥٩٥).

(٤) أورده الترمذي في الموضع السابق ضمن الحديث السابق.

إلى الله، ويهدي الضالين إلى طريقه، ويعين المنحرفين على الاستقامة.

وقد يقيم من المشروعات البناءة والنافعة ما يساعد على إيجاد عمل لكل عاطل، وطعام لكل جائع، ودواء لكل مريض، وبيت لكل مشرّد، وكفاية لكل محتاج.

وهذا ما جعل كثيرا من علماء السلف يقولون: لو كانت لنا دعوة مستجابة لدعوناها للسلطان، فإن الله يصلح بصلاحه خلقا كثيرا.

ومن هنا روى الطبراني عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: **"يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة"** وحسّن إسناده المنذري في "الترغيب والترهيب"[1].

وخالفه الهيثمي في ذلك[2]، ولكن يؤيده حديث الترمذي عن أبي سعيد: **"إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلسا: إمام عادل"**، وقال الترمذي: حسن غريب[3]. كما يقويه حديث أبي هريرة الذي رواه أحمد وابن ماجه وحسنه الترمذي، وصححه ابن خزيمة وابن حبان: **"ثلاثة لا تُرَد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم"**[4]. وحديثه في الصحيحين: **"سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل..."**[5] الحديث.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير: (١١/٣٣٧)، وفي الأوسط (ح٢١٧)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب: (٣/١١٧)، إسناد الكبير حسن.

(٢) انظر: مجمع الزوائد: (٥/١٩٧)، (٦/٢٦٣) "رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه سعد أبو غيلان الشيباني لم أعرفه وبقية رجاله ثقات"

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الأحكام: باب ما جاء في الإمام العادل (٣/٦٣)(ح١٣٣٤).

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات: باب في العفو والعافية (٥/٣٤٣)(ح٣٦٠٩)، وقال: هذا حديث حسن، وابن ماجه في كتاب الصيام: باب في الصائم لا ترد دعوته (١/٥٥٧)(ح١٧٥٢)، وأحمد (٢/٣٠٥).

(٥) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب الأذان: باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، وفضل المساجد (٢/١٧٧) (ح٦٦٠)، ومسلم في كتاب الزكاة: باب فضل إخفاء الصدقة (٢/٧١٥) (ح ٩١)، كلاهما عن أبي هريرة.

المطلب الرابع: التغيير التربوي قبل التغيير العام:

ومن الأولويات المهمة في مجال لإصلاح: العناية ببناء الفرد قبل بناء المجتمع، أو بتغيير الأنفس قبل تغيير الأظمة والمؤسسات، والأفضل أن نستخدم التعبير القرآني وهو تغيير ما بالأنفس: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾ [الرعد: ١١]، فهذا أساس كل إصلاح أو تغيير أو بناء اجتماعي: البداءة بالفرد، فهو أساس البناء كله؛ إذ لا أمل في إقامة بناء سليم متين، إذا كانت لبناته واهية أو فاسدة.

والإنسان الفرد هو اللبنة الأولى في جدار المجتمع؛ ولهذا كان كل جهد يبذل لتكوين الإنسان المسلم الحق، وتربيته تربية إسلامية كاملة له الأولوية على ما سواه؛ لأنه مقدمة ضرورية لكل أنواع البناء والإصلاح، وهذا هو تغيير ما بالنفس.

إن بناء الإنسان الفرد الصالح هو مهمة الأنبياء الأولى، ومهمة خلفاء الأنبياء، وورثتهم من بعدهم.

وإنما يُبنى الإنسان أول ما يُبنى بالإيمان، أي بغرس العقيدة الصحيحة في قلبه، التي تصحح له نظرته إلى العالم وإلى الإنسان، وإلى الحياة وإلى رب العالم، وبارئ الإنسان وواهب الحياة، وتعرّف الإنسان بمبدأه ومصيره ورسالته، وتجيبه عن الأسئلة المحيّرة لمن لا دين له: من أنا؟ ومن أين جئت؟ وإلى أين أصير؟ ولماذا وُجدت؟ وما الحياة وما الموت؟ وماذا قبل الحياة؟ وماذا بعد الموت؟ وما رسالتي في هذا الكوكب منذ خلقت حتى يدركني الموت؟

ورأيناه -أي الإيمان- في أصحاب رسول الله ﷺ، وقد نقلهم من الجاهلية إلى الإسلام، من عبادة الصنم ورعاية الغنم إلى رعاية الأمم وقيادة البَشرية وإخراجها من الظلمات إلى النور.

ولقد ظل النبي ﷺ، ثلاثة عشر عاما في مكة كل همه فيها وكل عمله -من

التبليغ والدعوة- بناء الجيل الأول على معاني الإيمان.

تلك السنون كلها لم تنـــزل فيها تشريعات تنظم المجتمع وتضبط علاقاته الأسرية والاجتماعية، وتعاقب من ينحرف عن قوانينه، بل كان عمل القرآن، وعمل الرسول هو بناء هذا الإنسان، وهذا الجيل من أصحابه، وتربيته وتكوينه؛ ليربي العالم كله بعد ذلك.

كانت دار الأرقم بن أبي الأرقم تقوم بدورها، وكان كتاب الله الذي يتنـــزل عليه منجما حسب الوقائع؛ ليقرأه على الناس على مكث، ويثبت به فؤاده، وأفئدة الذين آمنوا معه، ويرد على أسئلة المشركين ويعقب على مواقفهم - يقوم بالدور الأكبر في تربية الفئة المؤمنة، وحسن تسييرها، وترشيد سيرها. قال تعالى: ﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَـــزَّلْنَاهُ تَنـــزِيلاً﴾ [الإسراء:١٠٦] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُـــزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾[الفرقان:٣٢-٣٣].

التربية قبل الجهاد:

وهذا ما جعل دعاة الإصلاح ينادون اليوم بوجوب تقديم التربية على الجهاد، والتكوين على التمكين.

ونعني بالتربية والتكوين: بناء الإنسان المؤمن، الذي يستطيع أن ينهض بعبء الدعوة، وتكاليف الرسالة، لا يبخل بمال، ولا يضنّ بنفس، ولا يبالي بما يصيبه في سبيل الله. وهو في الوقت نفسه نموذج عملي، تتجسد فيه قِيَم دينه، وأخلاق دعوته. ففيه يرى الناس الإسلام حيا ملموسا.

لماذا كان للتربية الأولوية؟:

ولكن لماذا كان للتربية الأولوية على الجهاد؟

يمكننا أن نوضح هذا في جملة نقاط أو أسباب:

أولا: أن الجهاد في الإسلام ليس أي جهاد، ولكنه جهاد بنية خاصة، لغاية خاصة، فهو جهاد في سبيل الله، وقد سئل النبي ﷺ عن الرجل يقاتل حمية –عصبية لقومه– والرجل يقاتل ليُرى مكانه –ليُذكر بالشجاعة– والرجل يقاتل للمغنم: أيهم في سبيل الله؟ فقال: "**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**"(١).

وهذا النوع من التجرد من كل دافع دنيوي، لا ينشأ اعتباطًا، بل لابد من تربية طويلة المدى، حتى يخلص دينه لله، ويخلصه الله لدينه.

ثانيا: إن ثمرة الجهاد التي يتطلع إليها المجاهد المسلم في الدنيا هي التمكين والنصر. وهذا التمكين لا يؤتي أكله إلا على أيدي مؤمنين صادقين، يستحقون التمكين، ويقومون بواجباته، وهم الذين ذكرهم الله بقوله: ﴿**وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ**﴾[الحج: ٤٠-٤١]، ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً**﴾[النور: ٥٥].

إن الذين يُمكَّنون وينتصرون قبل أن تنضجهم التربية، قد يُفسدون أكثر مما يُصلحون.

ثالثا: إن سُنَّة الله ألا يتحقق هذا التمكين إلا بعد أن يصهر أهله في بوتقة الابتلاء، وتصقلهم المحن والشدائد؛ ليبتلي الله ما في صدورهم، ويمحص ما في قلوبهم، ويميز الخبيث من الطيب، وهذا لون من التربية العملية، جرى به القدر

---

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري: كتاب العلم: باب من سأل وهو قائم عالمًا جالسًا (١/٢٨٠) (ح١٢٣)، ومسلم في كتاب الإمارة: باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله (٣/١٠١٣) (ح١٥٠-١٥١)، كلاهما عن أبي موسى.

على الأنبياء وأصحاب الدعوات في كل العصور. وقد سئل الإمام الشافعي: أيهما أولى للمؤمن: أن يبتلى أو يُمَكَّن؟ فقال: "وهل يكون تمكين إلا بعد ابتلاء"؟ إن الله ابتلى يوسف ﷺ ثم مكّن له، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ [يوسف: ٥٦].

إن التمكين الذي يجيء سهل المأخذ، داني القطوف، يُخشى أن يضيعه أهله، أو يفرطوا في ثمراته، على عكس ما لو بذلوا فيه من أنفسهم وأموالهم وراحتهم، ومستهم البأساء والضراء والزلزلة حتى أتى نصر الله.

المطلب الخامس: أولوية وحدة المواقف السياسية لطوائف الدعاة:

يختلف تعدد الحركات الإسلامية عن تعدد المذاهب الفقهية في أمر هام، وهو أن المذاهب الفقهية حركات علمية بحتة، تمحورت حول عدد من الاجتهادات العلمية، وليس لها برامج جهادية محددة لتغيير الواقع القائم في الأمة، أما الحركات الإسلامية فهي حركات جهادية، قامت ابتداء من أجل تغيير الواقع الجاهلي، وإقامة النظام الإسلامي، وهي في سعيها لذلك لابد لها من الدخول في بعض المعارك الجزئية، أو الشاملة مع أعداء الإسلام وخصوم الشريعة، الأمر الذي يقتضي إضافة شرط خاص لابد من تحققه في فصائل العمل الإسلامي، حتى يمتهد السبيل إلى القبول بتعددها، وهو:

التنسيق بين هذه الفصائل في المسائل العظام وقضايا المواجهة.

والأصل في اعتبار هذا الشرط ثلاثة أمور:

الأول: ما جاء في الصحيفة التي كتبها النبي ﷺ بالمدينة، بين المهاجرين والأنصار، ومن تبعهم من اليهود، أو من غيرهم، بن أن المسلمين أمة واحدة على من سواهم، وأن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم. فالأمة الإسلامية تنطلق من موقف

واحد في الحرب وفي السلم، ولا يحل لفريق منها أن يسالم في قتال في سبيل الله، إلا عن تشاور وتنسيق مع بقية المسلمين: "**إلا على سواء وعدل بينهم**"، فإن فعل ذلك فقد اتخذ بطانة من دون المؤمنين، وخرج عن جماعة المسلمين بمسالمة أعدائها، وعقده لهذا الصلح المنفرد، وهذا ترده مُحكمات الأدلة وقواطع النصوص. وبهذا يحيا مفهوم **الأمة** في العمل الإسلامي، ويحس كل فصيل منه أن القرار في المهمات والمسائل العظام ليس إليه وحده، وأنه لا يصح إلا إذا كان على عدل وسواء بين المسلمين.

الثاني: ما تمهد في فقه السياسة الشرعية، أن القرار في المهمات والمسائل العظام، إنما يناط في الدولة الإسلامية بنظر الإمام، أو بمن يخول إليه النظر في ذلك، وذلك لتعلقها بالمصلحة العامة لجماعة المسلمين، ولا يحق لصاحب ولاية جزئية أن يستقل بالنظر فيها، إلا إذا كان الإمام قد فوض إليه النظر في ذلك.

يقول ابن قدامة -رحمه الله: "وأمر الجهاد موكول إلى الإمام واجتهاده، ويلزم الرعيةَ طاعتُه فيما يراه من ذلك"(١).

فإذا عدم الإمام لم يؤخر الجهاد ولا غيره من هذه المهمات العامة؛ لأن مصلحتها تفوت بتأخيرها، وإنما تؤول الولاية في هذه الأمور إلى أهل الحل والعقد في الأمة؛ لأنهم هم الجماعة الذين تتمثل فيهم إرادة الأمة، ولا يصبح الإمام إماما إلا بتوليتهم، ولا يستمد سلطانه إلا من مبايعتهم له، وتفويض الأمور إليه.

الثالث، المصلحة الراجحة في ذلك، بل الضرورة الملحة إليه، حتى لا يؤدي تباين المواقف السياسية والجهادية لفصائل العمل الإسلامي إلى تمارج في الصفوف، وتفتيت للطاقات، وتناقض في القرارات، وإشاعة للوهن والتخاذل، واحتراق لهذه الفصائل من قبل الخصوم ليضربوا بعضها ببعض، وفي ذلك غاية

---

(١) المغني: (١٠/ ٣٦٨).

التشقق والتمزق، بل بداية الطريق إلى الهاوية

وعلى هذا، فلكي يمتهد القبول بالتعدد في فصائل العمل الإسلامي، والتسليم لكل فصيل منها بترتيب أموره الخاصة، المتعلقة بالدعوة والتربية ونحوه، فإن كل ما يتعلق بقضايا المواجهة مع الخصوم: حربا أو سلما، يجب أن يرجع فيها إلى أهل الحل والعقد، وأن يتعامل معها العمل الإسلامي بإستراتيجية واحدة من خلال هذا الإطار، إذ ليس لفصيل من هذه الفصائل أن يستقل بقرار في مستقبل العمل الإسلامي كله، أو أن يجره إلى مواجهة شاملة بناء على تقديراته وحساباته وحده، لاسيما وأن آثار هذا العمل لا يستقل وحده بتحمل نتائجها سلبا وإيجابا، لكنها ستمتد بطبيعة الحال لتشمل فصائل العمل الإسلامي كافة، ويصطلي الجميع بأوارها، أو ينعم بآثارها.

خلاصة الفصل الرابع

- إن فقه الأولويات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر يعني فيما يعني من الناحية النظرية: حسن إدراك القيم الشرعية ومراتبها بحسب التفاوت بينها، كما يعني من الناحية العملية: الإحاطة بما يحتاجه الواقع من الأعمال والممارسات، وتقديم ما حقه التقديم منها، وتأخير ما يلزم تأخيره، فهو -في الجملة-: العلم بالأحكام الشرعية التي لها حق التقديم على غيرها بناء على العلم بمراتبها، وبالواقع الذي يتطلبها.

- ومن أبرز الأسباب التي دعت إلى ظهور ما يسمى بفقه الأولويات في مسيرة الدعوة إلى الله اختلال ميزان مراتب الأعمال في موضوع الدعوة إلى الله.

- ومن أولويات الدعوة إلى الله في الواقع المعاصر:

أولوية العلم على العمل، فهي من أهم الأولويات المعتبرة شرعا؛ ولذا بوّب الإمام البخاري بابًا بعنوان (باب العلم قبل القول والعمل)، فالعلم مقدم على العمل؛ لأنه يميز الحق من الباطل في الاعتقادات، والصواب من الخطأ في المقولات.

- والعلم شرط في كل عمل قيادي:

سواء أكان عملا سياسيا أو إداريا، وإذا كان العلم مطلوبا للقضاء والفتوى، فهو مطلوب كذلك للدعوة.

- ومن الأولويات المطلوبة وخصوصا في مجال الدعوة:

تقديم التخفيف والتيسير على التشديد والتعسير: فقد دلت النصوص من الكتاب والسنة على حب الله ورسوله ﷺ للتخفيف والتيسير، وأن أفضل الأمرين أيسرهما، وكان رسول الله ﷺ يغضب إذا شدد أحد على الناس.

- ومن فقه الأولويات في ترجيح العمل:

أن يكون أكثر نفعا من غيره، وعلى قدر نفعه للآخرين يكون فضله وأجره عند الله، وهكذا كل عمل يتعلق بإصلاح المجتمع فنفعه أفضل من العمل المقصور النفع على صاحبه.

- ومن الأولويات المهمة في مجال الإصلاح:

العناية ببناء الفرد قبل بناء المجتمع، أو بتغيير الأنفس قبل تغيير الأنظمة والمؤسسات، ودعاة الإصلاح يدعون إلى التربية قبل الجهاد، وقد قام رسول الله ﷺ بتربية الصحابة -رضوان الله عليهم- قبل تكليفهم بالتشريعات.

- ومن الأولويات الدعوية المهمّة: **أولوية وحدة المواقف السياسية لطوائف الدعاة**، فالتنسيق بين هذه الفصائل في المسائل العظام وقضايا المواجهة شرط ضروريٌّ للعمل للدعوي، والأصل في اعتبار هذا الشرط ثلاثة أمور:

الأول: ما جاء في الصحيفة التي كتبها النبي ﷺ بالمدينة، من أن المسلمين أمة واحدة على من سواهم، وأن سلم المؤمنين واحدة.

الثاني: أن القرار في المهمات والمسائل العظام، إنما يناط في الدولة الإسلامية بنظر الإمام، أو من يخول إليه النظر في ذلك،

الثالث: المصلحة الراجحة في ذلك بل الضرورة الملحة إليه.

اختبار الفصل الرابع

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة(✓)أمام العبارة الصحيحة وعلامة (✗) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١- يعني فقه الأولويات من الناحية النظرية: حسن إدرك القيمة الشرعية للأعمال ومراتبها بحسب التفاوت بينها.

٢- اختلال ميزان مراتب الأعمال في الدعوة إلى الله لم يؤد إلى ظهور فقه الأولويات.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

١-المراد بالرباني في قوله تعالى (ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) هو الذي:

أ-يعلم غيره فقط. ب- يعمل بدون علم.

ج-يعلم ولا يعمل بعلمه. د-يعلم ويعمل ويعلّم.

٢- من الأمور التي ينبغي أن يتحلى بها كل داعية إلى الله:

أ- القوة. ب-النفوذ والجاه.

ج-البصيرة بدعوته. د- لا شيء مما سبق.

٣-جميع الأمور التالية من أولويات الدعوة إلى الله في الواقع لمعاصر ما عدا:

أ - أولوية العلم على العمل. ب- أولوية التخفيف و لتيسير.

ج - أولوية العمل المتعدي النفع على القاصر.

د - التغير التربوي قبل التغيير العام. هـ - الإنكر باليد.

٤-ينادي دعاة الإصلاح اليوم بضرورة تقديم التربية على:

أ- الجهاد. ب-الاشتغال بالتجارة.

ب- السياسة.　　　　د-السياحة في الأرض.

٥- سنة التدرج في تحريم المنكرات في الشريعة الإسلامية تعد من قبيل:

أ- تغليظ العقوبة على مرتكبي المنكرات.　ب- ذمّ الإسلام للمنكرات.

ج- التشديد على الناس.　　　　د- التيسير على الناس.

ثالثاً: أسئلة متنوعة:

١- تناول موضوع فقه الأولويات في مسيرة الدعوة الإسلامية، موضحاً المطالب الرئيسية في هذا الموضوع؟

٢- وضح تفصيلياً المطلب الخاص بأولوية التغيير التربوي قبل التغير العام في فقه الأولويات؟

٣- حاول أن ترتب أولويات الدعوة باعتبار زمانك ومكانك اليوم؟

القراءات الإثرائية

الكتاب	المؤلف
١- الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي.	د. صلاح الصاوي
٢- فقه الأولويات.	أ . محمد الوكيلي
٣- فقه الدعوة في إنكار المنكر.	أ . عبد الحميد البلالي
٤- رسائل الشمولية.	د. عبد العزيز الحميدي
٥- الفقه الغائب.	أ . ياسر العدل

النشاط التعليمي للوحدة الخامسة

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول موضوعات هذه الوحدة عليك بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

أعِدَّ دراسة حول أولويات الدعوة إلى الله في بلدك، مستعينًا بسؤال كبار الدعاة، ومعتمدًا على دراسة ميدانية تقوم بها مع بعض زملائك.

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة

رسالة إلى الدارس	٤
لوحة المسار لدراسة وحدات الكتاب	٥
خريطة مكونات الكتاب	٦
الوحدة الأولى: مبادئ وأصول علم فقه الدعوة	٧-١٠١
مبررات دراسة الوحدة	٨
الأهداف التعليمية للفصل الأول	٩
رسم توضيحي للفصل الأول	١٠
مقدمة الفصل الأول	١١
المبحث الأول: تعريف علم فقه الدعوة	١١
المطلب الأول: تعريف فقه الدعوة باعتبار مفرداته	١١
المطلب الثاني: تعريف فقه الدعوة باعتباره علما على هذا الفن	١٣
المبحث الثاني: موضوعه	١٥
المبحث الثالث: أسماءه	١٦
المبحث الرابع: حكمه	١٨
المبحث الخامس: فضله	٢٥
المبحث السادس: نشأته	٣٠
المبحث السابع: نسبته	٣٣
المبحث الثامن: استمداده	٣٥
المصدر الأول: القرآن الكريم	٣٦

المصدر الثاني: السنة النبوية الشريفة	٤٢
المصدر الثالث: السيرة النبوية المطهرة وسيرة الراشدين	٤٥
المصدر الرابع: وقائع العلماء والدعاة في ضوء تلك المصادر	٤٨
المبحث التاسع: ثمرته وغايته	٥٠
المبحث العاشر: مسائله	٥٨
خلاصة الفصل الأول	٥٩
اختبار الفصل الأول	٦١
الفصل الثاني: أصول وأسس الدعوة الراشدة	٦٣
الأهداف التعليمية لدراسة الفصل الثاني	٦٣
الرسم التوضيحي للفصل الثاني	٦٤
مقدمة الفصل الثاني	٦٥
الأصل الأول: العلم	٦٦
الأصل الثاني: التوحيد	٦٨
الأصل الثالث: الاتباع	٧٣
الأصل الرابع: التربية والتزكية	٧٦
الأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٧٩
الأصل السادس: الوعي بالواقع	٨١
الأصل السابع: الجهاد	٨٤
الأصل الثامن: الواقعية	٨٧
الأصل التاسع: العالمية	٨٩
الأصل العاشر: الشمول والتكامل	٩١

خلاصة الفصل الثاني	٩٤
اختبار الفصل الثاني	٩٧
القراءات الإثرائية	١٠٠
النشاط التعليمي للوحدة الأولى	١٠١
الوحدة الثانية: صفات وآفات الدعاة	١٠٣-١٧٣
مبررات دراسة الوحدة	١٠٤
الفصل الأول: صفات الداعية	١٠٥
الأهداف التعليمية للفصل الأول	١٠٥
رسم توضيحي للفصل الأول	١٠٦
المبحث الأول: التعريف بالداعية	١٠٧
المبحث الثاني: صفات الداعية	١٠٩
أولاً: الصفات النفسية	١١١
ثانيًا: الصفات الاجتماعية	١١٦
ثالثًا: الصفات العلمية والعملية	١٢٦
خلاصة الفصل الأول	١٣٣
اختبار الفصل الأول	١٣٤
الفصل الثاني: من آفات الدعاة	١٣٦
الأهداف التعليمية للفصل الثاني	١٣٦
رسم توضيحي للفصل الثاني	١٣٧
المبحث الأول: آفة الفتور الدعوي	١٣٨
المبحث الثاني: آفة الاستعجال	١٤٢
المبحث الثالث: آفة ضيق الأفق	١٤٤

المبحث الرابع: آفة فوضى الوقت	١٤٨
المبحث الخامس: آفة التطلع إلى الصدارة، وطلب الريادة	١٥١
المبحث السادس: آفة الغرور	١٥٤
المبحث السابع: آفة اتباع الهوى	١٥٩
المبحث الثامن: آفة ضعف أو تلاشي الالتزام	١٦٢
خلاصة الفصل الثاني	١٦٨
اختبار الفصل الثاني	١٦٩
القراءات الإثرائية	١٧٢
النشاط التعليمي للوحدة الثانية	١٧٣
الوحدة الثالثة: علاقات الداعية	١٧٥-٢٠٨
مبررات دراسة الوحدة	١٧٦
الأهداف التعليمية للوحدة الثالثة	١٧٧
رسم توضيحي لعلاقات الداعية بأصناف المدعوين	١٧٨
مقدمة الوحدة الثالثة	١٧٩
المبحث الأول: الملأ	١٧٩
المبحث الثاني: جمهور الناس	١٨٨
المبحث الثالث: المنافقون	١٩٣
المبحث الرابع: العصاة	٢٠٠
خلاصة الوحدة الثالثة	٢٠٤
اختبار الوحدة الثالثة	٢٠٥
القراءات الإثرائية	٢٠٧
النشاط التعليمي للوحدة الثالثة	٢٠٨

الوحدة الرابعة: وسائل وأساليب الدعوة وأحكامها ٢٠٩-٢٩٠

مبررات دراسة الوحدة ٢١٠

الأهداف التعليمية للفصل الأول ٢١١

رسم توضيحي للفصل الأول ٢١٢

الفصل الأول: وسائل الدعوة وأحكامها ٢١٣

تمهيد: ٢١٣

المبحث الأول: ضوابط مشروعية الوسائل الدعوية ٢١٥

أولاً: الوسيلة المختلف في حكمها بين الإباحة والتحريم ٢١٩

ثانيًا: الوسيلة المشوبة التي اختلط فيها الحرام بالحلال ٢٢١

المبحث الثاني: نماذج من الوسائل المادية ٢٢٦

أ ــ وسيلة القول ٢٢٦

ب ــ وسيلة المرناة ــ أي: التلفاز. ٢٣٠

ج ــ وسيلة التمثيل ٢٣٥

د ــ وسيلة إقامة الجماعات والمنظمات الدعوية ٢٤٢

المبحث الثالث: الخصائص العامة للوسائل الدعوية ٢٥٠

خلاصة الفصل الأول ٢٥٤

اختبار الفصل الأول ٢٥٨

الفصل الثاني: أساليب الدعوة ٢٦٠

الأهداف التعليمية للفصل الثاني ٢٦٠

مقدمة بين يدي أساليب الدعوة ٢٦١

المبحث الأول: أسلوب الحكمة ٢٦٢

المبحث الثاني: أسلوب الموعظة ٢٦٩

المبحث الثالث: أسلوب المجادلة ٢٧٢

المبحث الرابع: أسلوب القدوة الحسنة ٢٧٧

المبحث الخامس: الخصائص العامة للأساليب الدعوية ٢٨٠

خلاصة الفصل الثاني ٢٨٣

اختبار الفصل الثاني ٢٨٦

القراءات الإثرائية ٢٨٩

النشاط التعليمي للوحدة الرابعة ٢٩٠

الوحدة الخامسة

مشكلات وقضايا معاصرة في ضوء فقه الدعوة ٢٩١-٤١٢

مبررات دراسة الوحدة ٢٩٢

رسم تخطيطي يوضح الفصول الأربعة للوحدة الخامسة ٢٩٣

الفصل الأول: فقه الاختلاف ٢٩٤

الأهداف التعليمية للفصل الأول ٢٩٤

مقدمة الفصل الأول ٢٩٥

المبحث الأول: الخلاف في الفروع والمسائل الاجتهادية ٢٩٧

خصائص الخلاف في الفروع ٢٩٧

المحمود والمذموم من هذا الاختلاف ٣٠٥

قرار مجلس المجمع الفقهي ٣٠٦

المبحث الثاني: الخلاف في الأصول والمذاهب الاعتقادية ٣١١

الضوابط الشرعية للهجر ٣١٥

المبحث الثالث: الاختلاف في الحروب والآراء ومجالات الشورى ٣٢٥

خلاصة الفصل الأول ٣٢٩

اختبار الفصل الأول	٣٣٣
الفصل الثاني: الاشتغال بالعمل السياسي	٣٣٥
الأهداف التعليمية للفصل الثاني	٣٣٥
مقدمة لفصل الثاني	٣٣٦
المطلب الأول: الإطار العلمي للخلاف في قضية العمل السياسي	٣٣٦
المطلب الثاني: الإطار العلمي المقترح لممارسة العمل السياسي	٣٤٩
محاذير يتعين الانتباه إليها عند الاشتغال بهذا العمل	٣٥١
أولويات يجب التأكيد عليها	٣٥٤
خلاصة الفصل الثاني	٣٥٧
اختبار الفصل الثاني	٣٦٠
الفصل الثالث: فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٣٦٣
الأهداف التعليمية للفصل الثالث	٣٦٣
مقدمة الفصل الثالث	٣٦٤
الإطار العلمي للاختلاف في هذه القضية	٣٦٤
الإطار العملي المقترح لممارسة هذه الفريضة	٣٦٥
تقدير المفاسد	٣٦٦
خلاصة الفصل الثالث	٣٧٦
اختبار الفصل الثالث	٣٧٨
الفصل الرابع: فقه الأولويات في مسيرة الدعوة الإسلامية	٣٨٠

الأهداف التعليمية للفصل الرابع	٣٨٠
مقدمة الفصل الرابع	٣٨١
من أولويات الدعوة إلى الله في الواقع المعاصر	٣٨٢
المطلب الأول: أولوية العلم على العمل	٣٨٢
المطلب الثاني: أولوية التخفيف والتيسير	٣٨٨
المطلب الثالث: أولوية العمل المتعدي النفع على القاصر	٣٩٧
المطلب الرابع: التغيير التربوي قبل التغيير العام	٤٠١
المطلب الخامس: أولوية وحدة المواقف السياسية لطوائف الدعاة	٤٠٤
خلاصة الفصل الرابع	٤٠٧
اختبار الفصل الرابع	٤٠٩
القراءات الإثرائية	٤١١
النشاط التعليمي للوحدة الخامسة	٤١٢
الفهرس	٤١٣-٤٢٠